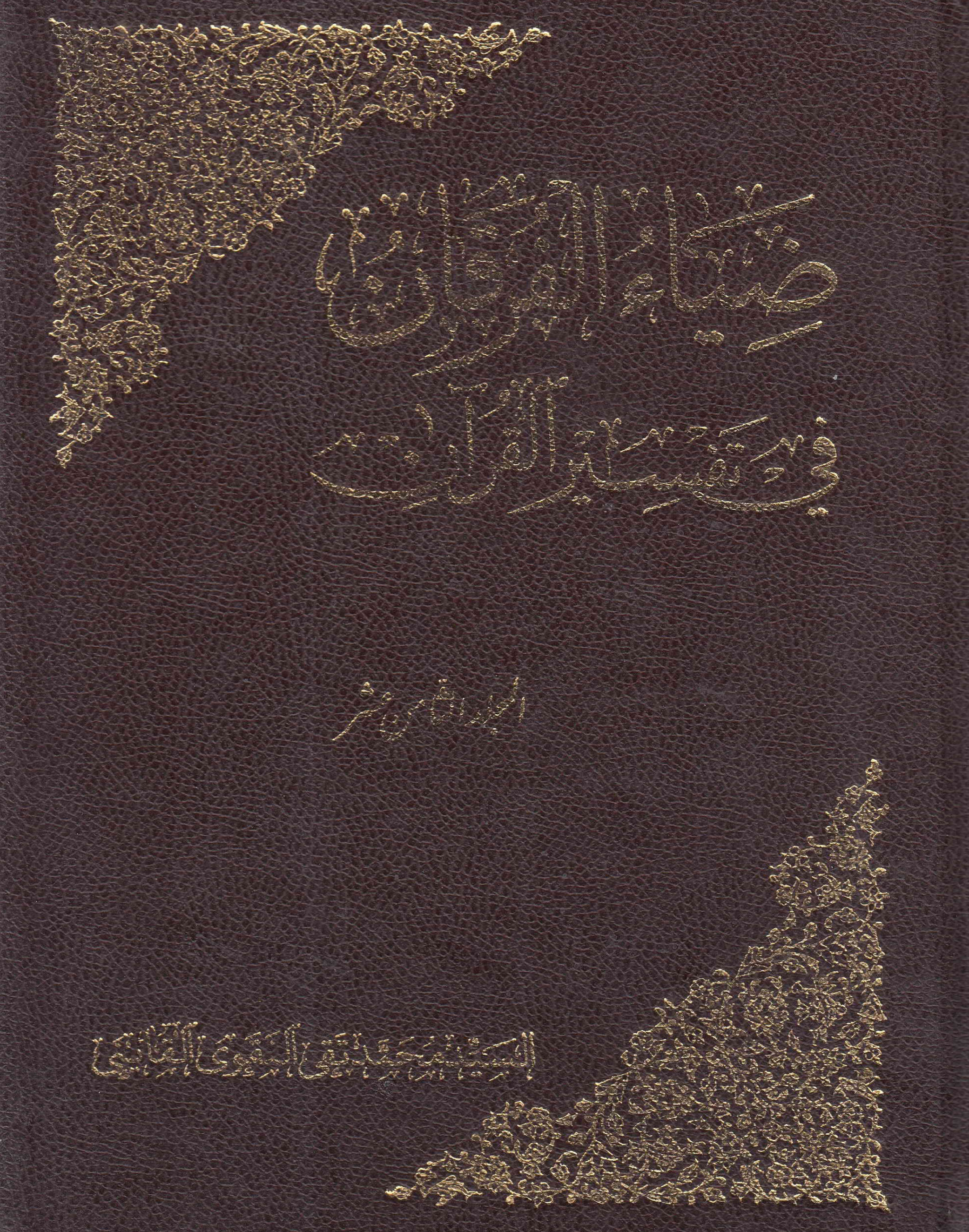

ضياء الفرقان
في تفسير القرآن
المجلد الثاني عشر
السيد محمد تقي النقوي القائني


بسم الله الرحمن الرحيم


شبكة الفكر
alfeker.net

ضیاء الفرقان
فی
تفسیر القرآن

مجلد ۱۸

لِمُؤلّفه سید محمد تقی النّقوی

سرشناسه : نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸.

عنوان و نام پدیدآور : ضیاء الفرقان فی تفسیرالقرآن / لمؤلفه محمدتقی نقوی قائنی.

مشخصات نشر : تهران: قائن، ۱۳۹۶.

مشخصات ظاهری : ۱۸ج.

شابک : دوره 978-964-8981-24-7 ؛ ج. ۱۸: 978-964-8981-62-9

وضعیت فهرست نویسی : فیپا.

یادداشت : عربی.

موضوع : تفاسیر شیعه قرن ۱۴.

موضوع : Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century

رده‌بندی کنگره : ۱۳۹۵ ۹ض۷ن/۹۸ BP

رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : ۴۴۰۴۹۵۲

ضیاء الفرقان فی تفسیر القرآن مجلد الثامن عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی

الکمیة: ۱۰۰۰

الطبعة: الاوّل

تاریخ الطبع: ۱۳۹۷ ش. - ۱۴۳۹ ق.

تنسیق الصفحات: محسن نقوی

لیتوغرافی: لوح محفوظ

المطبعة: گوهر اندیشه

انتشارات: قائن

تلفن: ۰۹۱۲۳۱۷۳۵۵۰

مرکز التوزیع: تهران - شارع انقلاب - بازارچه کتاب - رقم ۱۰ - دارالکتب الاسلامیة

شابک: ۹ - ۶۲ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

شابک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۹۷۸

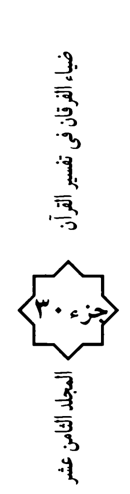
الجزء

الثلاثون

سُورَةُ النَّبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهٰدًا ﴿٦﴾ وَ ٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَ خَلَقْنٰكُمْ أَزْوٰجًا ﴿٨﴾ وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَ جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَ جَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَ جَنّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَ فُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَ سُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَ كَذَّبُوا بِـَٔايٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَ كُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنٰهُ كِتٰبًا



﴿۲۹﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿۳۰﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿۳۱﴾ حَدَآئِقَ وَ أَعْنَابًا ﴿۳۲﴾ وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿۳۳﴾ وَ كَأْسًا دِهَاقًا ﴿۳۴﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كِذَّابًا ﴿۳۵﴾ جَزَآءً مِنْ رَبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿۳۶﴾ رَبِّ ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿۳۷﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَ ٱلْمَلَآئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَ قَالَ صَوَابًا ﴿۳۸﴾ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلٰى رَبِّهِ مَآبًا ﴿۳۹﴾ إِنَّآ أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿۴۰﴾

◀ اللّغة

عَمَّ: أصله عن ما، فحذفت الألف لإتّصالها بحرف الجرّ صارت كالجزء منه ثمّ حذف حرف الإعتلال و أدغمت النّون في الميم لقربها منها من غير إضلالٍ و صورته الإستفهام و المراد تفخيم القصّة و الإنكار و التّهديد.

ٱلنَّبَإِ: الخبر مِهَادًا المهاد البساط.

أَوْتَادًا: واحدها وتد و هو المسمار.

سُبَاتًا: فالسُّبات قطع العمل للرّاحة و منه يوم السَّبت أي يوم قطع العمل.

وَهَّاجًا: فالوَّهاج الوَّتاد و هو المشتعل بالنُّور العظيم و قيل وهّاجاً أي متلألأً.

ثَجَّاجًا: فالثَّجاج بفتح الثّاء الدّفاع في إنصابه كشَّج دماء البدن.

حَبًّا وَ نَبَاتًا: فالحبّ بفتح الحاء كلّ ما تضّمنه الزَّرع الّذي يحصد و النَّبات الكلاء من الحشيش و الزَّرع.

أَلْفَافًا: الألفاف الأخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعضٍ واحدها، لفّ، يقال شجرٌ ملتَّف و أشجار ملتَّفة.

مِيقَاتًا: أصله موقاتاً، لأنّه مأخوذ من الوقت كما أنّ الميعاد من الوعد.

يُنْفَخُ: فالنَّفخ إخراج ريح الجوف من الفم.

أَفْوَاجًا: واحدها، فوج و هو جماعة من جماعة و الأفواج جماعات من جماعات.

سَرَابًا: أي لا شئ كما أنّ السّراب كذلك.

مِرْصَادًا: بكسر الميم و هو مفعال مِن الرَّصد و الرَّصد كلّ شئٍ إمامك.

مَآبًا: المأب المرجع.

أَحْقَابًا: فالأحقاب الدُّهور واحدها، حقب.

حَمِيمًا وَ غَسَّاقًا: فالحميم الماء الحارّ و منه إشتَّق الحمّام و الغسّاق بفتح الغين صديد أهل النّار وقيحهم.

مَفَازًا: بفتح الميم موضع فوز و نجاةٍ و خلاص.

حَدَائِقَ وَ أَعْنَابًا: حدائق جمع حديقة و هى البستان المحوَّط عليه، و الأعناب جمع عنب أي كروم أعناب فحذف.

كَوَاعِبَ أَتْرَابًا: كواعب جمع كاعب و هى النّاهد و قال الضّحاك العذارىٰ، و الأتراب الأقران في السِّن.

دِهَاقًا: أي ممتلئة يقال أدهقت الكأس أي ملأتها.

◀ الإعراب

اَلَّذِي يحتمل الرَّفع و النَّصب و الجرّ، فالرَّفع بتقدير، هو، و النَّصب، بتقدير، أعني، و الجرّ، علىٰ الصِّفة **وأَزْوَاجًا** حال أي متّجانسين متشابهين **يَوْمَ**

يُنْفَخُ بدل من يوم الفصل أو من ميقات وأَفْوَاجًا حال لِلطَّاغِينَ يجوز أن يكون حالاً من مأباً، و أن يكون صفةً لمرصاد لَابِثِينَ حال من الضّمير في الطّاغين حالٌ مقدّرة و أَحْقَابًا مفعول لابثين جَزَآءً مصدر كِذَّابًا بالتّشديد مصدر كالتّكذيب و كِتَابًا حال أي مكتوباً و حَدَآئِقَ بدل من، مفازاً لَا يَسْمَعُونَ حال من الضّمير في خبر، إنّ و عَطَآءً إسم للمصدر و هو بدل من جزاء رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتِ بالرّفع على الإبتداء ٱلرَّحْمٰنِ خبره و يَوْمَ يَقُومُ ظرف، للا يملكون صَفًّا حال يَوْمَ يَنْظُرُ فهو بدل أو صفة لقريب.

◀ التّفسير

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ، ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ، كَلَّا سَيَعْلَمُونَ

قوله: **عَمَّ** أصله عن ما، فحذفت الألف لإتّصالها بحرف الجرّ حتّىٰ صارت كالجزء منه لتّدل علىٰ شدّة الإتّصال مع تخفيف المركب في الكلام فحذف حرف الإعتلال و أدغمت النّون في الميم لقربها منها من غير إخلالٍ و صورته صورة الإستفهام و المراد تفخيم القصّة و الإنكار و التّهديد فقوله: **يَتَسَآءَلُونَ** معناه عن ماذا يسأل بعضهم بعضاً فالتّسائل سؤال أحدهما للأخر و السّؤال طلب الإخبار و المسئول عنه هو النّبأ العظيم، فالنّبأ هو الخبر وصفه بالعظيم لعظمته و شرفه كمعنى الخبر عن التّوحيد في صفة الإله وصفة الرّسول و الخبر عمّا يجوز عليه و ما لا يجوز.

و قال مجاهد، النّبأ العظيم الشّأن هو القرأن و قيل هو السّؤال عن البعث بعد الموت و ذلك لأنّ الكفّار كانوا يكذّبون القرأن و البعث **ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** معناه أنّهم كانوا بين مصدّقٍ و مكذّبٍ.

و قيل هو أمر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و ذلك أنّ اليهود سألوا النّبي عن أشياء كثيرة فأخبره اللّه بإختلافهم ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ هدّدهم فقال **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** عاقبة

القرأن أو سيعلمون البعث أحقٌّ هو أم باطل و **كَلّا** ردٌّ عليهم في إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرأن فيوقف عليها، و يجوز أن يكون بمعنىٰ، حقّاً.

فَعَلىٰ الأوّل: و هو الرَّدع و الزَّجر، كأنّه قال إرتدعوا و إنزجروا ليس الأمر كما ظننتم.

علىٰ الثّاني: فالمعنىٰ، حقّاً، سيعلمون عاقبة أمرهم و عائد الوبال عليهم، و قيل، المعنى، **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**، يوم القيامة ما ينالهم من العذاب **ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**، ما ينالهم في جهنَّم من العذاب فلا يكون تكراراً إذا عرفت معنىٰ ألفاظ الآية فنقول:

ذكر المفسّرون في سبب نزول الآية أنّ رسول اللّه كان إذا حدَّث قريشاً و عرَّفهم أخبار الأمم السّالفة و وعظهم كانوا يهزؤن بذلك فنهاه اللّه تعالىٰ أن يحدّثهم فكان رسول اللّه يحدّث أصحابه فإذا أقبل أحدٌ من المشركين أمسك فإجتمعوا علىٰ بكرة أبيهم و قالوا و اللّه يامحمّد أنّ حديثك عجب وكنّا نشتهي أن نسمع كلامك و حديثك فقال صلى الله عليه وآله وسلم ربّي نهاني أن أحدّثكم فأنزل اللّه تعالىٰ: **عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ** ذكره الشّيخ في التّبيان.

أقول لعلّ وجه النّهي أنّ المعاند لا يقبل الحقّ و إن كان المخبر صادقاً في قوله بل غرضه من الإستماع هو الإستهزاء و لذلك نهى اللّه نبيّه عن موعظتهم و هو واضح.

و الّذي يظهر من الأخبار المرويّة عن أهل البيت هو أنّ المراد بالنَّبأ العظيم هو ولاية أميرالمؤمنين و الأئمّة المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين.

فقد روى في أصول الكافي بأسناده عن عبد اللّه بن كثير عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قوله: عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ قال عليه السلام: النَّبأ العظيم الولاية إنتهى.

و أيضاً بأسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له عليه السلام

جعلت فداك أنّ الشّيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ قال عليه السلام ذلك إنّي إن شئت أخبرتهم و أن شئت لم أخْبرهم ثمّ قال لكنّي أخبرك بتفسيرها، قلت عمَّ يتسائلون، فقال هي في أميرالمؤمنين كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول ما للّه عزَّ وجَلّ أيةٌ هي أكبر منّي و لا للّه من نبأٍأعظم منّي إنتهىٰ.

و في خطبةٍ لأمير المؤمنين و هي خطبة الوسيلة قال عليه السلام: فيها، و إنّي النّبأ العظيم.

و في تفسير علّي بن إبراهيم بأسناده عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام في قوله: عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ قال عليه السلام: قال أميرالمؤمنين ما للّه نبأٌ أعظم منّي، وما للّه أيةٌ أكبر منّي ولقد عرض فضلي علىٰ الأمم السّالفة (الماضية) على إختلاف ألسنتها فلم تقرَّ بفضلي إنتهىٰ.

و في عيون الأخبار بأسناده إلىٰ ياسر الخادم عن أبي الحسن علّي بن موسى الرّضا عن أبيه عن أبائه عن الحسين بن علّي عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ ياعلّي أنت حجّة اللّه، و أنت باب اللّه، و أنت الطّريق إلىٰ اللّه، و أنت ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ، و أنت الصّراط المستقيم و أنت المثل الأعلىٰ الحديث.

و في تهذيب الأحكام في الدُّعاء بعد صلاة الغدير المسند إلىٰ الصّادق عليه السلام قال: شهدنا بمنّك و لطفك بأنّك أنت اللّه لا إلٰه إلاّ أنت ربّنا، و محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم عبدك و رسولك نبيّنا و علّيٌ أميرالمؤمنين الحُجّة العُظمىٰ وأيَتُك الكُبرىٰ والنَّبأ العَظيم الّذي هُم فيه مُختلفُون إنتهىٰ و الأحاديث نقلناها عن تفسير نور الثَّقلين[1].



١- ج ٥ ص ٤٩١

و الأخبار من طريق أهل البيت في الباب كثيرة بحيث يمكن أن يستفاد منها أنّ الموضوع من المسلّمات التّي لا خلاف فيه عندهم و أمّا الأخبار من طريق العامّة.

ما رواه الحافظ الحسكاني في كتابه المسمّىٰ بشواهد التّنزيل بأسناده عن أبي حمزة الثّمالي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه تعالىٰ: **عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ، عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ** فقال عليه السلام: كان عليٌّ يقول لأصحابه، أنا و اللّه النّبأ العظيم، الّذي إختلف فيَّ جميع الأمّة بألسنتها، و اللّه ما للّه نبأٌ أعظم منّي و لا للّه أيةٌ أعظم منّي إنتهىٰ.

ما رواه بأسناده عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه تعالى **عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ** قال عليه السلام: النّبأ العظيم عليٌّ عليه السلام و فيه إختلفوا لأنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيه إختلاف إنتهى.

ما رواه بأسناده عن سعيد بن جبير عن علّيٍ إبن أبي طالب قال عليه السلام: أقبل صخر بن حرب حتّىٰ جلس إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال الأمر بعدك لمن قال صلى الله عليه وآله وسلم لمن هو منّي بمنزلة هارون من موسىٰ فأنزل اللّه **عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ** يعني يسألك أهل مكّة عن خلافة علّيٍ **عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ، ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** فمنهم المصّدق و منهم المكذّب بولايته.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ و هو ردٌّ عليهم، سيعرفون خلافته أنّها حقّ، إذ يسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميّتٌ في شرقٍ و لا غربٍ و لا برّ و لا بحر إلاّ و منكرٌ و نكير يسألانه يقولان للميّت من ربّك و ما دينك و من نبيّك و من إمامك إنتهىٰ[1].

ما رواه الشّيخ سليمان البلخي الحنفي في كتابه المسمّىٰ بينابيع

١- ج ١٢ ص ٣١٧

المودّة عن عبد الرّحمٰن بن كثير قال: سألت جعفر الصّادق عن قوله تعالىٰ: **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** و سألته عن قول اللّه تعالى (هنالك الولاية للّٰه الحقّ) قال عليه السلام: ولاية أميرالمؤمنين عليٌّ سلام اللّه عليه كان يقول ما للّٰه نبأٌ هو أعظم منّي و لا للّٰه أيةٌ أكبر منّي و عن الباقر و الرَّضا نحوه. ما رواه عن ياسر الخادم عن علّي الرّضا عن أبيه عن أبائه عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علّي أنت حجّة اللّه و أنت باب اللّه و أنت الطّريق إلى اللّه و أنت النّبأ العظيم و أنت الصّراط المستقيم و أنت المثل الأعلى و أنت إمام المسلمين و أميرالمؤمنين و خير الوصّيين و سيّد الصّديقين يا علّي أنت الفاروق الأعظم و الصَّديق الأكبر و إنّ حربك حربي (حزبك حزبي و حزبي حزب اللّه) و أنّ حزب أعداءك حزب الشّيطان إنتهى و الأحاديث كثيرة[١].

قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية و المراد بالنَّبأ العظيم البعث و القيامة الّذي يهتَّم به القرأن العظيم في سورة المكيّة إلىٰ أن قال و يؤيّد ذلك سياق أيات السُّورة بما فيه من الإقتصار علىٰ ذكر صفة يوم الفصل و ما تقدَّم عليها من الحجّة علىٰ أنّه حقٌّ واقع و قيل المراد به نبأ القرأن العظيم إلىٰ أن قال و قيل النَّبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصّانع و صفاته و الملائكة و الرُّسل و البعث و الجنّة و النّار و غيرها إلىٰ أخر ما قال.



أقول هذا ذكره قدس سره في تفسير الآية تبعاً للقوم ثمّ قال في بحث الأخبار ما هذا لفظه، و في بعض الأخبار أنّ النَّبأ العظيم علّيٌ عليه السلام و هو فى البطن إنتهىٰ كلامه فتّأمل فيه.

١- ص ٢٤٣

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهٰادًا، وَ ٱلْجِبٰالَ أَوْتٰادًا، وَ خَلَقْنٰاكُمْ أَزْوٰاجًا، وَ جَعَلْنٰا نَوْمَكُمْ سُبٰاتًا، وَ جَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبٰاسًا، وَ جَعَلْنَا ٱلنَّهٰارَ مَعٰاشًا، وَ بَنَيْنٰا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدٰادًا، وَ جَعَلْنٰا سِرٰاجًا وَهّٰاجًا، وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ ٱلْمُعْصِرٰاتِ مٰآءً ثَجّٰاجًا، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبٰاتًا، وَ جَنّٰاتٍ أَلْفٰافًا

الهَمَزة في قوله: **أَ لَمْ نَجْعَلِ** للإستفهام الإنكاري و فيه تهديدٌ و وعيدٌ لقوله بعد هذه الأيات **إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كٰانَ مِيقٰاتًا** و سيأتي الكلام فيه، ثمّ أنّ الواو في هذه الأيات للعطف و التّقدير ألم نجعل الجبال أوتاداً إلىٰ أخر الأيات و كيف كان فقد ذكر اللّه في هذه الأيات أنّه أنعم علىٰ عباده بأمورٍ محسوسة لا ريب لأحدٍ فيها لأنّ المحسوس غير قابل للإنكار عند العاقل.

الأوّل: أنّ اللّه تعالى جعل الأرض مهاداً، و المهاد الوطأ و الفراش.

و قال قتادة، المهاد البساط، و قال الرّاغب في المفردات، المهد و المهاد المكان الممهّد الموّطأ و ذلك مثل قوله: **اَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرٰاشًا**(١) يقال مهّدت له كذا، أي هيّأته و سوّيته قال تعالى: **وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا**(٢) و في الآية إشارة إلى حركة الأرض كما أنّ المهد كذلك للصّبي و العجب من القدماء حيث لم يتّفطنوا لذلك و حكموا بسكون الأرض.

قال الشّيخ في التّبيان في هذا المقام ما هذا لفظه، لأنّه الّذي يسكن الأرض حالاً بعد حالٍ حتّى يمكن الإستقرار عليها و التّصرف فيها إنتهى.

و القول بسكون الأرض كان مشهوراً بين العلماء من العامّة و الخاصّة و الكافر و المسلم حتّى صار سكون الأرض من ضروريّات علم الهيئة، ولم يتفطّنوا أنّ الإستقرار علىٰ الأرض لا ينافي حركتها كما أنّ إستقرار الصّبي في المهد لا ينافي حركة المهد بل لو لم يتّحرك المهد لا يسمّىٰ مهداً و هذا هو

١- البقرة = ٢٢ ٢- المدثّر = ١٤

الفرق بين المهد و الفراش فتفسير المهد بالفراش المطلق لا معنى بل الحقّ تفسيره بالفراش المتّحرك بالفعل أو بالقوّة.

حاصل الكلام أنّ اللّه تعالىٰ جعل الأرض للموجودات السّاكنة عليها بمنزلة المهد للصّبي فكما أنّ المهد جعل للصّبي ليستريح فيه كذلك الأرض لنا.

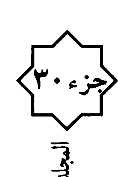
الثّاني: أنّ اللّه خلق الأرض و جعل الجبال عليها بمنزلة الأوتاد لئّلا يمتدَّ به هكذا قيل و قال بعض المفسّرين أي لتسكن و لا تتكفّأ و لا تميل بأهلها.

قال صاحب الكشّاف، أي أرسيناها بالجبال كما يرسي البيت بالأوتاد.

أقول الحقّ أن يقال أنّ الجبال في الأرض كالعظام في جسم الإنسان و هي التّي تحفظ الماء في باطنها و تخزنه فيجري ينابيع و هى التّي تمنع عن تلاشي الأرض.

و أمّا القول بأنّ الجبال تمنع عن حركة الأرض و تجعلها ساكنة فهو كلام عارٍ عن التّحصيل لأنّ ثقل الجبال بالنّسبة إلىٰ ثقل الأرض كالقطرة في جنب البحر.

الثّالث: قوله وَ **خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا** أي أشكالاً كلّ واحدٍ يشاكل الأخر، و قيل أي أصنافاً، ذكراً و أنثىٰ، و قيل ألواناً، و قيل يدخل في هذا كلّ زوجٍ من قبيح و حسن، و طويل و قصير لتختلف الأحوال، فيقع الأخبار فيشكر الفاضل و يصبر المفضول.



الرّابع: قوله وَ **جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا** أي نعاساً و هو النّوم القليل، النُّعاس في الآية عبارة عن السُّكون و الهدوء إشارة إلى **قول النّبي، طوبى لكلّ عبدٍ نومة، و قيل السُّبات الرّاحة أي جعلنا نومكم راحةٌ لأبدانكم.**

أقول لا فرق في المعنيين والمأل فيهما إلى شئٍ واحدٍ و هو الرّاحة لأنّ النُّعاس أوّل النّوم و قد يعبّر عنه بالنّوم الخفيف الّذي تطلب النّفس في أولّه الرّاحة به و كيف كان لا شكّ في أنّ النّوم يوجب الرّاحة للنَّفس و الجسم في

الإنسان و الحيوان و هذا أمرٌ محسوسٌ لكلّ أحدٍ من أحاد البشر بل لكلّ حيوانٍ له جسم و روح و على هذا فالنَّوم راحة لكلّ حيوان له جسم و روح و أمّا الموجود الحيّ المجّرد عن المادّة فلا يحتاج إلى النّوم إذ لا جسم له حتّى يحتاج إلى الإستراحة و لذلك لا نوم للمجرّدات كالملائكة و لأجل هذا قال تعالى: **وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا** أي نوم البشر و إن شئت قلت نوم الحيوان، فلا تدخل في الآية جميع ما في الأرض من الجماد و النَّبات.

الخامس: قوله **وَ جَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبَاسًا** فكما أنّ اللّباس للإنسان غطاء ساتر مماسٌ لما ستر، كذلك اللّيل ساتراً للأشخاص بظلمته ممّاسٌ بجسمه الّذي فيه الظُّلمة.

و قال الطّبري معناه تلبسكم ظلمة اللّيل و تغشاكم قال الشّاعر:

فلمّا لبسن اللّيل أو حين نبّضت　　　له من خدا أذانها و هو دالجُ

السّادس: قوله **وَ جَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا** معاش، بفتح الميم إسم زمان، أو هو مصدر بمعنىٰ العيش علىٰ تقدير حذف المضاف أي وقت معاشٍ و المعنىٰ جعلنا اللّيل متّصرفاً للعيش و العيش الإتّعاش الّذي تبقىٰ معه الحياة على حال الصّحة، و النّهار إتّساع الضّياء المنّبت في الأفاق و أصله من نهر الدَّم إذا وسع مجراه و منه النَّهر و هو المجرىٰ الواسع من مجاري الماء، قيل و فى خلق النّهار تَكين مِن التَّصرف للمعاش و فيه أعظم النِّعمة و أكبر الإمتحان و حاصل الكلام أنّ الإنسان في بقاءه و إدامة حياته يحتاج إلى الغذاء و الإستراحة فجعل اللّه النّهار لتحصيل المعاش و اللّيل للنَّوم و الإستراحة.

السّابع: قوله **وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا** يعني سبع سموات، و البناء جعل الطّاق الأعلى على الأدنى فالسّماء مبنية كهيئة القبة مزّينة بالكواكب المضيئة محكمةُ الخلق وثيقة البنيان فسبحان الّذي خلقها و زيَّنها و جعل بناها على هذه الصّفة لعباده و أمسكها فوق رؤوسنا بغير عمدٍ نراها فسبحان من يمسكها و هو قادرٌ عليها و مدّبرٌ لها.

الثّامن: قوله **وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** الوهّاج بفتح الواو الوَّقاد و هو المشتعل بالنُّور العظيم و قيل معناه، متلألأ، و المراد بالسَّراج الشّمس فأنّ اللّه تعالىٰ جعلها سراجاً للعالم يستضيئون به فالنّعمة عامّة لجميع الخلق هكذا قيل و يحتمل أن يكون المراد بالسّراج معناه العامّ الشّامل للسّراج في النّهار و هو الشّمس، و فى اللّيل و هو الكواكب المضيئة.

التّاسع: قوله **وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا** نقل المفسّرون من مجاهد و إبن عبّاس أنّ المعصرات الرّياح كأنّها تعصر السّحاب.

و قال الأخرون هي السّحاب و قوله: **ثَجَّاجًا**، قيل الثَّجاج الدّفاع في إنصبابه كثجّ دماء البدن و قيل معناه صبّاباً متتابعاً و المراد بالماء المطر، و إنصبابه على الأرض و علىٰ هذا فالمعنى أنزلنا مِن المعصرات أي الرّياح أو السّحاب ماءً ثجّاجاً، أي صبّاباً متتابعاً كما هو المحسوس في الأمطار، و الحقّ أنّ المراد بالمعصرات السّحاب لأنّ الماء منها لا من الرّياح إذ لا ماء في الرّيح.

قال في المفردات، إعتصرت، من كذا أخذت ما يجري مجرىٰ العصارة، ثمّ قال **وَ أَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ** اى السّحائب التّي تعتصر بالمطر أي تصّيب إنتهىٰ.

و هذا هو الحقّ فأنّ الرّياح تنتقل السّحاب من موضعٍ إلى موضع أخر لأنّها تعصر السّحاب و هو واضح ثمّ أنّ اللّه تعالى أشار إلىٰ ماٍ يتّرتب علىٰ المطر من الأثار فقال.

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا وَ جَنَّاتٍ أَلْفَافًا فالحبُّ بفتح الحاء المهملة و سكون الباء الزَّرع الّذي يحصد كالحنطة و الشّعير، و العدس و أمثالها، و أمّا النَّبات بفتح النُّون فهي مطلق ما ينبت من الأرض و لا يحصد كالحشيش، الحبَّ ما يزرع و النَّبات ما ينبت من الأرض من غير زرعٍ أي لا بذر له و الحقّ أن يقال كلّ ما يزرع و يحصد فهو الحبّ و ما سواه نبات.

و أمّا الجنّات فهي البساتين واحدها (جنّة) و هى البستان الملتّف بالشّجر و إلى هذا أشار بقوله: **أَلْفَافًا**، فأنّ الألفاف الأخلاط المتداخلة يدور بعضها علىٰ بعضٍ واحدها (لَفّ) يقال شجرٌ ملتّف و أشجار ملتّفة، و معنىٰ الآية إنّا أنزلنا الأمطار علىٰ الأرض، لنخرج منها بسبب الأمطار حبّاً، أي زرعاً قابلاً للحصاد و نباتاً للحيوانات، و جنّات ألفافاً، أي بساتين ملتّفةً بالأشجار المثمرة و غيرها و هذا هو الغاية من نزول المطر و إن شئت قلت أنزلنا المطر لنحيى به الأرض بعد موتها و من يقدر علىٰ إحياء الأرض الميتة يقدر على إحياء الإنسان بعد موته بطريقٍ أولىٰ ثمّ قال تعالىٰ بعد عدّه النِّعم التّي أنعم بها علىٰ عباده.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا

يوم الفصل يوم القيامة إذ فيه يفصل بين الحقّ و الباطل، و يفصل اللّه فيه بالحكم بين الخلائق، **والمِيقات** بكسر الميم مصدر ميمّي مأخوذٌ من الوقت قيل هو منتهى المقدار المضروب لوقت حدوث أمرٍ من الأمور و الأصل فيه، المواقة، لأنّه من الوقت كالميعاد من الوعد و الميزان من الوزن و المقدار من القدر و المفتاح من الفتح و هكذا، أبدلت الواو ياءً لكسرة ما قبلها فصارت ميقاتاً.

و قال بعض علماء اللّغة هو الوقت المحدود للفصل ثمّ أستعير للمكان و منه مواقيت الحجّ، و معنى الآية أنّ يوم القيامة هو الوقت المضروب للحساب و الجزاء و الثّواب و العقاب و فى ذكر هذه الآية بعد الأيات المذكورة التّي أشار اللّه تعالىٰ فيها إلى أصول النِّعم التّي أنعم بها علىٰ عباده نقطةٌ خفيّةٌ لا بأس بالإشارة إليها إجمالاً فنقول:

من الأصول المسلّمة عند جميع العقلاء وجوب شكر المنعم وجوباً عقليّاً و هذا ممّا لا خلاف فيه سواءٌ كانت النّعمة قليلة أم كثيرة و سواء كانت من الخالق أم من المخلوق فأنّ القواعد العقليّة لا تخصيص فيها أصلاً و قد ورد في الأخبار أن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق.

ثمّ أنّ الشّكر علىٰ النّعمة يتفاوت في حقّ الشّاكر بتفاوت النّعمة قلةً و كثرةً و قدراً و لا شكّ أنّ النّعم الإلٰهيّة أعظم قدراً و أكثر عدداً كما قال تعالىٰ: **وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللّٰهِ لا تُحْصُوهٰا**(١).

منها، نعمة الوجود و هى من أفضلها و أشرفها و لا يقدرون علىٰ إعطائها غير اللّه تعالى.

و منها، نعمة خلق الأرض و جعلها مهداً للأنام.

و منها، نعمة العقل.

و منها، الصّحة و الأمان.

و منها، المال و الأولاد، و هكذا غيرها ممّا لا يحصىٰ، و إذا كان كذلك فالعقل السّليم يحكم بوجوب الشُّكر عليها، و الشُّكر فرع على معرفة المشكور له و هو معطي النِّعم، فيجب معرفته و أنّه لا شريك له في الملك و لا إلٰه غيره و أنّه الخالق القادر الحكيم و بالجملة معرفة اللّه و معرفة صفاته، ثمّ معرفة رسله و أنبيائه الّذين أرسلهم لهداية الخلق و إرشادهم إلى الحقّ و أنّهم قالوا ما قالوا من اللّه لا من عند أنفسهم، فمن لا يعرف اللّه و رسله لم يشكر الخالق و من كان كذلك فهو خارجٌ عن مقام الإنسانيّة لأنّه لم يعمل بوظائفه العقليّة و الشّرعية فهذا الإنسان يحتاج إلى يوم الفصل عقلاً ليُسأل عنه لم خالف عقله ولم يشكر ربّه و اليوم الفصل هو يوم القيامة فكأنّ اللّه تعالى يقول لعباده في هذه الآية و أمثالها، أيّها الإنسان الكافر بنعم اللّه في الدّنيا، ميقاتنا يوم القيامة.

و لأجل هذا قال: **إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كٰانَ مِيقٰاتًا** و كأنّ الإنسان يقول و ما يوم الفصل و ما علاماته، فقال تعالىٰ:

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجًا

١- ابراهيم = ٣٤

أي جـماعة مـن جـماعة و جـماعات مـن جـماعات، فـالفوج جـماعة، و الأفواج جماعات و هو يوم البعث و الصُّور قرنٌ ينفخ فيه و قد مضى الكلام فيه سابقاً و النّافخ هو إسرافيل و هذا إحدىٰ العلامات لمجئ يوم الفصل.

وَ فُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا

الفتح الشَّق و المعنٰ و شقّقت السّماء كقطع الأبواب، و قيل صار فيها طرق و لم يكن كذلك قبل. و قال بـعض المـفسّرين فـتحت أبـواب السّـماء لنـزول الملائكة.

و قيل معناه تقطّعت فكانت قطعاً كالأبواب و هو العلامة الثّانية لمجئ يـوم الفصل.

وَ سُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا

معناه أزيلت الجبال عن أماكنها و أذهب بها حتّى صارت كـالسّراب و هـو اللاّشئ المحض كما قال تعالىٰ: **كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً**[١] و قـيل، سيِّرت، أي نسفت عن أصولها، و هذا هو العلامة الثّـالثة ليـوم الفـصل، و بـعد تحقّق هذه العلامات قال تعالىٰ:

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا

الِمرصاد بكسر الميم، مفعال من الرَّصد، فـالمرصاد هـو المـعدّ لأمـرٍ عـلىٰ إرتقاب الوقوع فيه، و قيل أنّها أي جهنّم ذات إرتقابٍ لأجلها تراصدهم بنكالها و الرَّصد عمل ما يتّرقب به الإحتساب.

و قال بـعضهم الرَّصـد كـلّ شـئ كـان إمـامك و الحـاصل أنّ جـهنّم مـعدّةٌ متّرصدةٌ لهم و التَّرصد التّرقب و الإنتظار.



١- النّور = ٣٩

لِلطّٰاغِينَ مَاٰبًا

فالمأب المرجع يقال، أب يؤوب، أوبة، إذا رجع و الطّاغين، جمع طاغي، من طغى في دينه بالكفر أو في دنياه بالظُّلم، و المعنىٰ أنّ مرجع الكفّار و الظّالمين الطّاغين، جهنّم و ما فيها من أنواع العذاب.

لٰابِثِينَ فِيهٰآ أَحْقٰابًا

اللَّبث المكث و الأحقاب جمع حقب و هو الدّهر فالأحقاب الدُّهور و قيل الحقب بالضّم و السّكون في القاف، ثمانون سنة أكثر من ذلك، أو أقلّ و المعنى، لابثين فيها أحقاب الأخرة الّتي لا نهاية لها فحذفت الأخرة لدلالة الكلام عليه و الأقوال في المقام كثيرة لا فائدة في نقلها.

لٰا يَذُوقُونَ فِيهٰا بَرْدًا وَ لٰا شَرٰابًا

قيل البرد هاهنا النَّوم فكأنّهم فيها لا ينامون من شدّة العذاب و لا يجدون شراباً يشربوه.

و قال الزّجاج أي لا يذوقون فيها برد ريحٍ و لا ظلٍّ و لا نوم، فجعل البرد برد كلّ شئٍ له راحةٍ، كما قال الشّاعر:

فلاً الظّل من برد الضُّحى تستطيعه و لا الفيىء أوقات العشّيتذوق

و الآية جملة في موضع الحال من الطّاغين أو نعتٌ للأحقاب، و الأحقاب ظرف زمانٍ و العامل فيها (لابثين).

إِلّٰا حَمِيمًا وَ غَسّٰاقًا

إستثناءٌ منقطع في قول من جعل البرد النَّوم و من جعله من البرودة كان بدلاً منه و **الحَميم** بفتح الحاء الماء الحارّ و الغسّاق صديد أهل النّار وقيحهم و قيل الزَّمهرير و المعنى لا يذوقون فيها شراباً إلاّ الماء الحارّ و صديد أهل النّار وقيحهم، فهذا شرابهم فيها.

جَزَآءً وِفَاقًا

قيل معناه وافق جزاءهم أعمالهم فالوفاق الجاري على المقدار و قد جار على مقدار الأعمال في الإستحقاق و جزاء نصب على المصدر أي جازيناهم جزاءً وافق أعمالهم و قال مقاتل وافق العذاب الذّنب و لا ذنب أعظم من الشِّرك و لا عذاب أعظم من النّار.

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا، وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا

علَّل اللّه تعالىٰ عذابهم في جهنّم بأمرين:

أحدهما: إنكارهم الحساب و الجزاء يوم القيامة.

الثّاني: تكذيبهم آيات اللّه و ذلك لأنّ إنكار الحساب و الجزاء هو إنكار القيامة الّتي صرَّحت آيات الكتاب بوقوعها فمن أنكر الحساب أنكر الكتاب و آياته و من أنكر الكتاب و كذَّب الأيات ففي الحقيقة أنكر اللّه و أنكر رسوله و أنكر مواعيده و من كان كذلك فهو كافرٌ لا دين له فلذلك يجزىٰ بما يجزىٰ من العذاب و الخلود في النّار، و الكذّاب بكسر الكاف و تشديد الذّال قال الفرّاء هي لغة يمانيَّة يقولون، كذّبت به كذّاباً، و خرّقت القميص خرّاقاً و كلّ فعلٍ في وزن (فعَّل) فمصدره (فعّال) مشدَّدٌ في لغتهم فعلى هذا (كذّاباً) مصدر و أمّا في سائر اللُّغات فالمصدر، في (كذَّب) التَّكذيب يقولون كذَّب تكذيباً، هذا ما قاله الفرّاء.

وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا، فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا

فمن نصب اللاّم في **كُلَّ شَيْءٍ** جعله مفعولاً لفعلٍ محذوف يدلّ عليه المذكور و التّقدير و أحصينا كلّ شيئٍ أحصيناه، و من رفع اللاّم، فهو على الإبتداء و أمّا نصب **كتاباً** فهو على المصدر لأنّ المعنى أحصينا كتبنا أي كتبناه كتاباً ثمّ أنّهم إختلفوا في معنىٰ المراد بهذا الكتاب فقيل المراد به العلم فأنّ ما

كتب كان أبعد من النّسيان و قيل أي كتبناه في اللّوح المحفوظ، و قيل أراد ما كتب على العباد من أعمالهم و علىٰ هذا فهذه كتابة صدرت عن الموكّلين بالعباد من الملائكة فمعنىٰ الآية كلّ ما عملتم به في الدُّنيا فهو مكتوبٌ عندنا إمّا في اللّوح المحفوظ و إمّا في صحيفة أعمالكم ممّا صدر عن الملائكة الموّكلين بكم، فذوقوا العذاب في جهنّم فلن نزيدكم فيها إلاّ العذاب اللائق بكم بسبب أعمالكم فما ربّك بظّلامٍ للعبيد، و الىٰ هذا المعنىٰ أشار اللّه تعالىٰ بقوله:

كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُودًا غَيْرَها[١].

و قال اللّه تعالى: **كلمّا خَبَت زِدناهُم سعيراً**[٢] و غيرها من الأيات.

لمّا بيَّن اللّه تعالىٰ أحوال الكفّار و الظّالمين الطّاغين يوم القيامة بيَّن أحوال المتّقين الموّحدين المؤمنين باللّه و رسوله و يوم القيامة.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازًا، حَدٰآئِقَ وَ أَعْنٰابًا، وَكَواعِبَ أَتْرٰابًا، وَكَأْسًا دِهٰاقًا، لٰا يَسْمَعُونَ فيهٰا لَغْوًا وَ لٰا كِذّٰابًا، جَزٰآءً مِنْ رَبِّكَ عَطٰآءً حِسٰابًا

وعد اللّه المتّقين وهم الّذين فعلوا و عملوا الطّاعات و تركوا المعاصي و المحرّمات، مفازاً، أي موضع فوزٍ و نجاةٍ و خلاصٍ يوم القيامة ممّا فيه أهل النّار من العذاب و أصل الفوز النّجاة الىٰ حال السّلامة و السُّرور و أيُّ فوزٍ أحسن من الدُّخول في الجنّة و النّجاة من عذاب جهنّم يوم القيامة **حَدٰآئِقَ وَ أَعْنٰابًا** فالحدائق جمع حديقة و هى البستان المشجّر بأنواع الأشجار المثمرة و قيل الحديقة الجنّة و البستان المحوّطة و منه أحدق القوم بفلان إذا أطافوا به، و الأعناب جمع عنب و هو ثمر الكرم قبل أن يجُّف فإذا جُفّ فهو الزّبيب و نظيره الرُّطب ثمر النّخل قبل أن يصير تمراً فإذا صار تمراً زال عنه إسم الرُّطب

١- النساء = ٥٦
٢- الاسراء = ٩٧

و معنى الآية أنّ للمتّقين يوم القيامة البساتين المحوّطة الملتفَّة بالأشجار و الأعناب و إنّما جمع الأعناب لأنّ العنب أنواع و أقسام مختلفة لوناً و طعماً **وَ كَوٰاعِبَ أَتْرٰابًا** قال إبن عبّاس الكواعب النَّواهد، واحدها (كاعِب) الجارية الّتي نهد ثدياها يقال كعب ثدي الجارية و نهد إذا إبتدأ بخروج حسن، و الأتراب جمع (ترب) و هى الّتي تنشأ مع لذتّها علىٰ سنّ الصّبي الّذي يلعب بالتّراب فكأنّه قيل هم علىٰ سنٍّ واحدة، و قيل الأتراب الأقران في السِّن **وَ كَأْسًا دِهٰاقًا** فالكأس الإناء إذا كان فيه شراب و قيل الكأس إناء الخمر الّذي يشرب منه فأن لم يكن فيه خمر لم يكن كأساً و قوله: **دِهٰاقًا** أي مترعة مملوءة يقال، أدهقت الكأس أي ملئتها، و كأسٌ دهاق أي ممتلئة، و قال الشّاعر:

الا فاسقني صرفاً سقاني السّاقى … من ماءها بكأسك الدِّهاق

و قال الأخر:

أتانا عامرُ يسقي قِراناً … فأترَعنا له كأساً دِهاقاً

لٰا يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْوًا وَ لٰا كِذّٰابًا أي لا يسمعون المتّقون في الجنّة كلاماً لغواً لا فائدة فيه و لا كذّاباً، أي و لا تكذيب بعضهم لبعضٍ و من قرأ، كذاباً، بالتّخفيف أراد مصدر، كاذبة و كذاباً و منه قوله الشّاعر حيث قال:

فصدقتني وكذبتنى … و المرء ينفعه كذابه

و أنمّا قال ذلك لأنّ أهل الجنّة إذا شربوا لم تتّغير عقولهم فلم يتكلّموا بلغوٍ بخلاف أهل الدُّنيا هكذا قيل و الأحسن أن يقال أنّ شراب أهل الجنّة ليس من جنس شراب الدُّنيا فلا يتّرتب عليه من الأثار ما يترّتب علىٰ شراب الدُّنيا من السُّكر الّذي هو من عوارضه الذّاتية و قد ثبت أنّ الذّاتي غير معللٍ **جَزٰآءً مِنْ رَبِّكَ عَطٰآءً حِسٰابًا** أي أنمّا أعطينا المتّقين من الثّواب يوم القيامة، جزاءً من ربّك، علىٰ تصديقهم اللّه و نبيّه و فعلهم الطّاعات و تركهم المعاصي **عَطٰآءً حِسٰابًا** أي نحاسب أعمالهم فإنّ كلّ إنسانٍ يجزىٰ علىٰ قدر عمله من النّبيين و

الصدّيقين و الشّهداء و الصّالحين، فإنّ النّاس يجزون بأعمالهم و هذا هو مقتضىٰ العدل و ما زاد عليه فهو فصلٌ.

رَبِّ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمٰنِ لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰابًا

من رفع الرّب، جعله مبتدأ و جعل الرّحمٰن خبره أي ربّ السّموات، الرّحمن، و من جرَّ الباء ردَّه علىٰ قوله: **مِنْ رَبِّكَ** في الآية السّابقة أي جزاءً من ربّك ربّ السّموات و الأرض و جعل الرّحمٰن (جرّاً) بأنّه نعته أي ربّ السّموات و الأرض الموصوف بالرّحمن أي ربّ السّموات و الأرض متّصفٌ بالرّحمانية و علىٰ التّقديرين معنى الآية أنّ الحكم يوم القيامة للّه تعالىٰ و قيل أنّ التّقدير (هو ربّ السّموات والأرض) و يكون الرّحمٰن مبتدأ، ثانياً، و قرأ الكسائي و حمزة و عاصم (ربِّ السّموات) خفضاً على النّعت و (الرّحمٰن) رفعاً علىٰ الإبتداء أي هو الرّحمٰن و المعنىٰ علىٰ جميع القرآت واحد و هو أنّ الأمور يوم القيامة بيد اللّه و الحاكم بين الخلائق خالقهم لا غيره، فقوله: **لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰابًا** أي لا يملكون السّؤال إلاّ فيما أذن اللّه لهم، و قال الكسائي لا يملكون منه خطاباً بالشّفاعة إلاّ بإذنه تعالى و هذا ممّا لا شكّ فيه لمن إعتقد بالتّوحيد و المعاد و ذلك لأنّ اللّه هو مالك الدُّنيا و الأخرة لأنّه تعالىٰ خلقهما و أوجدهما و المالك يحكم في ملكه و مملوكه بما شاء و أراد و لا حكم لغيره إلاّ بإذنه من الأصول العقليّة الّتي لا خلاف فيها و بعبارةٍ أخرىٰ الحكم له و ما سواه كائناً من كان محكومٌ بحكمه فكيف يملك شيئاً و هو مملوكٌ لغيره و العبد و ما في يده كان لمولاه، و لأجل ذلك قال تعالىٰ: **لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰابًا** أي خطابٍ كان.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَ ٱلْمَلاٰئِكَةُ صَفًّا لاٰ يَتَكَلَّمُونَ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَ قٰالَ صَوٰابًا

قيل التّقدير (أذكر يوم يقوم الرُّوح) و هو جبرائيل و قيل هو ملكٌ من أعظم الملائكة خلقاً.

و قال قتادة، الرُّوح بنو أدم.

و قال إبن عبّاس أرواح بنيأدم مع الملائكة فيما بين النَّفختين قبل ردّ الأرواح إلىٰ الأجساد و قوله: **وَ ٱلْمَلَآئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ** أي لا يتكلّمون من عند أنفسهم أي **إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ** يتكلّمون بعد الإذن لهم في الكلام **وَ قَالَ صَوَابًا** فالصَّواب موافقة الغرض الحكمي كأنّه إصابة ذلك الغرض الّذي تدعوا إليه الحكمة و نقيضه الخطأ و هو مخالفة الغرض الحكمي هكذا فسَّر الكلام في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين يوم، نصب على الظَّرف أي اليوم الّذي لا يملكون منه خطاباً، يوم يقوم الرُّوح و الملائكة صفّاً، و قوله: **لَا يَتَكَلَّمُونَ** أي لا يشفعون **إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ** في الشّفاعة لقوله تعالى: **مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**(١) و قال صواباً، يعني حقّاً.

و قال مجاهد و غيره قول الصّواب، لا إله إلاّ اللّه.

و قال إبن عبّاس يشفعون لمن قال: **لا إله إلاّ اللّه**.

أقول ما ذكره المفسّر خارج عن مفهوم الآية و ألفاظها إذ ليس في الأية قبلها ذكرٌ من الشّفاعة و حمل التَّكلم علىٰ التّكلم بالشّفاعة لا وجه له ثمّ أنّ ما نقله عن إبن عبّاس في تفسير الصّواب بقوله: **لا إله إلاّ اللّه** و أنّهم يشفعون لمن قال ذلك شططٌ من الكلام إذ لو كان الأمر علىٰ هذا المنوال لزم دخول جميع المسلمين في الجنّة لأنّهم قالوا به و يقولون، و لازم ذلك إختصاص العذاب و الدّخول في النّار و الخلود فيها بالكفّار و المشركين و لا أظنّ أنّ إبن عبّاس مع فضله و علمه و إحاطته بالأيات قال ذلك ألم يعلم إبن عبّاس أنّ في المسلمين

١- البقرة = ٢٥٥

من هو أشدُّ عذاباً يوم القيامة من أبي جهل و أبي لهب و أمثالهما من الكفّار مع أنّهم كانوا يقولون لا إلٰه إلاّ اللّه كثيراً مثل أبي سفيان و معاوية و يزيد و عبدالملك و أمثالهم من الخلفاء الظّالمين علىٰ الإسلام و المسلمين فمن الّذي يشفع لهم، اللّهم إلاّ أن يقال معنىٰ قوله هو أنّ اللّه لو أذن لأبي سفيان يالشّفاعة فإنّه يشفع لهؤلاء الأرجاس.

و الّذي نقول في معنى الآية أنّ التّكلم يوم المحشر لا يكون إلاّ بإذن اللّه و أمّا أنّ التّكلم ما هو و المتكلّم أيُّ شيءٍ يقول، و من المأذون به من عند اللّه فهو خارج عن فهمنا و علمنا و الآية أيضاً ساكتةٌ عنه فنقول أسكتوا عمّا سكت اللّه عنه، و اللّه أعلم.

ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا

ذلك إشارة إلىٰ اليوم الّذي وصفه بقوله: **يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَ ٱلْمَلَآئِكَةُ** الآية و المعنى ذلك اليوم الّذي يقوم فيه الرُّوح إلى أخر الآية اليوم الحقّ الّذي لا شكّ في كونه و حصوله.

فَمَنْ شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا أي مرجعاً بالعمل الصّالح و فيه إشارة إلىٰ أنّ العبد قادرٌ علىٰ إتّخاذ المأب و تركه و هو دليل علىٰ أنّه فاعلٌ مختار مجبوراً في قوله و فعله لأنّ اللّه تعالىٰ يقول فمن شاء، فلو كان مجبوراً في قوله و فعله فما معنى المشيّة و هو ظاهرٌ.

إِنَّآ أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا

و العذاب عذاب الأخرة و كلّ ما هو، أتٍ، فهو قريب بل المستقبل المحقّق الوقوع في حكم الماضي و لذلك قال تعالىٰ: **اِقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَ ٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ**(١)

١– القمر = ١

و الإنذار التَّخويف من ذلك اليوم الّذي لا ينفع فيه مال و لا بنون إلاّ من أتىٰ اللّه بقلبٍ سليم، كما أشار اللّه إلىٰ هذا المعنىٰ بقوله:

يَوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ مٰا قَدَّمَتْ يَداٰهُ وَ يَقُولُ ٱلْكٰافِرُ يٰا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراٰبًا

لمّا قال تعالىٰ: **إِنّٓا أَنْذَرْنٰاكُمْ عَذاٰبًا قَرِيبًا**، فكأنّه قال الكافر المُنكِر لذلك اليوم، متى يكون ذلك العذاب القريب، فقال تعالى: **يَوْمَ يَنْظُرُ ٱلْمَرْءُ** و هو الرّجل و لم يذكر المرأة مع أنّها أيضاً داخلة في الحكم لأجل التّكليف، من باب التّغليب أي تغليب الرّجل علىٰ المرأة فالمراد بالمرء الإنسان المكلّف بالتّكليف الشّرعي و العقلّي و لا فرق فيه بين الذّكر و الأنثى نعم المجانين و هم الّذين لا عقل لهم خارجون عن الحكم خروجاً تخصصياً لا تخصيصيّاً لعدم وجود الملاك و هو العقل فيهم **مٰا قَدَّمَتْ يَداٰهُ** أي ينظر الإنسان إلى أعماله في الدُّنيا التّي دوّنت في صحيفة أعماله و فيه إشارة بل دلالة و صراحة بأنّ الأخرة دار جزاء و حساب و لا عمل فيها.

قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: **اليوم عملٌ و لا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل**. و لذلك قال تعالىٰ: **قَدَّمَتْ يَداٰهُ** أي في الدُّنيا للأخرة.

وَ يَقُولُ ٱلْكٰافِرُ يٰا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراٰبًا أي لم أخلق ولم أوجد ولم أر ذلك اليوم الّذي فيه العذاب و العقاب و من المعلوم أنّ هذا التّمني لا فائدة فيه إلاّ الحسرة و النّدامة و هذا ظاهرٌ.

فعن كتاب علل الشّرائع بأسناده إلىٰ عباية بن ربعي قال قلت لعبد اللّه بن عبّاس لم كنّى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عليّاً أبا تراب، قال لأنّه صاحب الأرض و حجّته علىٰ أهلها بعد رسول اللّه وبه بقائها و إليه سكونها و لقد سمعت رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول إذا كان يوم القيامة و رأى الكافر ما أعدَّ اللّه لشيعة علّيٍ من الثّواب الزُّلفى و الكرامة يقول

ياليتني كنت تراباً، أى من شيعة علّيٍ و ذلك قول اللّه عزّ وجلّ يقول الكافر ياليتني كنت تراباً إنتهىٰ.

■

سُورَةُ النّازِعاتِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلنّٰازِعٰاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَ ٱلنّٰاشِطٰاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَ ٱلسّٰابِحٰاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرّٰاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرّٰادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واٰجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ ءَإِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحٰافِرَةِ ﴿١٠﴾ ءَإِذٰا كُنّٰا عِظٰامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قٰالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خٰاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمٰا هِيَ زَجْرَةٌ واٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ مُوسىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نٰادٰيهُ رَبُّهُ بِالْواٰدِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اِذْهَبْ إِلٰى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغٰى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلىٰ أَنْ تَزَكّٰى ﴿١٨﴾ وَ أَهْدِيَكَ إِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى ﴿١٩﴾ فَأَرٰيهُ ٱلْاٰيَةَ ٱلْكُبْرٰى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَ عَصٰى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعٰى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنٰادٰى ﴿٢٣﴾ فَقٰالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلٰى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللّٰهُ نَكٰالَ ٱلْاٰخِرَةِ وَ ٱلْأُولىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ



أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَيٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّيٰهَا ﴿٢٨﴾ وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَيٰهَا ﴿٢٩﴾ وَ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحيٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَ مَرْعيٰهَا ﴿٣١﴾ وَ ٱلْجِبَالَ أَرْسيٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرٰى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسَانُ مَا سَعٰى ﴿٣٥﴾ وَ بُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرٰى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغٰى ﴿٣٧﴾ وَ اٰثَرَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوٰى ﴿٣٩﴾ وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوٰى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوٰى ﴿٤١﴾ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسيٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْريٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلٰى رَبِّكَ مُنْتَهيٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشيٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحيٰهَا ﴿٤٦﴾

◀ اللّغة

وَ ٱلنَّازِعَاتِ: نزع الشّئ جذبه من مقّره كنزع القوس عن كبده و النّـازعات هي الملائكة التّي تنزع الأرواح عن الأشباح.

غَرْقًا: أي إغراقاً و إبعاداً في النَّزع.

وَ ٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطًا: يقال نشط في عمله ينشط، أي خفَّ و أسرع و المراد الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تحلّها برفقٍ كما ينشط العقال من يد البعير

وَ ٱلسّٰابِحٰاتِ سَبْحًا: السَّبح بفتح السّين المرور بغوصٍ في الماء أو مطلق المائع.

فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقًا: مأخوذٌ من السَّبق و هو التَّقدّم.

فَٱلْمُدَبِّرٰاتِ: من التَّدبير فالمدّبر من يدّبر الأمور و المراد الملائكة تدبّر الأشياء.

تَرْجُفُ: الرَّجف حركة الشَّيء بترديدٍ و إضطراب و منه الرَّجفة الزَّعزعة الشدّيدة.

ٱلرّٰادِفَةُ: هي الكائنة بعد الأوَّل في موضع الرّدف من الرّاكب.

وٰاجِفَةٌ: أي منزعجة مضطربة يقال أوجف في السّير إذا أزعج الرّكاب فيه.

فِى ٱلْحٰافِرَةِ: يقال رجع فلان في حافرته و على حافرته أي رجع من حيث جاء فالحافرة الرُّجوع إلىٰ القهقرىٰ.

نَخِرَةً: بفتح النُّون و كسر الخاء أي بالية متفتِّة يقال نخر العظم بالكسر أي بلى، و تفتّت.

بِالسّٰاهِرَةِ: أي علىٰ وجه الأرض و قيل بالسّاهرة أي من بطن الأرض طُوًى هو وادٍ بين المدينة و مصر، و قيل ضمِّها وكسرها لغتان.

أَدْبَرَ: الإدبار الإعراض.

نَكٰالَ ٱلْآخِرَةِ: النَّكال بفتح النُّون العقوبة.

سَمْكَهٰا: فالسَّمك بفتح السّين الإرتفاع و هو مقابل العمق أي رفع أعلىٰ سقفها في الهواء.

أَغْطَشَ: يقال غطش اللّيل و أغطشه اللّه أي ظلم و أظلمه اللّه فالغطش الظُّلمة.

دَحيٰهٰآ: أي بسطها و منه دحو الأرض.

مَرْعيٰهٰا: أي النّبات الّذي يرعىٰ و المرعىٰ مكان الرَّعي.

ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ: الطّامة القيامة العظمىٰ.

ءَاثَرَ: أي إختار و رجَّح.

مُرْسَيٰهَا: أي متىٰ يكون قيامها.

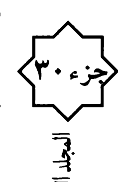
◀ الإعراب

غَرْقًا مصدر علىٰ المعنىٰ أي محذوف الزّيادة، أي إغراقاً، أَمْرًا مفعول و قيل حال يَوْمَ تَرْجُفُ مفعول أي أذكر يوم ترجف نَكَالَ ٱلْأٰخِرَةِ مفعول له أَمِ ٱلسَّمَآءُ مبتدأ و الخبر محذوف أي أشد وَ ٱلْأَرْضَ، منصوب بفعل محذوف أي دحا الأرض و كذلك ٱلْجِبَالَ أي و أرسى الجبال مَتَاعًا مفعول له أو مصدر و الباقي واضح.

◀ التّفسير

وَ ٱلنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَ ٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَ ٱلسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا

الواو في قوله: وَ ٱلنَّازِعَاتِ للقسم أقسم اللّه تعالىٰ بهذه الأشياء التّي عدَّدها، و قال قوم تقديره و ربّ النّازعات و ربّ النّاشطات و هكذا إلىٰ أخر ما ذكر بعدها، فالمقسوم عليه علىٰ القول الأوّل هو هذه الأشياء.



علىٰ الثّاني: هو الرَّب نفسه و الأقوىٰ القول الأوّل لأنّ التّقدّير خلاف الأصل لا يصار إليه إلاّ في مقام الضّرورة و لا إشكال في اليمين بهذه الأشياء للّه تعالىٰ و ذلك لأنّ اللّه يقسم بما يشاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به و قد مرَّ نظير ذلك في كثيرٍ من الأيات السّابقة.

قيل في وجه ذلك أنّه تعالىٰ يقسم بما شاء من خلقه للتّنبيه علىٰ موضع العبرة فيه إذ القسم يدلّ علىٰ عظم شأن المقسم به، ثمّ أنّ المراد بالنّازعات،

الملائكة التّي تنزع الأرواح من الأبدان و الأجساد فالنّازعات الجاذبات للشّئ من أعماق ما هو فيه و قيل المراد بالنّازعات النُّجوم التّي تنزع من أفق السّماء إلىٰ أفقٍ أخر و قيل هي القسّي تنزع بالسَّهم، و قيل هي النُّفوس حين تفرق في الصُّدور فالمعنىٰ علىٰ المشهور بين المفسّرين، أقسم بالملائكة التّي تنزع الأرواح من الأبدان و تخصيصه بأرواح الكفّار لا دليل عليه، و قوله: **غَرْقًا** فهو مصدر محذوف الزّيادة أي إغراقاً، أي إبعاداً في النَّزع، و إغراق النّازع في القوس أن يبلغ غاية المدّة حتّىٰ ينتهي إلىٰ النَّصل يقال أغرق في القوس أي إستوفى مدَّها و الإستغراق الإستيعاب.

وَ ٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا الواو أيضاً للقسم و إن كانت في الظّاهر للعطف في حكم المعطوف عليه فالتّقدير و أقسم بالنّاشطات و هى أيضاً الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلَّ عنه، و قيل النّاشطات الخارجات من بلدٍ إلىٰ بلدٍ بعيد الأقطار ينشط كما ينشط الوحش بالخروج من بلدٍ إلىٰ بلدٍ و الهموم تنشط بصاحبها أي تخرج به من حالٍ إلىٰ حالٍ.

و قال قوم هي النُّجوم تنشط من المشرق إلىٰ المغرب و قيل المراد الملائكة التّي تعقد الأمور من قولهم، نشطت العقدة و تخصيص النَّشط و هو العقد الّذي يسهل حلَّه تنبيهاً علىٰ سهولة الأمر عليهم.

أقول لا يبعد أن يكون المراد بها الملائكة التّي تقبض أرواح المؤمنين برفقٍ و سهولةٍ و اللّه أعلم.

وَ ٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا أي و أقسم بالسّابحات، السَّبح بفتح السّين مصدر، و هو مرُّ السَّريع في الماء و منه السّباحة و فى الهواء و لذلك أستعير لمرِّ النُّجوم في الفلك قال اللّه تعالىٰ: **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**[١] و لجري الفرس أيضاً و لعلَّ الآية من هذا القبيل، و قيل المراد بهما الملائكة تسبح في نزولها بأمر اللّه و قيل هي الخيل الغزاة في سبيل اللّه.

١- الانبياء = ٣٣

فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقًا قيل هي الملائكة لأنّها سبقت إلىٰ طاعة اللّه و قال قوم لأنّها تسبق الشّياطين إلىٰ الوحي، و قيل الموت يسبق الإنسان و قيل غير ذلك و الأحسن أن يقال المراد بها من سبق إلىٰ الخير و الطّاعة للّه و رسوله.

فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْرًا فالظّاهر أنّ المراد بلا مدّبرات الملائكة تدّبر الأشياء بأمر اللّه من الرّياح، و الأمطار و نحو ذلك من الأمور الحادثة.

و محصّل الكلام هو أنّ اللّه تعالىٰ أقسم بالنّازعات و النّاشطات و السّابحات و السّابقات و المدّبرات، ولم يذكر جواب القسم.

قال المفسّرون الجواب محذوف و هو (ليبعثنّ للحساب و الجزاء) أي أقسم بهذه الأمور أنّ البعث و الحساب و الجزاء و الثّواب و العقاب حقٌّ لا مرية فيه و حيث في المقام مظنّة سؤالٍ و هو السّؤال عن الوقت كأنّه قيل متى كان ذلك فقال تعالى في الجواب.

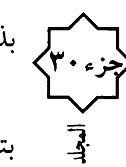
يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرّٰاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا ٱلرّٰادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واٰجِفَةٌ، أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَةٌ

ذكر اللّه تعالى في هذه الأيات علامات السّاعة ولم يذكر وقتها لقوله تعالىٰ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسّٰاعَةِ أَيّٰانَ مُرْسيٰها قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبّى**[١].

و قد ورد في الأخبار أنّه من العلم المخزون عند اللّه لا يعلمه إلاّ هو إكتفىٰ بذكر العلامات في هذه الأيات و غيرها.

منها، قوله: **يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرّٰاجِفَةُ** الرّجفة حركة الشّئ من تحت غيره بترديدٍ و إضطرابٍ و هى الزّلزلة العظيمة الشّديدة.

تَتْبَعُهَا ٱلرّٰادِفَةُ و هى الصّيحة قال إبن عبّاس هما الصّيحتان أي النّفختان أمّا الأولىٰ فتميت كلّ شئٍ بأذن اللّه و أمّا الثّانية فتحيى كلّ شئٍ بأذن اللّه.



١- الأعراف = ١٨٧

و قال مجاهد الرّادفة حين تنشقّ السّماء، و قيل الرّاجفة تحرّك الأرض و الرّادفة زلزلة أخرىٰ تغني الأرضين.

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ أي خائفةٌ و جلةٌ، و قال السُّدي، زائلةٌ عن أماكنها يقال وجف القلب إذا خفق.

أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَةٌ أي منكسرة ذليلة كما قال تعالىٰ: **خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**[١] فالضّمير في أبصارها يرجع إلىٰ (قلوب) و قيل المعنىٰ (أبصارها أصحابها) فحذف المضاف.

يَقُولُونَ ءَإِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحٰافِرَةِ

أي يقولون هؤلاء المكذّبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم أنّكم تبعثون قالوا منكرين متّعجبين أنرَّد بعد موتنا إلىٰ أوّل الأمر فنعود أحياء كما كنّا قبل الموت و هو كقولهم: **أَءِنّٰا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**[٢] و هذا معنىٰ الحافرة يقال رجع فلان في حافرته و علىٰ حافرته، أي رجع من حيث جاء قال الشّاعر:

أحــافرةٌ عـلىٰ صـلع و شـيبٍ   مـعاذ اللّـه مـن سـفهٍ و عـارٍ

و قيل، الحافرة العاجلة و هى الدُّنيا، أي وءأنّا لمردودون إلىٰ الدُّنيا فنصير أحياء كما كنّا قبل ذلك كما قال الشّاعر:

أليت لا أنســاكــم فأعــلموا   حـتّىٰ يـرّد النّاس في الحـافرة

و قيل الحافرة الأرض التّي فيها القبور ففهي بمعنى المحفورة كقوله تعالىٰ: **ماءٍ دافِقٍ** و عيشة راضية، أي ماء مدفوق و عيشة مرضيّة.

أقول مرجع الأقوال إلىٰ شئٍ واحد فأنّ الرُّجوع من حيث جاء كما قاله أكثر المفسّرين معناه الرّجوع إلىٰ الدُّنيا كما أنّ الأرض التّي فيها القبور أيضاً الدّنيا فقوله تعالىٰ حكايةٌ عنهم **ءَإِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحٰافِرَةِ** معناه العاجلة و كلمة (في) بمعنىٰ (إلىٰ) أي الحافرة.

١- القلم = ٤٢   ٢- الاسراء =٤٩

ءَإِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَةً

أي بالية متفتتّة في القبور، يقال نخر العظم بالكسر أي بلى و تفتّت، و قيل النّاخرة التّي أكلت أطرافها و بقيت أوساطها، و نخرة الرّيح بالضّم شدّة هبوبها

قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ

أي رجعة كاذبة باطلة خائبة، و قيل معناه، هي كرّة خسرانٍ، و المعنىٰ أهلها خاسرون و جواب (إذا) في قوله: **ءَإِذا كُنّا** محذوف و تقديره **ءَإِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَةً** أي بالية متفتتّة (لمبعوثون) ثمّ قال تلك إذاً كرّةٌ خاسرة، أي تلك الحياة بعد الممات إذاً كرّةٌ خاسرة أي عاطلة باطلة.

فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ

هذا من قول اللّه تعالىٰ أي أنّهم لمّا قالوا ما قالوا في إنكار البعث و أنّ الحياة بعد الموت كرَّةٌ خاسرة، فقال تعالىٰ لهم (فأنما هي) أي الكرَّة بعد الموت **زَجْرَةٌ واحِدَةٌ** أي نفخةٌ واحدة تتبعها نفخةٌ أخرىٰ كما قال تعالىٰ:

فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَةِ

أي علىٰ وجه الأرض بعد ما كانوا في بطنها و ذلك بعد النَّفخة الثّانية.

قال الفرّاء سميّت بهذا الإسم لأنّ في الأرض نوم الحيوان و سهرهم و العرب تسمّى الفلاة و وجه الأرض ساهرة بمعنىٰ ذات سهر كأنّه يسهر فيها خوفاً منها فوصفها بصفة ما فيها و منه قول الشّاعر:

وفيها لحم ساهرةٍ و بحرُ   و ما فاهو به لهم مقيمُ

و قال الأخر:

أقدم محاج أنّها الأساورة   و لا يهولنّك رجلُ نادرة

فأنّما قصرك ترب السّاهرة   ثمّ تعود بعدها في الحافرة

من بعد مصرت عظاماً نخرة (ناخرة).

هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ مُوسىٰٓ، إِذْ نَادٰيهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

هذا خطاب من اللّه تعالىٰ لنبيَّه يقول له (هل أتاك) يامحمّد حديث موسىٰ الإستفهام للتَّقرير أي قد جاءك و بلغك حديث موسىٰ و فى هذا الكلام تسليةٌ للنّبي ﷺ و ذلك أنّ فرعون كان أقوىٰ من كفّار قريش الّذين ءاذوا رسول اللّه ﷺ واللّه تعالىٰ أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر فكذلك هؤلاء الكفّار أي لا تحزن من أذاهم إيّاك و إستهزاؤهم بك و عنادهم و مخالفتهم و إنكارهم لك فإنّه ليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام فإنّ الأنبياء قبلك كانوا كذلك و أنّما أشار اللّه تعالىٰ من بين الأنبياء إلىٰ موسىٰ و من بين الكفّار إلىٰ فرعون لأنّ فرعون كان أقوى و أشد بأساً من سائر الكفّار فكان موسىٰ أخوف.

إِذْ نَادٰيهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى أي إذا دعا ربّه بالواد المقدّس طوىٰ، قيل وادٍ بين المدينة و مصر و ضمّ الطّاء وكسرها لغتان و قرأ الحسن طُوًى بكسر الطّاء.

اِذْهَبْ إِلٰى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغٰى

أي ناداه ربّه إذهب إلىٰ فرعون، و أرشده إلىٰ الحقّ **إِنَّهُ طَغٰى** أي جاوز حدَّه بإدّعائه الألوهيّة حيث قال أنا ربّكم الأعلىٰ.

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلٰىٓ أَنْ تَزَكّٰى

و تطهّر عن المعاصي و بعبارةٍ أخرىٰ أسلم فتطهّر من الذُّنوب.

وَ أَهْدِيَكَ إِلٰى رَبِّكَ فَتَخْشٰى

أي و أنا أهديك إلىٰ طريق الحقّ **فَتَخْشٰى** أي تخافه و تتّقيه.

فَأَرٰيهُ الْاٰيَةَ الْكُبْرٰى

و الآية الكبرىٰ قيل هي المعجزة و قيل العصا و اليد البيضاء.

فَكَذَّبَ وَ عَصَىٰ

أي كذَّب فرعون نبّوة موسىٰ و عصىٰ ربّه بإنكاره التّوحيد و النّبوة.

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ

أي ولّىٰ مدبراً معرضاً عن الإيمان باللّه و رسوله فالإدبار الإعراض و قوله: **يَسعىٰ**، أي أنّه لم يقنع بالإعراض فقط بل يسعىٰ في الفساد في الأرض، و قيل يعمل في حكاية موسىٰ.

فَحَشَرَ فَنَادَىٰ

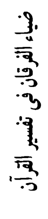
أي جمع النّاس فالحشر الجمع **فَنادَىٰ** أنّا ربّكم الأعلىٰ، أي لا ربّ لكم فوقي قيل كان صنع لهم أصناماً صغاراً و أمرهم بعبادتها ثمّ قال لهم أنا ربُّ أصنامكم.

فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَ ٱلْأُولَىٰ

أي نكال قوله، أنّا ربّكم الأعلىٰ وقوله: **مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إلٰهٍ غَيْرِي**[1] و قيل نكال الأولىٰ هو أن أغرقه و نكال الأخرة العذاب فيها، فالنّكال بفتح النّون العقاب.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ

ذلك إشارة إلىٰ ما ذكره اللّه من قصّة فرعون أي أنّ فيما ذكرناه من طغيان فرعون و إعراضه عن الحقّ و فساده في الأرض و تجاوزه عن الحدَّ، لعبرةً لمن يخشى، ربّه و إنّما إكتفينا بتفسير ألفاظ الأيات في قصّة فرعون، لأنّ البحث فيها قد مضىٰ سابقاً على وجه التّفصيل و بيَّنّا هناك ما وقع بين موسىٰ و فرعون من البدو إلىٰ الختم فلا وجه لتكراره ثانياً.



١- القصص = ٣٨

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَيٰهَا

الخطاب متّوجهٌ إلى من أنكر البعث من الكفّار و المعنىٰ ءأنتم أيّها الكفّار أشدَّ خلقاً بعد الموت أم السّماء بناها، في عظمِ جرمها و شأنها و نجومها و عجائب الخلقة فيها، قيل، بناها، من صلة السّماء و المعنىٰ أم التّي بناها، و قيل أنّ السّماء ليس ممّا يوصل، و المعنى ءأنتم أشدَّ خلقاً أم السّماء أشدَّ خلقاً ثمّ بيَّن كيف خلقها فقال بناها.

و حاصل الكلام إنّ من قدر علىٰ خلق السّماء قدر علىٰ إحياء الأموات يوم البعث فمعنىٰ الكلام التّقريع و التّوبيخ و إن كان بصورة الإستفهام ثمّ قال **بَنَيٰهَا**.

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّٰيهَا

فقوله: **بَنَيٰهَا** أي رفع السّماء فوقكم كالبناء و قوله: **رَفَعَ سَمْكَهَا** أي أعلىٰ سقفها في الهواء و السّمك الإرتفاع و قوله: **فَسَوّٰيهَا** أي خلقها خلقاً مستوياً فالتّسوية جعل أحد الشّيئين علىٰ مقدار الأخر علىٰ نفسه أو في حكمه.

وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَيٰهَا

أي و أظلم ليلها و أخرج أي أظهر ضوءها و نهارها بواسطة الشّمس كلّ ذلك بقدرة اللّه و حكمته و مشيّته.

وَ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَيٰهَآ

أي بسطها و منه دحو الأرض و يستفاد منه أنّ خلق الأرض بعد السّماء.

و قال إبن عبّاس أنَّ اللّه دحىٰ الأرض بعد السّماء و إن خلقت الأرض قبل السّماء

أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَ مَرْعَيٰهَا

أي أنَّ اللّه تعالىٰ أخرج من الأرض بقدرتها الكاملة، ماءها، أي العيون المنجرة في سطح الأرض وَ **مَرْعَيٰهَا** أي أخرج منها النّبات الّذي يرعىٰ، دلّتا على

شيئين، الماء و النّبات، ففي الحقيقة دلّتا على جميع ما أخرجه اللّه من الأرض، قوتاً و متاعاً للأنام من العشب و الشّجر و الحبّ و التّمر و العصف و الحطب و اللّباس و النّار و الملح لأنّ النّار من العيدان و الملح من الماء وَ **ٱلْجِبٰالَ أَرْسٰيهٰا**.

أي أثبتها علىٰ الأرض و فيها منافع لا تحصىٰ.

مَتٰاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ

أي أنَّ ما ذكرناه من الماء و النّبات متاعاً لكم ولأنعامكم من الإبل و البقر و الغنم، ففي الأشياء الّتي عدّدها أعظم دلالة و أوضح حجّةٍ علىٰ توحيد اللّه لأنَّ الأرض مع ثقلها الّذي من شأنه أن يذهب سفلاً هي واقفة بإمساك اللّه و هى على الماء و من شأن الماء أن يجري في المنحدر و هى واقفة بإمساك اللّه و جعل الأرض مسّطحة ليجري الماء عليها لإخراج النّبات منها و غير ذلك من الأثار **وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا**[۱].

فَإِذٰا جٰاءَتِ ٱلطّٰامَّةُ ٱلْكُبْرىٰ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ، وَ بُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ

فإذا جاءت الطّامة الكبرىٰ، و هى القيامة على قول إبن عبّاس و النّفخة الثّانية على قول الحسن، و الصّيحة الّتي تصمُّ على كلّ شيءٍ على قول الآخرين.

قال بعض المفسّرين الطّامة عند العرب الدّاهية الّتي لا تستطاع و إنّما أخذت من قولهم، طمَّ الفرس طميماً إذا إستفرغ جهده في الجري.

و يقال طمَّ الماء إذا ملأ النّهر كلّه، و قيل هي مأخوذة من طمَّ السّيل التركية أىّ دفنها، و الطَّم الدّفن، و قيل الطّامة الكبرى حين يساق أهل الجنّة إلى الجنّة و أهل النّار إلى النّار، و قيل هي السّاعة الّتي يسلم فيها أهل النّار إلىٰ الزّبانية أي الدّاهية الّتي طمّت و عظمت كما قيل:

۱- ابراهيم = ۳۴

أنّ بـعض الخـير يـعمي و يـصّم و كـذلك البعض أدهىٰ و أطم

قوله: **يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ** أي ما عمل من خيرٍ و شّرٍ في الدُّنيا و هو اليوم الّذي رأىٰ صحيفة أعماله في الأخرة.

وَ بُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ البروز الظُّهور أي ظهرت الجحيم لمن يراها ببصره.

أقول الحقّ أن يقال أنّ هاتين الأيتين فيهما بيان الطّامة الكبرىٰ، كانّه قيل و ما الطّامة الكبرىٰ، و متىٰ تكون فقال تعالىٰ: **يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسٰانُ** الىٰ قوله: **لِمَنْ يَرىٰ** و علىٰ هذا فالطّامة الكبرىٰ هي يوم القيامة ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ قسّم أحوال الخلق في ذلك اليوم و فرّق بين العصاة و المطيعين فقال.

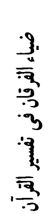
فَأَمّٰا مَنْ طَغىٰ

بأن تجاوز عن حدّه و سلك مسلك الشّيطان و تابع هواه و خالف ربّه.

وَ اٰثَرَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيا

أي إختار الدُّنيا علىٰ الأخرة، بإرتكاب المعاصي و ترك ما وجب عليه من الطّاعات.

فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوىٰ



أي النّار مثواه و مستّقرة و موضع مقامه، فالإيثار إرادة الشّئ على طريق التّفضيل علىٰ غيره و مثله الإختيار و النّاس صنفان، صنفٌ منهم آثر أي إختار و رجّح الحياة الدُّنيا علىٰ الأخرة و هو الأكثر وصنفٌ آثر و إختار الأخرة علىٰ الدُّنيا و هو الأقلّ كالأنبياء و الأوصياء و الصُّلحاء قال تعالىٰ: **وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبٰادِيَ ٱلشَّكُورُ**.

وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوىٰ

و ذلك لأنّهم آثروا الحياة الأخرة علىٰ الحياة الدُّنيا و هم الصّالحون من عباد اللّه لخوفهم من عذاب اللّه يوم القيامة و منعهم نفوسهم عن متابعة الهوىٰ و الأميال النّفسانية فأخبر اللّه تعالىٰ بأنّ مأواهم الجنَّة يوم القيامة فأولئك هم الفائزون و أيُّ فوزٍ أعظم منه.

و قد مرَّ الكلام في هذا الباب فيما مضىٰ غير مرّةٍ.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَىٰهَآ، إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰهَآ

أيّان، بمعنىٰ (مَتىٰ) و المعنىٰ يسألونك الكفّار و المشركين عن السّاعة و هى القيامة (أيّان) أي متىٰ **مُرْسَىٰهَا** أي قيامها على ما وصفها و كان سؤالهم عن قيام السّاعة إستهزاءً، قيل نزلت الآية في مشركي قريش، فقال تعالىٰ مخاطباً لنبيَّه: **فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَىٰهَآ** أصل **فِيمَ** فيما، حذفت الألف تخفيفاً، مثل، بم، ولم، و المعنىٰ أنّه ليس لك علمٌ بوقت قيامها و إنّما علمه عند اللّه قيل لم يزل النّبي لم يسأل عن السّاعة حتّىٰ نزلت الآية.

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰهَآ أي منتهى أمرها بإقامتها، و قيل المعنى، إلى ربّك منتهىٰ علمها أي لا يعلم إلاّ هو متى وقت قيامها.

إِنَّمَآ أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَىٰهَا، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا

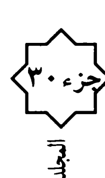
قال تعالىٰ لنبيّه: **إِنَّمَآ أَنْتَ مُنْذِرُ**، و مخوّفٌ إيّاهم و خصّ الإنذار بمن يخشى ربّه لأنّهم المنتفعون به و إن كان النّبي منذراً لكلِّ مكّلفٍ، و هو كقوله تعالىٰ: **إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ**(۱) و في الآية دلالة علىٰ أنّ وظيفة النّبي الإنذار و التّخويف من عذاب القيامة لا تعيين وقتها فأنّ

۱- يس = ۱۰

العلم بوقت قيام السّاعة مختصٌّ باللّه تعالى و على هذا فلا وجه لسؤالهم عن الوقت و أنّما غرضهم الإنكار و الإستهزاء ثمّ قال تعالىٰ: **كَأَنَّهُمْ** أي كأنَّ هؤلاء الكفّار **يَوْمَ يَرَوْنَهٰا** أي يوم يرون السّاعة **لَمْ يَلْبَثُوٓا** في الدُّنيا **إِلّٰا** و قدر عشيّةٍ **أَوْ ضُحيٰهٰا** أي أو قدر الضُّحى الّذي يلي تلك العشيّة و المراد تقليل مدّة الدُّنيا و المكث فيها أي كأنّهم لم يلبثوا فيها إلاّ يوماً واحداً، و فى هذا الكلام إشارة إلىٰ قلّة عمر الدُّنيا و المكث فيها و ما كان كذا لا يعتمد عليه فينبغي للعاقل أن لا يختار الدُّنيا الفانية على الأخرة الدّائمة الباقية، هذا و لنعم ما قيل:

إنّما الدُّنيا كظلٍّ زائلٍ   أو كضيفٍ بات فيها و إرتحل

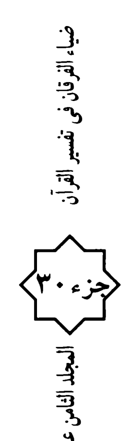
■



سُورَةُ عَبَس

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَ تَوَلّىٰٓ ﴿١﴾ أَنْ جٰآءَهُ ٱلْأَعْمٰى ﴿٢﴾ وَ مٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ ٱلذِّكْرىٰٓ ﴿٤﴾ أَمّٰا مَنِ ٱسْتَغْنىٰ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّىٰ ﴿٦﴾ وَ مٰا عَلَيْكَ أَلّٰا يَزَّكّىٰ ﴿٧﴾ وَ أَمّٰا مَنْ جٰآءَكَ يَسْعىٰ ﴿٨﴾ وَ هُوَ يَخْشىٰ ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّىٰ ﴿١٠﴾ كَلّٰآ إِنَّهٰا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شٰآءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرٰامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنْسٰانُ مٰآ أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذٰا شٰآءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلّٰا لَمّٰا يَقْضِ مٰآ أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسٰانُ إِلىٰ طَعٰامِهِٓ ﴿٢٤﴾ أَنّٰا صَبَبْنَا ٱلْمٰآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنٰا فِيهٰا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَ عِنَبًا وَ قَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَ حَدٰآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا ﴿٣١﴾ مَتٰاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذٰا



جٰاءَتِ ٱلصّٰآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخيهِ ﴿٣٤﴾ وَ أُمِّهِ وَ أَبيهِ ﴿٣٥﴾ وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضٰاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهٰاقَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

◀ اللُّغة

عَبَسَ: عبس الرَّجل يعبس عبوساً من باب ضرب، لوّىٰ، بشرته و قبض وجهه.

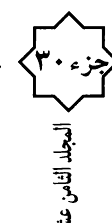
تَوَلّىٰ: التَّولي الإعراض و قال في المفردات قطوب الوجه من ضيق الصَّدر.

تَصَدّىٰ: التَّصدي هو التَّعرض للشّيَ كتَّعرض العطشان للماء.

تَلَهّىٰ: التَّلهي عن الشّيَ هو التَّروح بالإعراض عنه و التَّلهي به التَّروح و الإقبال عليه.

سَفَرَةٍ: واحدها، سافر، و السَّفرة ملائكة موَّكلون بالأسفار من كتب اللّه و أصله الكشف من الأمر يقال سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها.

كِرٰامٍ بَرَرَةٍ: فالكرام، بكسر الكاف واحدها، كريم، و البررة، بفتح الباء و الرّاء جمع بارٍّ بتشديد الرّاء تقول برَّ فلان به فهو بارّ، إذا أحسن إليه.



يَسَّرَهُ: أي سهَّل.

أَنْشَرَهُ: الإنشار الإحياء للتَّصرف بعد الموت.

صَبَبْنَا: أي الغيث و الأمطار.

قَضْبًا: القضب الرّطبة في قول الضّحاك.

غُلْبًا: الغلب بضمّ الغين جمع أغلب يقال شجرةٌ غلباء إذا كانت غليظة.

أَبًّا: الأبَّ بفتح الألف و تشديد الباء المرعى من الحشيش و سائر النّبات.
ٱلصَّآخَّةُ: قيل هي القيامة، و قيل هي النَّفخة الثّانية.
مُّسْفِرَةٌ: أي مكشوفة مضيئة من سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها.
غَبَرَةٌ: واحدها غبار، أي عليها غبار الغمّ و الحزن.
تَرْهَقُهَا: أي تغشّاها.
قَتَرَةٌ: أي كسوفٌ و سواد و القتر في كلام العرب الغبار.
ٱلْكَفَرَةُ: جمع كافر.
الْفَجَرَةُ: جمع فاجر.

◀ الإعراب

أَنْ جَآءَهُ أي لأن جاءه فَتَنْفَعَهُ بالرّفع عطفاً علىٰ يـذكر، و بـالنّصب عـلىٰ جواب التّمني في المعنى مَآ أَكْفَرَهُ تعجّبٌ أو إستفهام ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ مفعول فعلٍ محذوف أي يسّر السّبيل و يجوز أن ينصب بأنّه مفعول ثانٍ ليسّره مَآ أَمَرَهُ ما بمعنى الّذي و العائد محذوفٌ أي ما أمره به أَنَّا صَبَبْنَا عـلىٰ الإسـتئناف بكسـر الألف و بالفتح على البدل من طعامه.

◀ التّفسير

عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ، أَنْ جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ

معناه قبض وجهه و أعرض أن جاءه الأعمى، و هو من لا يبصر بالعين، لم يذكر فاعل الفعل و أنّما أخبر عن وقوع القضيّة، ولم يذكر أيضاً المراد بالأعمى و أنّه من هو فالظّاهر من الآية أنّه عبس أي قبض وجهه شخصٌ عـن شـخصٍ أخر كان متّصفاً بالعمى، فقال قوم فاعل الفعل و هو الّذي عبس و تـوَّلىٰ و هـو النّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و المراد بالأعمىٰ، عبد اللّه بن أمّ مكتوم.

و قال الفرّاء كانت أمّ مكتوم أمّ أبيه و قال غيره كانت أمّه و أمّا أبوه فهو يكنّىٰ أبا السّرج و إختلفوا فيمن وصفه اللّه بذلك فقال كثيرٌ من المفسّرين و أهل الحشو أنّ المراد به النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا و ذلك أنّ النّبي كان معه جماعة من أشراف قومه و رؤسائهم قد خلا بهم فأقبل إبن أمّ مكتوم ليسلم فأعرض النّبي عنه كراهيّة أن تكره القوم إقباله عليه فعاتبه اللّه على ذلك و قيل أنّ إبن أمّ مكتوم كان مسلماً و أنّما كان يخاطب النّبي و هو لا يعلم أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مشغولٌ بكلام قوم فيقول يارسول اللّه هذا ما ذكره الشّيخ قدس سره في التّبيان.

ثمّ قال قدس سره و هذا فاسد لأنّ النّبي قد أجلّ اللّه قدره من هذه الصّفات و كيف يصفه بالعبوس و التّقطيب و قد وصفه بأنّه: **لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظيمٍ**[1].

و قال تعالىٰ: **لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ ٱلْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**[2].

و كيف يعرض عمّن تقدّم وصفه مع قوله تعالى:

وَ لا تَطْرُدِ ٱلَّذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ ٱلْعَشِيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ[3].

و من عرف النّبي و حسن أخلاقه و ما خصّه اللّه تعالى به من مكارم الأخلاق و حسن الصُّحبة حتّى قيل أنّه لم يكن يصافح أحداً قطّ فينزع يده من يده حتّى يكون ذلك الذّي ينزع يده من يده فمن كان هذه صفته كيف يقطب في وجه أعمى جاء ليطلب الإسلام على أنّ الأنبياء منزهون عن مثل هذه الأخلاق و عمّا و ما دونها لما في ذلك من التّنفير عن قبول قولهم و الإصغاء إلىٰ دعائهم و لا يجّوز مثل هذا علىٰ الأنبياء من عرف مقدارهم و تبيّن نعتهم إنتهىٰ ما ذكره قدس سره في تفسير الآية قدّس اللّه روحه و هو الحقّ و لا كلام لنا فوق كلامه و هو قول جميع أتباع أهل البيت من الشّيعة الأثنىٰ عشريطة ولم يخالف فيه أحداً ممّن يقول بعصمة الأنبياء و لا سيّما نبّي الإسلام الّذي هو أفضل الأنبياء و أشرفهم و أكملهم الموصوف بأنّك لعلى خلقٍ عظيم من عند ربّه.

۱- القلم = ۴
۲- أل عمران = ۱۵۹
۳- الأنعام = ۵۲

و أمّا العامّة فقال الطّبري و هو مقتداهم في تفاسيرهم في تفسير الآية ما هذا لفظه، أنّ الأعمىٰ الّذي ذكره اللّه في هذه الآية هو إبن أمّ مكتوم عوتب النّبي ﷺ بسببه ذكر الأخبار الواردة بذلك، حدَّثنا، سعيد بن يحيىٰ الأموي قال حدَّثنا أبيّ عن هشام بن عروة ممّا غرضه عليه عروة عن عائشة قالت نزلت، عبس و توَّلى في إبن أم مكتوم قالت أتى إلى رسول اللّه ﷺ فجعل يقول أرشدني قالت و عند رسول اللّه من عظماء المشركين قالت فجعل النّبي يعرض عنه و يقبل علىٰ الأخر و يقول أترىٰ ممّا أقوله بأساً فيقول لا ففي هذا أنزلت عبس و توَّلىٰ إنتهى.

ثمّ قال في حديثٍ أخر بأسناده عن إبن عبّاس قوله: عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ أَنْ جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ قال: بيَّنا رسول اللّه يناجي عتبة بن ربيعة و أباجهل بن هشام و العبّاس بن عبد المطّلب و كان يستقرىٰ لهم كثيراً و يحرّض عليهم أن يؤمنوا فأقبل عليه رجل أعمىٰ يقال له عبداللّه بن أمّ مكتوم يمشي و هو يناجيهم فجعل عبد اللّه يسْتقرء النّبي ﷺ آيةً من القرآن و قال يا رسول اللّه علمنّي ممّا علّمك اللّه فأعرض عنه رسول اللّه ﷺ و عبس في وجهه و توّلى وكره كلامه و أقبل علىٰ الأخرين فلّزما مضىٰ رسول اللّه ﷺ و أخذ ينقلب الىٰ أهله أمسك اللّه بعض بصره ثمّ خفق رأسه ثمّ أنزل اللّه عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ أَنْ جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰٓ فَتَنْفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ فلمّا نزل فيه أكرمه رسول اللّه ﷺ و كلّمه و قال له ما حاجتك هل تريد من شئ و إذا ذهب من عنده قال له هل لك حاجةٌ في شئ و ذلك لما أنزل اللّه، أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ إنتهىٰ.

و قال في حديث آخر أنّ الأعمىٰ عبد اللّه بن زائدة و هو إبن أمّ مكتوم، و جاءه يستقراه و هو يناجي أمَّية بن خلف رجلٌ من قريش

فأعرض عنه فأنزل اللّه فيه ما تسمعون عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ أَنْ جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ الى قوله: تَلَهَّىٰ إنتهىٰ.

و ذكر في الباب ما يشمئز منه القلب.

و قال القرطبي أيضاً في تفسيره ذلك و ذكر أخبار الحشّوية في الباب و حيث أنّ تفسيره سمّاه، بالجامع لأحكام القرآن، علّل ذلك بأمور:

أحدها: أنّه أقبل الىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو صلى الله عليه وآله وسلم مشتغلٌ بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم الىٰ اللّه و قد قوّىٰ طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فجاءه إبن أمّ مكتوم و هو أعمى فقال يا رسول اللّه علمنّي ممّا علّمك اللّه و جعل يناديه و يكثر النّداء و لا يدري أنّه مشتغلٌ بغيره حتّى ظهرت الكراهة في وجه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه و قال في نفسه يقول هؤلاء أنمّا أتباعه العميان و السَّفلة و العبيد فعبس و أعرض عنه فنزلت الآية و قال الثّوري فكان النّبي بعد ذلك إذا رأى إبن أمّ مكتوم يبسط له رداءه و يقول مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي و يقول له هل من حاجةٍ و إستخلفه علىٰ المدينة مرّتين الىٰ آخر ما قال.

الثّاني: قال، قال علماءنا ما فعله إبن مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالماً بأنّ النّبي مشغولٌ بغيره و أنّه يرجوا إسلامهم و لكن اللّه تعالىٰ عاتبه حتّىٰ لا تنكسر قلوب أهل القبلة أو ليعلم أنّ المؤمن الفقير خير من الغنّي و كان النّظر الى المؤمن أولىٰ و إن كان فقيراً أصلح و أولى من الأمر الأخرة و هو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم الى آخر ما قال.

الثّالث: نقل عن إبن زيد أنّما عبس النّبي لأبن أمّ مكتوم و أعرض عنه لأنّه أشار الى الّذي كان يقوده أن يكفّه فدفعه إبن أمّ مكتوم و أبى إلاّ أن يكلّم النّبي حتّى يعلّمه فكان في هذا نوع جفاءٍ منه و مع هذا أنزل اللّه في حقّه على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم **عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ**، بلفظ الأخبار عن الغائب تعظيماً له ولم يقل

عبست و تولّيت ثمّ أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيساً له و قال: **وَ مَا يُدْرِيكَ** إنتهى ما أردنا نقله عنه.

و به قال صاحب الكشّاف و الآلوسي في روح المعاني و غيرهم من مفسّريهم و كأنّ الموضوع عندهم من المسلّمات و الإختلاف في الألفاظ، و أنت ترىٰ أنّه لا دليل على صحّة ما ذكروهم و ألفاظ أحاديثهم مضطربة يكذّب بعضها بعضاً و ليس كتابنا هذا للجرح و التّعديل في نقله الأثار فلذلك أعرضنا عن بيان ما فيها من الضّعف و النّقص فتحصل ممّا ذكرناه و نقلناه عنهم أنّهم إتّفقوا علىٰ أنّ المراد بالأعمى هو إبن أمّ مكتوم، و بقوله: **عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ**، النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و أمّا عندنا فالحقّ ما ذكره الشّيخ في التّبيان و قد نقلناه و أيدّناه و هو أنّ الأعمى لا كلام لنا فيه.

و أمّا المراد بقوله: **عَبَسَ وَ تَوَلَّىٰٓ**، ليس هو النّبي قطعاً لأنّ النّبي كان منزّهاً عن هذا و أمثاله و العجب أنّ الطّبرسي نقل ما ذكره الطّبري عن إبن عبّاس أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يناجي عتبة بن ربيعة و أبا جهل بن هشام و العبّاس بن عبدالمطّلب و أميظة بن أبي خلف يدعوهم الى اللّه و يرجوا إسلامهم الىٰ آخر الحديث.

ثمّ قال و كان رسول اللّه يُكرمه و إذا رآه قال مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي و يقول له هل لك من حاجةٍ و ساق الكلام الى أن قال و قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسيّة و عليه درع و معه رآية سوداء إنتهىٰ.

ثمّ قال الطّبرسي بعد ذلك ما هذا لفظه، قال المرتضى علم الهدىٰ قدّس اللّه روحه ليس في ظاهر الآية دلالة علىٰ توّجهها الىٰ النّبي بل هو خبرٌ محض لم يصرّح بالمخبر عنه و فيها ما يدلّ علىٰ أنّ المعنيُّ بها غيره لأنّ العبوس ليس من صفات النّبي مع الأعداء فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثمّ الوصف بأنّه

يتّصدیٰ للأغنياء و يتلهّیٰ عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة و يؤيّد هذا قوله سبحانه في وصفه **وَ إِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**[١]، **لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ**[٢] فالظّاهر أنّ قوله: **عَبَسَ وَ تَوَلّىٰٓ** المراد به غيره.

و قد روي عن الصّادق أنّها نزلت في رجلٍ من بنيأمّية كان عند النّبي فجاء إبن أمّ مكتوم فلمّا رأه تقذّر منه و جمع نفسه و عبس و أعرض بوجهه عنه فحكى اللّه سبحانه ذلك و أنكره عليه إنتهى. ما نقله عنه.

أقول ما ذكره المرتضیٰ قدس سره حقٌّ لا غبار عليه إذ ليس في الآية و لا في خبرٍ صحيح ما دلَّ على أنّ العتاب من اللّه كان للنّبي صلى الله عليه و آله و سلم و أنّ الأعمى هو إبن أمّ مكتوم و ليت شعري من أين ثبت لهم ما ذكروه فأنّ اللّه تعالى أخبر عن شخصٍ أعمى أنّه ورد على شخصٍ أخر فلمّا رأى الأعمیٰ عبس بوجهه و أعرض عنه و أمّا أنّ الأعمیٰ من كان إبن أمّ مكتوم أو غيره و أنّ الّذي أعرض عنه من كان فالآية ساكتة عنه و نحن لا ننكر أصل القضيّة و إنّما ننكر تطبيقها على زيد و عمرو و القرأن أخبر عن أصلها و وقوعها لا على معنى المراد منها مصداقاً و بعبارةٍ أخریٰ المفهوم ثابت و المصداق غير معلوم و علیٰ المدّعى الإثبات و إذ ليس فليس.

نعم ورد في بعض الأخبار أنّ الّذي عبس و توّلى كان عثمان بن عفّان و الأعمیٰ إبن أمّ مكتوم و فی بعضٍ أخر أنّ الّذي عبس و توّلیٰ كان رجلاً من بنيأميّة، و الحقّ أنّ الكلّ لا دليل عليه و اللّه أعلم هذا ما ظهر لنا من الآية بعد التّأمل فيها.

وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّىٰٓ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ ٱلذِّكْرىٰٓ

١- القلم = ٤

٢- أل عمران = ١٥٩

قالوا الخطاب للنّبي أي و ما يدريك يا محمّد، لعلَّه يعني الأعمى **يَزَّكَّىٓ** بما إستدعا منك تعليمه من القرأن و الدّين هذا علىٰ مذاق القوم و أمّا علىٰ ما إخترناه من التَّفسير و هو أنّ الّذي عبس و أعرض لم يكن رسول اللّه فالمعنىٰ قل يامحمّد لمن عبس و توَلىٰ، ما يدريك أي ما يعلمك لعلَّه أي الأعمىٰ يزَّكىٰ، في الماضي **أَوْ يَذَّكَّرُ** في الحال فتنفعه الذّكرىٰ في المستقبل و بعبارةٍ أخرىٰ لعلَّه آمن سابقاً باللّه و رسوله أو سيؤمن بعد أن يذَّكر و يتَّعظ و قل له.

أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّىٰ

أي من كان ذا ثروةٍ و غناء، فأنت له تصَّدىٰ، فالتَّصدي هو التَّعرض للشّئ كتعرض العطشان للماء فالمعنى تعرَّضْ له و تصغى إلى كلامه و التَّصدي الإصغاء قال الشّاعر:

تصدّى لوضّاعٍ كأنّ جبينه سراج الدُّجى

يجبىٰ إليه الأساورُ وَ مٰا عَلَيْكَ أَلّٰا يَزَّكّىٰ

أي قل له و ما عليك ألاّ يتَزكى و يتَّطهر من الذّنب فالتَّزكي هو التَّطهر من الذُّنوب و أصله الزكّاء فلّما كان الخير ينمي للإنسان بالتَّطهر من الذُّنوب كان تزكيّاً ثمّ قال تعالى: قل له يا محَّمد.

وَ أَمّٰا مَنْ جٰآءَكَ يَسْعٰى، وَ هُوَ يَخْشٰى

ربَّه و خالقه **فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّىٰ** أي تعرض عنه فا التَّلهّى عن الشّئ هو التَّروح بالإعراض عنه كما أنَّ التَّطهر به التَّروح و الإقبال عليه فعلى ما ذهبنا إليه من عدم معلوميَّة **الّذي عَبَسَ وَ تَوَلّىٓ**، فاتَّقدير في الآيات.

قل له يا محَّمد، كذا و كذا و أمّا على قول المشهور بينهم من أنَّ الّذي عبس و تولّى هو النَّبي فلا حاجة إلى التَّقدير فالخطابات كلَّها للنَّبي ﷺ و هو ظاهر.

كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ، فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ.

كلاّ حرف روعٍ أي ليس الأمر على هذا (إنّها تـذكرة) أي أنَّ السُّـورة أو أنَّ الآيات تذكرة، أي موعظة.

فَمَنْ شَآءَ ذَكَرَهُ أي فمن شاء إتَّعظ بالقرآن فإنَّ القرآن مذكّر.

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ عند اللّه و الصَّحف جمع صحيفة.

مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ أي رفعها اللّه عن دنس الأنجاس و نزهها عنه.

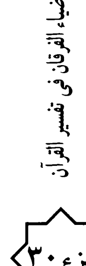
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ قبل السَّفرة ملائكة موكّلون بالأسفار من كتب اللّه و السَّفرة الكتبة لأسفار الحكمة واحدهم سافر هكذا قيل.

كِرَامٍ بَرَرَةٍ

و الكرام جمع كريم و هو الّذي من شأنه أن يأتي بالخير و البررة جمع بـارّ بتشديد الرّاء و البّار يقال لمن أحسن إلىٰ غيره يقال فلان بارٌّ بوالديه أي يحسن إليهما، و الكرام البررة صفة للسَّفرة و هم الملائكة.

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ

إختلفوا في معناه فقال بعض المـفسّرين، مـعناه، لعـن و عـذِّب الإنسـان و المراد بالإنسان الكافر، قيل أنَّها نزلت في عتبة بن أبي لهب و كان قد آمن فلَّما نزلت (والنَّجم) إرتدَّ و قال آمنت بالقرآن كلَّه إلاّ النَّجم فأنزل اللّه تعالى فيه **قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ** أي لعـن عـتبة حـيث كـفر بـالقرآن و دعـا عـليه رسـول اللّه ﷺ فقال اللهم سلط عليه كلبك أسد القاضرة فخرج بـتجارةٍ إلىٰ الشّـام فلّما إنتهى إلىٰ القاضرة تذكّر دعاء النَّبي فـجعل لمـن مـعه ألف ديـنار أن هـو أصبح حيّاً فجعلوه في وسط الرّفقة و جعلوا المتاع حوله فبينما هم عـلى ذلك أقبل الأسد فلّما دنىٰ من الرّجال وثب فإذا هو نوقة ممزَّقة و قد كان أبوه، ندبه و بكىٰ و قال ما قال محَّمد شيئاً قطَّ إلاّ كان، و قيل معنىٰ **مَآ أَكْفَرَهُ** أي أيّ شيءٍ



أكفره، و قيل ما للتَّعجب و عادة العرب إذا تعَّجبوا من شئ قالوا قاتله اللّه ما أحسنه و أخزاه اللّه ما أظلمه و أقبحه و قيل معناه، ما أكفره باللّه و نعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه علىٰ التَّعجب أيضاً.

و قيل (ما) إستفهاميَّة أيْ أيُّ شيءٍ دعاه إلىٰ الكفر.

و قال صاحب الكشَّاف **قُتِلَ ٱلْإِنْسٰانُ** دعاءٌ عليه و هي من أشنع دعواتهم لانَّ القتل قصاري شدائد الدُّنيا و فظائعها و **مٰآ أَكْفَرَهُ** تعَجُّبٌ من إفراطهم في كفران نعمة اللّه و لا نرىٰ اسلوباً أغلظ منه و لا أخشن قساوتاً و لا أدَّل علىٰ سخط و لا أبعد شوطاً في المذَّمة مع تقارب طرفيه إنتهي.

أقول الأقوال المحتملة في معنىٰ الآية كثيرة و الأحسن أن يقال الإنسان دعاء عليه) كأنّه قيل قاتله اللّه و قوله: **مٰآ أَكْفَرَهُ** ما، إستفهامية بمعنىٰ، أيُّ، لكن أريد به التَّفريع و التَّهديد.

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذٰا شٰآءَ أَنْشَرَهُ، كَلّٰا لَمّٰا يَقْضِ مٰآ أَمَرَهُ

في هذه الآيات أشار اللّه تعالى إلى مراحل خلق الإنسان من المبدأ إلىٰ المنتهىٰ فقال: **مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** أي من أيُّ شئ خلق اللّه الكافر بأنعم اللّه فتَّكبر أي أعجبوا لخلقه **مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ** أي من ماء يسير مهين جماد خلقه اللّه فكيف يتَّكبر من خلقه اللّه من سبيل الطول مرَّتين فقدَّره في بطن أمّه فالتَّقدير جعل الشّئ علىٰ مقدار غيره فلّما كان الإنسان قد جعل علىٰ مقدار ما تقتضيه الحكمة الإلهيّة في أمره من غير زيادةٍ و لانقصان كان قد قدَّر أحسن التّقدير، و قيل معناه قدَّر يديه و رجليه وعينيه و أنّه قصير أوطويل و غير ذلك من المقدّرات.

ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ فالسَّبيل الطّريق و هو تشريّعيٌ و تكّوينيٌ و التَّشريعي عبارة عن التّكاليف المقرّرة له في الشَّريعة من الواجبات و المحرّمات و الطّاعات و المعاصي و بعبارةٍ أخرىٰ طريق السّلوك إلى اللّه.

و التّكوينى عبارة عن طريق خروجه من النُّطفة إلىٰ الخروج من بطن أمّـه و أن شئت قلت طريق الشّريعة و طريق الوجود وكلاهما قد يسَّره اللّه له.

أمّا الأوّل: أعني به طريق الدّيـن الّـذي بـه تـحصل سـعادة النّشأتـين فـهو بواسطة الأنبياء.

أمّا الثّانى: أعني به طيّ المراحل من مرحلة النُّطفة إلى أخر المـراحـل فـهو بقدرته تعالىٰ من غير وساطةٍ و على هذا فالمعنى بـعد صـيرورة النُّـطفة إنسـاناً سهَّل اللّه طريق خروجه من بطن أمّه إلىٰ الدُّنيا و محصّل الكلام أنّ اللّه تـعالىٰ بلطفه و كرمه يسَّر و سهَّل للإنسان طريق الخروج من بطن أمّه و طريق الخروج من الكفر إلىٰ الإيمان و من المعصية إلىٰ الطّاعة و من الشّقاوة إلىٰ السّـعادة ثـمّ بعد ذلك.

أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ أي أنّ اللّه تعالىٰ بعد إنقضاء مدّة حياته المـقدّرة له يـحكُم بموته و خروجه من الدُّنيا و أقبره، يـعني جـعل اللّـه له قـبراً يـواريٰ فـيه بـعد الموت إكراماً له ولم يجعله ممّا يلقىٰ علىٰ وجه الأرض فنسبة الإقبار إلىٰ نفسه حيث قال أقبره، أي أقبره اللّه ولم يقل اقبروه أي أقـبره الخـلق مـع أنّ الإقـبار حقيقتاً للخلق لا للّه تعالى للإشارة إلى أنّ إقبار الخلق إيّاه بحكمه تعالى فكأنّـه أقبره بنفسه فإسناد الإقبار إلى اللّه مجاز.

ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنْشَرَهُ أي ثمّ بعد الموت إذا شاء اللّه أنشره، أي أحياه بَـعد موته، فالإنتشار الإحياء للتَّصرف بـعد المـوت كـنشر الثّـوب يـقال أنشـر اللّـه الموتى فنشروا كقولهم أحياهم فحيُّوا، و المشيئة هي الإرادة، و فـى هـذه الآيـة إشارة إلى البعث.

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ أي ينبغي للإنسان العاقل أن يشكر اللّه على النِّعم الّتي أنعم اللّه بها عليه من خلقه من نطفة إلى أخر ما ذكره في الأيات و مقتضى الشُّكر هو الإتيان بالواجبات و ترك المحرّمات و الطّاعة للّه و رسوله و العمل

بأحكام اللّه (كلاّ) أي ليس الأمر كذلك فإنّه لم يقض ما أمره، أي لم يعمل بالأحكام التّي أمره اللّه بها و هو دليلٌ على أنّ الإنسان لا يؤدّي شكره بل يكفر بنعمه بدل الشُّكر ثمّ قال تعالى.

فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسٰانُ إِلٰى طَعٰامِهِ

أى فلينظر الإنسان كيف خلق اللّه طعامه و هذا النّظر نظر القلب الّذي يحصل للانسان بالتّأمل و التّفكّر في أيات اللّه واللّه تعالىٰ لمّا بيّن في الأيات السّابقة كيفيّة خلق من مرحلة النُّطفة إلى مرحلة خروجه من بطن أمّه أشار في هذه الآية إلى طعامه و غذاءه لأنّ بعد الخلق يحتاج إلى الغذاء و لأجل ذلك ذكره بعد خلقه فينبغي له أن يتدبّر في كيفيّة خلقه أوّلاً و فى كيفيّة خلق طعامه ثانياً لأنّ قوام حياته به، و اعلم أنّ الإنسان مرّكب من روحٍ و جسمٍ و إن شئت قلت من روحٍ و بدن و كلاهما يحتاجان إلى طعامٍ و حيثُ أنّ الرُّوح مجرّد من عالم الملكوتِ فطعامه أيضاً مجرّد عَن المادّة و أمّا البدن و الجسم فطعامه من جنس المادّة فالعلم و الحلم و كسب الفضائل النّفسانية طعام الرُّوح و الحنطة و الشّعير و أنواع الفواكه طعام الجسم فقوله تعالىٰ: **فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسٰانُ إِلٰى طَعٰامِهِ** لا يختصّ بطعام الجسم فقط كما زعمه المفسّرون بل هو عامّ يشملهما و إلى ما ذكرناه أشار بعض الأخبار حيث قال المعصوم المراد بالطّعام الدِّين أي فلينظر ممَّن أخذ دينه.

و من المعلوم أنّ حمل اللّفظ على معناه العامّ أولى من حمله على الخاصّ إذا لم يكن هناك دليلٌ على التّخصيص و كيف كان ففي الآية إشارة إلىٰ أنّ اللّه هيَّأ للإنسان طعامه فطعام الرُّوح بالدّين بواسطة النّبي و الوصّي و الكتاب و السُّنة و طعام البدن بواسطة المأكول و المشروب من الماء و الأرض فسبحان خلق الإنسان من نطفة و هيّأ له طعامه و معاشه فلينظر الإنسان بعقله إلى ذلك و ليشكر ربّه علىٰ ما أعطاه.

أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَ عِنَبًا وَ قَضْبًا، وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا، وَ حَدَآئِقَ غُلْبًا، وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ

لمّا أمر اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة بأن ينظر الإنسان إلى طعامه أشار في هذه الأيات إلى مواضع التّفكر أي أسباب حصُوله فقال: **أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا** قراءة العامّة، إنّا، بالكسر علىٰ الإستئناف و قرأ الكوفيّون أنّا بفتح الهمَزة و علىٰ هذا فهو في موضع خفض على الرّحمة عن الطّعام فهو بدلٌ منه كأنّه قال فلينظر الإنسان إلى طعامه و الى أنّا صببنا، و قيل المعنى لأنّا صببنا الماء فأخرجنا به الطّعام أي كذلك كان، و صببنا الماء صبّاً، يعني الغيث و الأمطار النّازلان من السّماء علىٰ الأرض.

ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا قيل المراد بالشّق شقّ الأرض بالنّبات و ذلك لأنّ خروج النّبات من تحت الأرض يستلزم شقّها.

أقول إحتمل صاحب الكشّاف أن يكون المراد شقّها بالكراب على البقر و لا بأس به **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا** و هو الحنطة و الشّعير و أمثالهما ممّا يزرع و يحصد **وَ عِنَبًا وَ قَضْبًا** و القضب الفتّ و العلف سمّي بذلك لأنّه يقطع بعد ظهوره و مرّةً بعد مرّةٍ، و **العنب** بكسر **العين** و فتح **النّون** ثمر الكرم.

وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا و الزّيتون معروف و أنّما ذكره تعالىٰ لعظم النّفع به و الدُّهن الّذي يؤخذ منه، و المراد بالنّخل شجر الرُّطب و التّمر.

وَ حَدَآئِقَ غُلْبًا فالحديقة البستان المحوط و جمعها حدائق و منه، أحدق به القوم أي أحاطوا به، و **الغلب** بضمّ **الغين** جمع أغلب و هى الغلب بعظم الأشجار و شجرة غلباء إذا كانت غليظة و حديقة غلباء، ملتفّة بالشّجر.

وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا الفاكهة ثمار الأشجار ممّا يؤكل، كالتّين و الخوخ و الرّمان و التّفاح و أمثالها **والأبّ** بتشديد الباء ما تأكله البهائم من العشب.

قال إبن عبّاس هُو كلّ ما أنبتت الأرض ممّا لا يأكله النّاس فأنّ ما يأكله النّاس هو الحصيط و منه قول الشّاعر في مدح النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال:

له دعوةٌ ميمونةٌ ريحها الصَّبا بها ينبت اللّه الحصيدة والأبّا

و قيل الأبّ ما تنبت الأرض ممّا يأكله النّاس و الأنعام، و قيل الأبَّ الثّمار الرّطبة.

و قال الضّحاك هو التّين خاصّة و قال الكلبي هو كلّ نباتٍ سوى الفاكهة.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية بعد نقله الأقوال في معنىٰ الأبّ ما هذا لفظه، سئل أبوبكر الصدّيق عن تفسير الفاكهة و الأبّ فقال أبوبكر أيّ سماءٍ تظلني و أيُّ أرضٍ تقلّني إذا قلت في كتاب اللّه ما لا أعلم.

و قال أنس سمعت عمر بن‌الخطّاب قرأ هذه الآية ثمّ قال كلّ هذا قد عرفناه فما الأبّ ثمّ رفع عصا كانت بيده و قال هذا لعمر اللّه التّكلّف و ما عليك يابن أمّ عمر ألاّ تدري ما الأبّ ثمّ قال إتّبعوا ما بيّن لكم عن هذا الكتاب فمالا، فدعوه إنتهىٰ ما أردنا نقله عنه.

أقول في إرشاد المفيد رحمه الله روي أنّ أبابكر سئل عن قول اللّه تعالىٰ و فاكهةٍ و أبّا فلم يعرف معنى الأبّ من القرأن و قال أي سماءٍ تظلّني أم أيُّ أرضٍ تقلّني أم كيف أصنع إن قلت في كتاب اللّه ما لا أعلم أمّا الفاكهة فنعرفها و أمّا الأبّ فاللّه أعلم فبلغ أميرالمؤمنين مقاله في ذلك فقال:

سبحان اللّه أما علم أنّ الأبّ هو الكلاء و المرعىٰ و أنّ قوله: فٰاكِهَةً وَ أَبًّا إعتداد من اللّه بإنعامه على خلقه فيما غذّاهم به و خلقه لهم و لأنعامهم و ما تحيا به أنفسهم و تقوم به أجسادهم إنتهىٰ.

أقول لا إشكال في جهل أبى‌بكر و عمر لأنّهما و من تبعهما لم يشترطوا العلم في خليفة رسول اللّه و لا غير العلم من الفضائل النّفسانية مثل الشّجاعة و العدالة والسّخاوة و غيرها و علىٰ هذا فلا إشكال في صحّة الخلافة فأنّ

المدار في صحّتها عندهم شيءٌ أخر و قد حصل، و لم يعلموا أنّ هذه الرّوية سوق المسلمين إلى الجهل بعينه مع أنّ الإسلام دين العلم لا دين الجهل و إذا كان الخليفة لم يعلم معنى الأبّ في القرأن و كان جاهلاً به فهو بالنّسبة إلى سائر الأحكام أجهل و من فهم سائر الأيات أبعد بطريقٍ أولى فما ظنُّك بمن تبعه في فهم الكتاب و السُّنة و هذا هو الدّاء الّذي لا دواء له.

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَ لِأَنْعَٰمِكُمْ فقوله: **مَتاعاً لَكُمْ**، هو معنىٰ الفاكهة و قوله: **لِأَنْعَٰمِكُمْ** معنىٰ الأبّ فأنّ القرأن يفسّر بعضه بعضاً، فهذه الآية في الحقيقة مفسّرة لما قبلها فلا نحتاج في معرفة الأبّ إلى أقوالهم التّي قالوها فيه ولو تأمّلوا فيها لم يحتاجوا إلى الأقوال الباردة.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ

قيل هي القيامة و قيل هي النَّفخة الثّانية التّي فيها حياةُ النّاس.

قال في المفردات، الصَّاخة، شدّة صوت ذي المنطق يقال صخَّ يصخُّ فهو صاخّ، و على هذا فالمراد بها في الآية النَّفخة الثّانية كما قال تعالىٰ: **يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا**[1] ثمّ أشار اللّه إلىٰ شدّة ذلك اليوم.

يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ، وَ صَٰحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ

أي زوجته في الدُّنيا و **بَنِيهِ** يعني أولاده الذُّكور يفرُّ من هؤلاء حذراً من مظلمةٍ تكون عليه، و قيل لئلا يرىٰ ما ينزّل به من الهوان و الذّل و العقاب و قيل يفرّ منهم لأنّه مشغول بنفسه فلا ينتفع بهم و لا ينتفعون به لعظم ما في القيامة من الهول و الخوف و لأنّه يعلم أنّ ما ينتفع به يوم القيامة هو العمل الصّالح الّذي عمل به في الدُّنيا و على هذا فالأحسن الفرار منهم في الدّنيا و الإقبال إلى العمل الصّالح و هو ظاهرٌ.

۱- النباء = ۱۸

لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

فالشّأن الأمر العظيم و المعنى أنّ كلّ إنسانٍ مكلّفٍ فهو مشغول بنفسه لا يلتفت الى غيره من صعوبة الأمر و شدّة أهواله فقوله: **يُغْنِيهِ** معناه هول القيامة يغنيه عن التوجّه إلى الغير و بعبارةٍ أخرى له حالٌ يشغله عن الأقرباء فكلّ إنسانٍ مشغولٌ بنفسه و هو يغنيه عن غيره.

فعن صحيح مسلم عن عائشة قالت سمعت رسُول اللّه ﷺ يقول: يحشر النّاس يوم القيامة حفاة عراة، قلت يارسُول اللّه الرّجال و النّساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعضٍ؟ قال ﷺ: ياعائشة! الأمر اشدَّ من أن ينظر بعضهم إلى بعضٍ إنتهىٰ.

و روى التّرمذي عن إبن عبّاس أنّ النبيّ قال: يحشرون حفاة عراة، فقالت إمرأة ينظر بعضنا إلىٰ بَعضٍ، أو يرى بعضنا عورة بعضٍ قال ﷺ: يافلانة أنّ لكلّ إمرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه إنتهىٰ.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ

أي وجوهٌ يومئذٍ مكشوفة مضيئة فالإسفار الكشف من ضياء من قولهم إسفرَّ الصّبح إذا أضاء، و سفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها وقوله: **ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**، أي من فرحها بما أعدَّ اللّه لها من الثّواب و المراد بها وجوه المؤمنين الّذين أمنوا باللّه و رسوله و ما جاء به الرّسول من عند اللّه فأطاعوا اللّه و أطاعوا الرّسول و عملوا صالحاً فأولئك الّذين أخبر اللّه أنّ وجوههم مسفرة ضاحكةٌ مستبشرة.

ثمّ أخبر اللّه عن وجوه الكفّار و المنافقين و الظّالمين الّذين إتّبعوا أهوائهم و أعرضوا عن الحقّ و أنكروا التّوحيد و النّبوة و المعاد ظاهراً و باطناً مثل الكفّار و المشركين، أو باطناً فقط و ان كانوا متظاهرين بالإسلام مثل المنافقين فقال:

وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهٰاقَتَرَةٌ، أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ

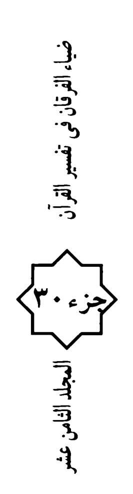
أي وجوهٌ يومئذٍ، أي يوم القيامة **غَبَرَةٌ** أي عليها غبارٌ و دخان، ترهقها، أي تغشّاها، قترة، أي كسوف و سواد، أولئك هم الكفرة، جمع كافر (الفَجَرة) جمع فاجر و هو الكاذب المفتري علىٰ اللّه تعالى، و قيل الفاسق، و قيل غير ذلك و المعنى واضح لا خفاء فيه و الحمد للّٰه ربّ العالمين.

■

سُورَةُ ٱلتَّكْوِير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَ إِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَ إِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَ إِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَ إِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَ إِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَ إِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَ إِذَا ٱلْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَ إِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَ إِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَ إِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَ إِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَ ٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَ ٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَ مَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ



﴿٢٨﴾ وَ مَا تَشَآؤُنَ إِلَّآ أَنْ يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

◀ اللغة

كُوِّرَتْ: بضمّ الكاف و كسر الواو المشدّدة بصيغة المجهول و مصدره التّكوير و هو تلفيفٌ على جهة الإستدارة و منه كور العمامة يقال كوَّرت العمامة على رأسى.

ٱنْكَدَرَتْ: الإنكدار إنقلاب الشّيء حتّىٰ يصير الأعلى الأسفل، الإنكدار التّهافت و التّناثر أي تهافت و تناثرت.

سُيِّرَتْ: أي قلعت من الأرض و سيّرت في الهواء فصارت هباءً و سراباً.

وَ إِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ: العشار جمع عشراء و هى النّاقة التّي عليها الحمل عشرة أشهر.

عُطِّلَتْ: مِن التّعطيل لإشتغالهم بأنفسهم و المعنى الإبل التّي عطّلها أهلها لإشتغالهم بأنفسهم.

حُشِرَتْ: أي جمعت فالحشر الجمع.

سُجِّرَتْ: أي ملئت من الماء تقول سجرت الحوض إذا ملأته.

زُوِّجَتْ: أي ضمّ كلّ واحدٍ منها إلىٰ شكله فالتّزويج هو ضمّ أحدهما بالأخر.

ٱلْمَوْؤُدَةُ: المقتولة بدفنها حيّة سمّيت بذلك لما يطرح عليها من التّراب فيوؤدها أي يثقلها حتّىٰ تموت.

نُشِرَتْ: النّشر البسط و قيل بسط المطوىّ.

كُشِطَتْ: فالكشط القلع عن شدّة التّزاق فالسّماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش.

سُعِّرَتْ: التَّسعير الإيقاد أي إيقاد النّار.
سُعِّرَتْ: أي أوقدت.
أُزْلِفَتْ: أي دنت و قربت.
بِالْخُنَّسِ: فالخنَّس، بضمّ الخاء و فتح النُّون المشدّدة جمع خانس الغائب.
ٱلْكُنَّسِ: جمع كانس و هى الغيب في مثل الكناس.
عَسْعَسَ: أي أدبر بظلامه.
تَنَفَّسَ: أي إمتدّ حتّى يصير نهاراً بظنين أي بمتّهمٍ و من قرأ بالضّاد و عليها المصاحف فالمعنى ليس ببخيلٍ على الغيب.
رَجِيمٍ: فعيل بمعنى مفعول أي مرجومٌ مطرود باللَّعن.

◄ الإعراب

إِذَا ٱلشَّمْسُ أي إذا كوِّرت الشّمس و جواب إذا في الأيات عَلِمَتْ نَفْسٌ ٱلْجَوَارِ صفة للخنّس عِنْدَ ذِى ٱلْعَرْشِ يجوز أن يكون نعتاً لرسولٍ و أن يكون نعتاً لمكين و ثَمَّ معمول مطاع و قرئ بضمّ الثّاء أيضاً بِضَنِينٍ قرئ بالضّاد و الظّاء فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ أي الى أين تذهبون محذوف حرف الجرّ كما قالوا ذهبت الشّام أي الى الشّام لِمَنْ شَآءَ بدل بإعادة الجارّ.

◄ التّفسير

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ

إعلم أنّ اللّه تعالى أخبر في هذه الأيات عن وقت حضور القيامة بذكر علاماتها، فاللّفظ فيها و إن كان ماضياً فالمراد به الإستقبال وحيث أنّ ما أخبر اللّه عن وقوعه فلا بدٌّ عن كونه و تحقّقه فكأنّه وقع المخبر عنه في الماضي و لذلك إشتهر أنّ المستقبل المحقّق الوقوع في حكم الماضي و لذلك أتى

الأيات بصيغة الماضي فقال: إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ أي ذهب نورها و قيل معناه رمى بها، و قال أبو عبيدة كُوِّرَتْ مثل تكوير العمامة لأنّ التّكوير تلفيفٌ على جهة الإستدارة و منه كور العمامة و على هذا فالمعنى، تلفّ و تمحى، و كيف كان فهذه إحدىٰ العلامات.

ثانيها: قوله وَ إِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ فالنُّجوم جمع نَجم و هو الكوكب و جمعه كواكب، و منه نجم النّبت إذا طلع و الإنكدار إنقلاب الشّئ حتّى يصير الأعلىٰ.

و قيل الإنكدار الإنصاب، و قيل معنى إنكدرت تناثرت، و عن إبن عبّاس تساقطت، و المعنى واحد و ان كانت الألفاظ مختلفة.

وَ إِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ

عني قلعت من الأرض و سيّرت في الهواء، سيرها تحوّلها عن منزّلة الحجارة فتكون كثيباً مهيلاً أي رملاً سائلاً وَ إِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ العشار بكسر العين جمع عشراء بضمّ العين و هى النّاقة الّتي عليها في الحمل عشرة أشهر و علىٰ هذا فالعشار هي النُّوق الحوامل الّتي في بطونها أولادها قيل إنمّا خصّ العشار بالذّكر لأنّها أعزّ ما تكون على العرب و ليس يعطّلها أهلها إلاّ حال القيامة علىٰ وجه المثل لأنّ في القيامة لا تكون ناقة عشراء و لكن أراد به المثل أنّ هو يوم القيامة بحالٍ لو كان للرّجل ناقة عشراء لعطّلها و اشتغل بنفسه و خوطبت العرب بأمر العشار لأنّ مالها و عيشها أكثر من الإبل و قال إبن عبّاس معنى عُطِّلَتْ عطّلها أهلها لإشتغالهم بأنفسهم قال الشّاعر:

ترى المرء مهجورٌ إذا قلّ ماله	و بيت الغنى يهدى له و يزار
و ما ينفع الزّوار مال مزورهم	إذا سرحت شولٌ له و عشارُ

وَ إِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ

أي جمعت فالحشر الجمع، قيل حشر لوحوش موتها، و قيل تغيَّرت الأمور بأن صارت الوحوش الّتي تشرد في البلاد تجتمع مع النّاس و قال عكرمة حشر كلّ شيءٍ الموت غير الجنّ والإنس لأنّهما يوافيان يوم القيامة.

وَ إِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ

أي ملئت من الماء و العرب تقول سجرت الحوض إذ ملأته من الماء، و قيل معناه أي ملئت ناراً كما يسجر التَّنور.

قال إبن عبّاس سجرت أوقدت فصارت ناراً والأقوال فيه كثيرة مختلفة.

قال الرّاغب في المفردات، السَّجْر تهييج النَّار يقال سجرت التَّنور و قوله تعالىٰ: **وَ إِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ** معناه أضرمت ناراً.

وَ إِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ

أي ضمَّ كلّ واحدٍ منها إلى شكله، والنَّفس قد يعبّر بها عن الإنسان و قد يعبّر به عن الرُّوح فعلى الأوّل يضمّ كلّ إنسانٍ بشكله من أهل النّار و من أهل الجنَّة.

وَعلىٰ الثّاني: كلّ روحٍ كذلك فالنُّفوس الخبيثة مع الخبيثة والنّفوس الزّكية الطّاهرة مع الزَّكية.

وَ إِذَا ٱلْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ

الموؤدة المقتولة المدفونة حيّة و ذلك أنّ العرب في عصر الجاهليّة تئد البنات خوف الإملاق يقال و أدها يئدها وأداً، فهي موؤدة أي مدفونة حيّةً و علىٰ هذا جاء قوله تعالىٰ: **وَ لَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ**[1].

قال قتادة جاء قيس بن عاصم التَّميمي إلى النّبي ﷺ فقال إنّي وأدت ثماني بنات في الجاهليّة فقال النّبي ﷺ (فأعتق عن كلّ واحدة رَقَبة) قال

١- الأنعام = ١٥١

إنّـي صـاحب إبـلٍ قـال صلى الله عليه وآله وسلم (فأهـدِ إلىٰ كـلّ مَـن شـئِت مـن كـلّ واحـدةٍ بُـدنَة)مـوؤدة لِـلثّقل الّـذي عـليها مـن التُّـراب و مـنه قـوله تـعالىٰ: **وَ لا يَـئُودُهُ حِفْظُهُمَا**[١] أي و لا يثقله حفظ السّموات والأرض قال الشّاعر:

و مـوؤدةٌ مـقبورةٌ فـي مـفازةٍ بأمـتها مـوسودةٌ لم تـمهد

قيل أنّ العرب كانوا يدفنون بناتهم لخصلتين:

أحدهما: كانوا يقولون أنّ الملائكة بنات اللّه فألحقوا البنات به.

الثّانية: إمّا مخافة الإملاق و إمّا خوفاً من السَّبي و الإسترقاق و قد كان ذووا الشَّرف منهم يمتنعون من هذا و يمنعون منه حتّىٰ إفتخر به الفرزدق فقال:

و مـنّا الّـذي مـنع الوائـدات فأحـيا الوئـيد فـلم يـوأد

و قال إبن عبّاس كـانت المـرأة فـي الجـاهليّة إذا حـملت حـفرت حـفرةً و تمخّضت على رأسها فإن ولدت جارية رمت بـها فـي الحـفرة وردّت التُّراب عليها و إن ولدت غلاماً حبسته و منه قول الرّاجز:

سـمَّيتها إذ ولدت تـموت والقـبر صـهرٌ ضـامنٌ زمـيت

وَ إِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ

فالصُّحف بضمّ الصاد والحاء جمع صحيفة الّتي فيها أعمال الخـلق و قـوله نشرت أي بسطت فإنّ النَّشر البسط و قيل بسط المطويّ و ذلك لأنّ الصَّحيفة تكون مطويّة فنشرها بسطها و فتحها ليقرأ الإنسان ما في صحيفة أعماله و يعلم بما فيها.

وَ إِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ

الكشط قلعٌ عن شدّة إلتّزاق فالسّماء تكشط كما يكشط الجلد من الكبش و غيره و الفشط لغة فيه، و كشط البعير كشطاً نزعت جلده و لا يقال سلخته لأنّ

١- البقرة = ٢٥٥

العرب لا تقول في البعير إلاّ كشطته أو جلدّته فالمعنى أنّ السّماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشّيْ و قيل معناه، تطوي، لقوله تعالىٰ: **يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ**[1] واللّه أعلم.

وَ إِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ

الجحيم النّار و هو من أسماء جهنَّم و معنى سعرت، أوقدت يقال سعرت النّار و أسعرتها، و قرئ، سعرت بالتّخفيف أيضاً من السَّعير، و التشدّيد من التّسعير أولىٰ لأنّه يدلّ على أنّها أوقدت مرّةً بعد مرّةٍ.

قال قتادة سعَّرها غضب اللّه و خطايا بني أدم.

و عن أبىهريرة عن النّبي ﷺ أنّه ﷺ قال: أوقد على النّار ألف سنة حتّىٰ احمرَّت ثمّ أوقد عليها ألف سنة حتّىٰ إبيضَّت ثمّ أوقد عليها ألف سنة حتّىٰ إسودَّت فهي سوداء مظلمة إنتهىٰ.

وَ إِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ

أي دنت و قربت من المتّقين لأنّها تزول عن موضعها، فالإزلاف إدناءما يحبّ و منه الزُّلفة القربة و منه المزدلفة لأنّها قريبة من كلّه، و قيل، أزلفت أي زيّنت.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ

هو جواب إذا الشّمس كوَّرت و ما بعدها من الشّروط و المعنى عند ظهور الأشياء التّي ذكرناها و عدَّدناها تعلم كلّ نفسٍ ما عملته من طاعةٍ أو معصيةٍ و قد كان المكلّف غافلاً عنه في الدُّنيا.

فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ

١- الانبياء = ١٠۴

الْخُنَّسِ بضمّ الخاء و فتح النُّون المشدّدة جمع خانس، و هو الغائب عن طلُوع، و(لا) صلة زائدة أي أقسم بالخنَّس، والجوار الكنَّس، هي الكواكب الدّراري، زُحل، و المشتري و عطارد، و المريخ، و الزُّهرة.

قال إبن عبّاس هي النّجوم التّي تخنس و تغيب بالنّهار و تظهر باللّيل و تكنس في وقت غروبها أي تتَّأخر عن البصر لخفائها فلا ترى، و قيل الخنَّس الكواكب كلّها لأنّها تخنس في المغيب و قد يقال هي الكواكب السّيارة فيها دون الثّابتة.

و قال الفرّاء **فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ٱلْجَوارِ ٱلْكُنَّسِ** أنّها النّجوم الخَمسة تخنس في مجراها و تكنس أي تستتر كما تكنس الظّباء في المغار و هو الكناس سمّيت خنّساً لتَّأخرها، و قيل الخنّس هي البقر الوحش، و قيل الخنَّس هي البقر، و الكنَّس هي الظّباء و قيل غير ذلك و اشهر الأقوال عند المفسّرين القول الأوّل.

وَ ٱللَّيْلِ إِذاٰ عَسْعَسَ، وَ ٱلصُّبْحِ إِذاٰ تَنَفَّسَ

قال الفرّاء **عَسْعَسَ** أي أدبر، و عليه إجماع المفسّرين.

قال في التّبيان، عسعس أي أدبر بظلامه في قول أميرالمؤمنين و إبن عبّاس و قتادة و منه قول الشّاعر:

حتّىٰ إذ الصُّبح لها تنفسا   و انجاب عنها ليلها و عسعسا

وقوله: **وَ ٱلصُّبْحِ إِذاٰ تَنَفَّسَ** أي أسفر أي أقبل حتّىٰ يصير نهاراً واضحاً.

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ، وَ مٰا صٰاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ

هذه الأوصاف الثّلاثة للرّسُول والضّمير في إنّه راجع على القرأن و المعنى أنّ القرأن لقول رسولٍ كريمٍ قيل المراد به جبرئيل لأنّه رسول من اللّه تعالىٰ إلى

أنبيائه و على هذا معنى الكلام أنّ النّبى ﷺ يسمعه من جبرئيل فصحَّ أن يقال أنّ القرأن لقول رسولٍ كريمٍ و ان سمعه هو أيضاً عن اللّه تعالىٰ لا أنّه قوله من عند نفسه بل النّبي سمع منه.

و قيل أنّ المراد بقوله: **رَسُولٍ كَرِيمٍ** هو رسول اللّه ﷺ و المعنى أنّ القرأن لقول رسولٍ كريم، أتى به من عند اللّه، و قوله: **ذِي قُوَّةٍ** معناه أنّه قَوّي على إجراء أمر اللّه أو قوّيٌ في نفسه في أمر الرّسالة، و قوله: **عِنْدَ ذِى ٱلْعَرْشِ** أي عند اللّه صاحب العرش (مَكينٌ) أي متّمكنٌ عنده.

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ فمن قال المراد بالرّسول جبرائيل معناه أنّه مطاعٌ في الملائكة علىٰ **أَمِينٍ** وحي اللّه تعالى و من قال عني به الرّسول معناه يجب أن يطاع في النّاس، أمينٌ فيما يوحى إليه **وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ** فالمراد به الرّسول قطعاً نفى اللّه عن رسوله الجنون ردّاً على المشركين الّذين قالوا أنّه مجنون أو ساحر، أو كاذب أو غير ذلك و هو أي نفى الجنون من جواب القسم في قوله: **فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ** و ما بعده أي أقسم بما ذكرناه أنّ صاحبكم ليس بمجنونٍ.

وَ لَقَدْ رَاٰهُ بِالْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ

أي ولقد رأى النّبي جبرئيل في صورته التّي خلقه اللّه عليه بالأفق المبين قيل الأفق ناحيةٌ من السّماء يقال فلان ينظر في أفق السّماء، كما يقال فلان كالنَّجم في الأفق، و قيل المراد بالأفق المبين، مطلع الشّمس من قبل المشرق و قوله: **الْمُبِينِ** أي من جهته ترى الأشياء.

قال بعض المُفسّرين الأقوال في المقام ثلاثة:

أَحَدها: أنّ النّبي رأى جبرئيل في أفق السّماء الشّرقي أي مطلع الشّمس.

الثّانى: أنّه رأه في أفق السّماء الغربي، أي مغرب الشّمس.

الثّالث: أنّه رأه نحو أجياد و هو مشرق مكّة قاله مجاهد.

و أمّا كيفيّة الرُّؤية فقد نقل القرطبي في تفسيره عن الثّعلبي في تفسيره عن إبن عبّاس أنّه قال: قال النّبي لجبرئيل: إنّي أحبّ أن أراك في صورتك التّي تكون فيها في السّماء. قال جبرئيل: لن تقدر على ذلك؟ قال: بلىٰ! قال: فأين تشاء أن أتّخيل لك؟ قال: بالأبطح. قال: لا يسعني؟ قال: فبمنى. قال: لا يسعني؟ قال: بعرفات. قال: ذلك بالحرّى أن يسعني فواعَده فخرج النّبي للوقت فإذا هو قد أقبل بخشخشةٍ و كلكلةٍ من جبال عرفات قد ملأ ما بين المشرق و المغرب و رأسه في السّماء و رجلاه في الأرض فلمّا رأه النّبي خرَّ مغشيّاً عليه فتحوّل جبرئيل في صورته و ضمّه إلى صدره و قال يا محمّد ﷺ لا تخف فكيف لو رأيت إسرافيل و رأسه في تحت العرش و رجلاه في تخوم الأرض السّابعة و أنّ العرش على كاهله و أنّه ليتضائل أحياناً من خشية اللّه حتّى يصير مثل الوسع يعني العصفور حتّى ما يحمل عرش ربّك إلاّ عظمته إنتهىٰ. ما نقله عن الثّعلبي.

ثمّ قال و قيل أنّ مُحمّداً ﷺ رأىٰ **رَبَّه بِـالْأُفُقِ ٱلْـمُبِينِ** إنتهىٰ كلام القرطبي.

أقُول أمّا ما نقله عن الثّعلبي من الحديث فهو ممّا لا يعتمد عليه بل هو بالموهومات و الموضوعات أشبه منه بالمعقولات و المنقولات الصّحيحة، و أمّا قوله: أنّه رأى ربّه عزّ وجلّ بالأفق المبين فأن أراد القائل بالرُّؤية الرُّؤية القلبيّة فلا إشكال فيه و على هذا لا معنى لإختصاصها بالأفق المبين فإنّ اللّه تعالى منزّهٌ عن المكان و الوضع و الجهة و قد بيّنا ذلك مراراً، و أمّا إن أراد الرُّؤية بالبصر فهي من المحالات العقليّة و النّقلية، هذا كلّه مضافاً إلى أنّ مرجع الضّمير في قوله: **رَاٰهُ** لم يتقدّم ذكراً و معنىً و حكماً و هو ظاهرٌ و الذّي نقول في تفسير

الآية و هو أنّ اللّه تعالىٰ قال: **وَ لَقَدْ رَاٰهُ بِالْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ** وَلَم يُبيّن الأفق المبين، و لم يبيّن كيفيّة الرُّؤية أيضاً فما زاد على ظاهر الآية فهو من الموضوعات.

وَ مٰا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ

قرأ إبن كثير و الكسائي و أبو عمر و رويس بالظّاء و الغيب هو القرأن و ما تضّمنه من الأحكام، و قرأ الباقون بالضّاد المعجمة فعلىٰ القراءة الأولىٰ معنىٰ الآية أنّ الرّسول ليس علىٰ القرأن و ما فيه من الأحكام بمتّهم أي ليس ممّن يظّن به الرّيبة.

علىٰ القراءة الثّانية: معناه ليس الرَّسول ببخيل علىٰ الغيب أي علىٰ القرأن و بيان أحكامه فإنّه أمينٌ علىٰ وحي اللّه صادق في قوله و عمله لمكان عصمته.

وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ

و ما هو، أي القرأن بقول شيطانٍ رجيمٍ، الّذي رجمه اللّه باللَّعنة. فالرَّجيم فعيل بمعنىٰ مفعول أي أنّه مرجوم من عند اللّه باللَّعن أو بالشُّهب من السّماء.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ

عن الأمر الّذي قد ظهر عليكم بالحسّ و العقل، و قيل معناه أين تعدلون عن هذا القول و عن طاعته و لم تعرضون عن الحقّ و تأخذون بالباطل.



إِنْ هُوَ إِلّٰا ذِكْرٌ لِلْعٰالَمِينَ

إن نافية، أي ليس القرأن إلاّ ذكرٌ أي مذكّرٌ للعالمين أي موعظةٌ و زجرٌ.

لِمَنْ شٰآءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ

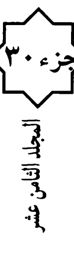
أي أنّه أي القرأنموعظةٌ لمن شاء منكم أنيستقيم، أي يأخذبالحقّ و يعرض عن الباطل و فى الآية إشارة إلىٰ أنّ الإنسان مختار في قوله و فعله و هو كذلك.

وَ مٰا تَشٰاۤؤُنَ إِلاّٰۤ أَنْ يَشٰاۤءَ ٱللّٰهُ رَبُّ ٱلْعٰالَمِينَ

أي و ما تشاؤن من الإستقامة إلاّ و قد شاء اللّه ربّ العالمين، و قيل معناه ما تشاؤن شيئاً إلاّ أن يشاء اللّه يمكّنكم منه ذكر هذين الوجهين في تفسير الآية في التّبيان.

و الحقّ أن يقال، و ما تشاؤن إلاّ أن يشاء اللّه، أي إلاّ أن يوافقكم اللّه فيه فالمشيئة منكم و التّوفيق من اللّه.

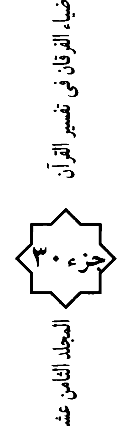
■



سُورَةُ ٱلإنْفِطَارِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَ إِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَ إِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَآ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوّٰيكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيۤ أَيِّ صُورَةٍ مَا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَ إِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ ٱلأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ ﴿١٩﴾



◀ اللّغة

ٱنْفَطَرَتْ: الإنفطار الإنشقاق أي إنشقّت.

ٱنْتَثَرَتْ: أي تساقطت فالإنتشار التّساقط.

فُجِّرَتْ: أي فجّر بعضها في بعضٍ فصارت بحراً واحداً، و قيل معناه خرق بعض مواضع الماء إلىٰ بعضٍ.

بُعْثِرَتْ: أي قلّبت و أخرج ما فيها من أهلها أحياء.

فَعَدَلَكَ: أي جعلك معتدلاً.

جَحِيمٍ: النّار.

ٱلدِّينِ: الدّين هاهنا الجزاء.

يَوْمَئِذٍ: يعني يوم القيامة.

◀ الإعراب

مٰا غَرَّكَ ما، إستفهاميّة مٰا شٰآءَ نعتٌ لصورة كِرٰامًا نعتٌ يَصْلَوْنَهٰا حال من الضّمير في الخبر و يجوز أن يكون نعتاً لجحيم.

◀ التّفسير

إِذَا ٱلسَّمٰآءُ ٱنْفَطَرَتْ

أي إنشّقت و الإنفطار إنقطاع الشّئ من الجهات.

وَ إِذَا ٱلْكَوٰاكِبُ ٱنْتَثَرَتْ

فالكواكب جمع كوكب و هو النّجم و الإنتشار السّقوط و المعنى إذ النّجوم تساقطت ضوءها.

وَ إِذَا ٱلْبِحٰارُ فُجِّرَتْ

أي فجر بعضها في بعضٍ و قيل ذهب ماؤها و يبست.

وَ إِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ

يقال بعثرت القاع قلَّبته ظهراً لبطنٍ و بعثرت الحوض إذا هدمته و جعلته أسفله أعلاه.

و قال الفرّاء و بعثرت أي أخرجت ما في بطنها من الذَّهب والفضّة و علىٰ هذا فالمعنىٰ إذا خرجت القبور و ما في بطنها من الأموات فصاروا أحياء.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ

هذا جواب (إذا) أي إذا وقع ما ذكرناه علمت نفسٌ أي كلّ نفسٍ **مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ** قيل معناه ما أخذت و تركت فما يستحقّ به الجزاء.

و قيل معناه كلّ ما يستحقّ به الجزاء ممّا كان في أوّل عمره أو أخره، معناه ما قدَّمت من عملها و ما أخَّرت من سنّة سنَّها فعمل بها بعد موته.

و قال إبن عبّاس و قتادة ما قدَّمت من طاعةٍ أو ترك، و قيل ما قدَّمت لعمله.

أقول و الّذي يخطر بالبال في معنىٰ الكلام أنّ المراد بما قدَّمت، الأعمال الصّالحة الّتي يأتي بها المكلّف في حياته قبل موته أيّ عملٍ كان من الصّلاة و الصّوم و الحجّ و الزّكاة و الإنفاق و الجهاد و غيرها، و المراد بما أخرَّت الأعمال الّتي يعمل بها بأمره بعد موته كان أوصىٰ المكلّف بصرف ثلث ماله في الخيرات بعد موته أو وقف شيئاً من ماله كذلك أو كتب ممّا ينتفع به النّاس في أمر دينهم، أو ترك ولداً صالحاً يدعوا له و هكذا و بالجملة من سنَّ سنّةً حسنة فله من الثّواب مثل ثواب من عمل بها و أمثال ذلك ممّا يوجب الدُّعاء للميّت بعد موته و علىٰ هذا فمعنىٰ قوله: **مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ** ما قدَّمت في حياته لأخرته و ما أخرَّت بعد موته فأنّ الباقيات الصّالحات خيرٌ و أحسن عملاً.

يٰآ أَيُّهَا ٱلْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ

هذا خطاب لجميع المكّلفين يقول اللّه لهم **مٰا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ** فالكريم صفة للرَّب أي الرَّب الموصوف بالكرامة و العظمة و المعنى أيُّ شيءٍ

غرّك بخالقك حتّىٰ عصيته في أمره و نهيه، و قيل الخطاب في الآيـة لمـنكري البعث.

و قال إبن عبّاس الإنسان في الآية الوليد بن المغيرة و قال عكرمة، أبيّ بـن خلف و قيل نزلت الآية في أبي الأشدّبن كـلدة، و مـعنىٰ **مَـا غَـرَّكَ بِـرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ**، ما الّذي غرّك حتّىٰ كفرت بربّك الكريم، المتجاوز عنك.

قال قتادة و غرّه شيطانه المسّلط عليه، و قيل حمقه و جهله.

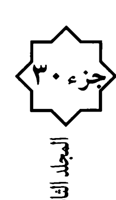
و روىٰ غالب الحنفي قال لمّا قرأ رسول اللّه هذه الآية قال غرّه الجهل، عفو اللّه إذ لم يعاقبه في أوّل أمره و الأقوال كثيرة.

أقول الغرور بضّم الغين ظهور أمرٍ يتّوهم به جهل الأمان من المحذور، و الكريم القادر علىٰ التّكرم من غير مانعٍ و من هذه صفته لا يجوز الإغترار به لأنّ تكرّمه علىٰ ما تقتضيه الحكمة من مجازاة المحسن بإحسانه و المسيئ بـإساءته قاله الشّيخ في التّبيان.

ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ

أي خلقك من نطفةٍ قـذرةٍ، فسّـواك، فـالتّسوية التّـعديل، و المـراد بـها فـي المقام تسوية ألته من اليدين و الرِّجلين و العينين قيل نفخ الرُّوح فيه و بـعبارةٍ أخرىٰ تسوية أجزاء بدنه و وضع كلّ واحدٍ منها في موضعه.

و أمّا قوله: **فَعَدَلَكَ** فقيل معناه عدله في المزاج علىٰ وجهٍ يصّح معه وجود الحياة قيل فمن خفّف الدّال في (عدلك) أراد صرفك الىٰ أيّ صورةٍ شاء مـن حسنٍ أو قبحٍ و من شدّد الدّال فـجعله مـن التّعديل و المـعنىٰ جـعلك فـعدل الخلق معتدلاً وإختار الفرّاء التّشديد لأنّ (في) مع التَّعديل أحسـن و (الىٰ) مـع العدل و إنمّا قلنا ذلك لأنّ القراءة العامّة التّشديد في الدّال، و قراءة الكـوفيّين و عاصم و حمزة و الكسائي التّخفيف ولكلّ واحدٍ من القولين وجهٌ وجيه.



فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ

فالتَّركيب ضمّ الأجزاء بعضها الىٰ بعضٍ قيل في معنىٰ الآية من شبه أبٍ أو أمٍّ أو خالٍ أو عمٍّ، و قيل معناه، من ذكرٍ أو أنثى و جسيمٍ أو تخفيفٍ و طويلٍ أو قصير ومستحسنٍ أو مسقبح، و قيل في أيّ صورةٍ ما شاء ركّبك، فيما بينك و بين آدم.

و قال أبو صالح إن شاء في صورة إنسانٍ، و إن شاء في صورة حمارٍ و إن شاء في صورة قرد و إن شاء في صورة خنزير، و (ما) يجوز أن تكون صلة مؤكّدة أي في أيّ صورةٍ شاء ركّبك، و قيل هي شرطيّة أي إن شاء ركّبك في صورة الإنسان و إن شاء في صورة غيره، و حاصل الكلام أنّ أمر الخلق بيد الخالق علىٰ كلّ شيءٍ قدير.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ

كلاّ حرف ردعٍ و زجرٍ أي إرتدعوا و إنزجروا، و قيل معناه حقّاً، بل تكذّبون بالدّين، إتّفق المفسّرون علىٰ أنّ الدّين ها هنا الجزاء و هو أحد معانيه أي كلاّ ليس الأمر كذلك، أو حقّاً بل أنتم معاشر الكفّار تكذّبون بالدّين أي بالجزاء علىٰ الأعمال من الثّواب و العقاب لإنكاركم البعث و النُّشور، و قيل المراد بالدّين هو معناه المتّعارف بين النّاس و تكذيبهم به معناه تكذيبهم بالدّين الّذي جاء به محمّد ﷺ و هو الإسلام و الحقّ أنّ المعنيين المذكورين لا بأس بهما لرجوعهما الىٰ أمرٍ واحدٍ و هو أنّ الإقرار بالبعث داخل في معنىٰ الدّين المتعارف عند النّاس لأنّ المعاد من أصول الدّين الّذي جاء به نبيّ الإسلام و علىٰ هنا فتكذيب الجزاء يرجع الىٰ تَكذيب الدّين و بالعكس.

وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

و المراد لحافظين الملائكة الموكلّون علىٰ بني‌آدم يحفظون عليهم ما يعملون من الطّاعة و المعصية في صحيفة أعمالهم و اليه الإشارة بقوله: **كِرَامًا كَاتِبِينَ** يعلمون ما تفعلون، لأنّهم يكتبون ما صدر عن المكلّف من خيرٍ أو شرٍّ فلا يخفىٰ عليهم شيءٌ من أعمالهم و أقوالهم ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ بعد ذلك ذكر أحوال المتّقين يوم القيامة فقال.

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

فالأبرار جمع، بارّ، بتشديد الرّاء و قد تجمع علىٰ بررة، قال اللّه تعالىٰ: **كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**[١] و قال في صفة الملائكة **كِرَامٍ بَرَرَةٍ** فبررة خصّ بها الملائكة في القرآن من حيث أنّه أبلغ من، أبرار، فأنّه جمع، برّ، و أبرار، جمع، بارّ، برّ أبلغ من، بارّ، كما أنّ عدلاً ابلغ من العادل و معنىٰ الآية أنّ الأبرار و هم المتّقون حقّاً، لفي نعيم، أي نعيم الجنّة يلتذّون بها فإنّ في الجنّة ما تشتهيه الأنفس و تلذّبه الأعين ثمّ قال تعالى في الفجّار.

وَ إِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ

ٱلْفُجَّارَ بضمّ الفاء جمع فاجر و هو الّذي خرج عن طاعة اللّه الىٰ معصيته **لَفِي جَحِيمٍ** جزاءٌ علىٰ كفرهم و معاصيهم و الجحيم من أسماء جهنّم، و قيل هو النّار، و المعنىٰ واحد فأنّ النّار في جهنّم.



يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ

أصل الصَّلي لإيقاد النّار يقال بالنّار أي بلىٰ بها و إصطلىٰ بها، و صليت الشّاة، شويتها، ولذلك قال تعالىٰ: **ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ** أي أوقدوا النّار يوم القيامة، و قال: **يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ** و قال: **تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً** و هكذا إذا عرفت هذا

١- المطففين = ١٨

فقوله: **يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ** معناه أنّ الكفّار و العاصين يوقدون النّار يوم القيامة و هو يوم الجزاء و فى إشارة الىٰ أنّ النّار من آثار أعمالهم في الدُّنيا بل هي مسبَّبة عنها و لذلك نسب اللّه الصَّلي في الكفّار و قال يصلونها ولم يقل أصليتها مثلاً أي لم ينسب الصَّلي الىٰ نفسه و الوجه فيه ظاهر لأنّ المكلّف لو عمل بوظائفه المقرّرة له في الشّريعة المقدّسة في إعتقاده و أعماله و أقواله لا يكون هناك نارٌ أصلاً **وَ مَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ** ما، نافية أي ليسوا من النّار بغائبين، لكونهم فيها.

وَ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ، ثُمَّ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ

كرَّر يوم الدّين و هو يوم الجزاء تعظيماً لشأنه و أنّه حقٌّ كما قال: **اَلْقَارِعَةُ، مَا اَلْقَارِعَةُ، وَ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا اَلْقَارِعَةُ**[1] و كلمة، ما، في الآية للنّفي أي لست تعلم أيُّ شيءٍ يوم القيامة فأنّ العيان ليس كالسّماع ثمّ بيَّنه.

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ ٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ

أي هو يوم لا يملك أحدٌ شيئاً و لا يقدر أحد علىٰ الدّفاع عن غيره ممّن يستحقُّ العقاب و ذلك لأنّ الأمر يومئذٍ أي يوم القيامة للّٰه فقط و أيّ يومٍ علىٰ الإنسان أشدّ من يومٍ لا يقدر علىٰ شيءٍ و لا ينتفع بماله و أولاده و عشيرته و أقرباءه و جميع ما كان حاصلاً له في الدُّنيا و هو لا يعلم ما يفعل به و يحكم عليه أهو من أهل النّار و العذاب أو من أهل الجنّة و الرّحمة و ذلك لأنّ الحكم للّه تعالىٰ في الجزاء و الثّواب و العفو و الإنتقام

و روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ الأمر يومئذٍ للّٰه و الأمر كلّه له تعالىٰ ثمّ قال عليه السلام و إذا كان يوم القيامة يأذن الحكّام فلم يبق حاكمُ إلاّ اللّه إنتهىٰ.

١- القارعه = ١ الى ٣

و أنا أقول: و لمثل هذا فليعمل العاملون فأنّ الموت حقّ لا مرية فيه القيامة حسابٌ و لا عمل فعلىٰ العاقل أن يغتنم الفرصة فأنّها تمرّ مرّ السَّحاب.

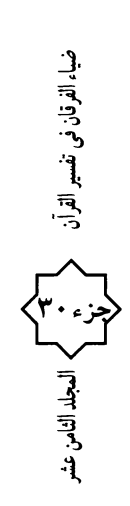
■



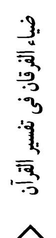
سُورَةُ ٱلْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرٰيكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرٰيكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ



يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَ إِذَا ٱنْقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَ مَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾



◀ اللّغة

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ: الويل بفتح الواو وادٍ في جهّنم و المطفّف المقّلل حقّ صاحبه و التّطفيف التّنقيص علىٰ وجه الخيانة.

إِذَا ٱكْتَالُوا: الإكتال الأخذ بالكيل.

يَسْتَوْفُونَ: الإستيفاء الأخذ بالحقّ بلا زيادة و نقيصة.

سِجّينٌ: قيل هو السّجن علىٰ التّخليذ.

مُعْتَدٍ أَثِيمٍ: فالمعتدي المتجاوز من الحقّ إلىٰ الباطل، و الأثيم، يكتب القبيح و هو مأخوذ من الإثم و هو الذّنب (ران) أي غلب فالرّين غلبته السّكر علىٰ القلب جمع ٱلْأَرَآئِكِ أريكة و هى ما يتّكأ عليه.

رَحِيقٍ: الرَّحيق الخمر الصّافية.
مَخْتُومٍ: أي في الآنية.
تَسْنِيمٍ: فالتَّسنيم عين الماء يجري من علو إلىٰ أسفل.
يَتَغَامَزُونَ: أي غنز بعضهم بعضاً علىٰ وجه السُّخرية.
ثُوِّبَ: أي جوزي مأخوذ من الثَّواب.

◀ الإعراب

كَالُوهُمْ هم، ضمير مفعول متَّصل و التَّقدير، لهم **أَلَا يَظُنُّ** لا، نافية و الهمزة للإستفهام **يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ** هو بدل من موضع الجّار و المجرور **يَنْظُرُونَ** صفة للأبرار و يجوز أن يكون حالاً، و أن يكون مستأنفاً **هَلْ ثُوِّبَ** موضع الجملة نصب ينظرون.

◀ التَّفسير

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ

الويل وادٍ في قعر جهنّم و المطفِّفن جمع مطففَ المقلّل حقَّ صاحبه بنقصانه عن الحقّ في كيل أو وزنٍ.

قال إبن عبّاس نزلت الآية في أهل المدينة و ذلك أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لمّا قدم المدينة كانوا أي أهل المدينة من أخبث النّاس كيلاً و وزناً فأنزل اللّه تعالىٰ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ** فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

قال الفرّاء فهم من أوفىٰ النّاس كيلاً إلىٰ يومهم هذا و قيل هي أوَّل سورةٍ نزلت علىٰ رسول اللّه في المدينة و كان هذا فيهم كانوا إذا شربوا إستوفوا الكيل راجح فإذا باعوا بخسوا المكيال و الميزان.

و قيل أنَّها نزلت في رجلٍ يعرف بإبن جهينة و إسمه عمر و كان له جناحان يأخذ بأحدهما و يعطي بالأخر، وكيف كان فالويل ثابتٌ للمطفِّف يوم القيامة و

هو وادٍ في جهنَّم يسيل فيه صديد أهل النّار و المطفِّف مأخوذٌ من الطَّفيف و هو القليل في اللُّغة.

ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ

هذا تفسير المطّففين كأنّه قيل من هم فقال تعالىٰ: **ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ** أي من النّاس إستوفوا عليهم الكيل أي أخذوا الزّيادة.

وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

أي وزنوا لهم **يُخسرُونَ** أي ينقصون و ملخّص الكلام أنّ المطّففين هم الّذين يفرقون بين البيع و الشّراء ففي البيع يخسرون أى ينقصون و فى الشّراء يستوفون أي يأخذون الزّيادة.

أَلا يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ

قيل الظّن هاهنا بمعنىٰ العلم و تقدير الكلام ألا يعلم أنّه أي المطفِّف يبعث يوم القيامة و قال بعضهم الظَّن هاهنا بمعنىٰ اليقين أي ألا يوقن أولئك ولو أيقنوا فأنقصوا في الكيل و الوزن و علىٰ هذا أي أنّ الظّن بمعنىٰ العلم أو اليقين إتّفاق المفسّرين و إن كان التّطفيف في السورة الظَّن بالبعث أيضاً غير مقبولٍ لأنّ دفع الضّرر المحتمل واجبٌ عقلاً **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** و هو يوم القيامة.

يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

للحساب و الجزاء و لا يمكن لهم الفرار من حكومةٍ ثمّ قال تعالىٰ في الفجّار.

كَلَّآ إِنَّ كِتابَ ٱلْفُجّارِ لَفِي سِجِّينٍ

فالفجّار بضمّ الفاء جمع فاجرالّذي شقَّ ستر الدّيانة و أمّا **السِجِّينٍ** بكسر السّين فقد إختلفوا في معناه.

فعن إبن عبّاس أنّه في الأرض السّابقة السُّفلىٰ، و قال مجاهد تحت صخرةٍ في الأرض السّابقة السُّفلىٰ، و قيل هو حبّ في جهنّم، و قيل معناه الشّدة فكأنّه لشدّة السّجن و يكون معناه شديدٌ عذابه.

و قيل هو السِّجن علىٰ التّخليد فيه كما يقال شريب من الشّرب و سكير من السّكر و شرير من الشّر ذكره في التّبيان.

و قال الرّاغب في المفردات، و السِّجين إسمٌ لجهنّم بإزاء علّيين و زيد لفظه تنبيهاً علىٰ زيادة معناه ثمّ قال ما هذا لفظه، و قد قيل أنّ كلّ شئٍ ذكره اللّه تعالىٰ: **وَ مٰآ أَدْرٰيكَ** عشره وكلّ ما ذكر بقوله: (وما يدريك) تركه مبهماً هذا الموضع ذكر **وَ مٰآ أَدْرٰيكَ** وكذا في قوله و **وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مٰا عِلِّيُّونَ** ثمّ فسّر الكتاب لا السِّجين و العلّيين إنتهى كلامه.

أقول فعلىٰ قول الرّاغب ما فسّره اللّه في الآية لأنّه قال بعد ذلك **وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مٰا سِجِّينٌ** و معنىٰ الآية أنّ كتاب الفجّار، أي صحيفة أعمالهم لفي سجّين، أي في جهنّم و ما أدريك يا محمّد ﷺ ما سجّين، أي ما أدريك أي شئ هو.

كِتٰابٌ مَرْقُومٌ

فالرَّقم طبع الخطّ أي مكتوب كالرَّقْم في الثّوب لا ينسى يمحىٰ، و قيل معناه لا يزاد فيه و لا ينتقَّص و قيل، مرقومٌ، أي مختوم، بلغة حميد و أصل الرَّقم الكتاب قال الشّاعر:

سأرقم في الماء القراع إليكم — علىٰ بعدكم إن كان للماء راقمُ

وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ

الويل إسم وادٍ في جهنّم علىٰ ما قيل، و قال بعضهم معناه، أي شدّةٌ و عذابٌ يوم القيامة للمكذّبين، ثمّ بيّن اللّه تعالىٰ أنّ المراد به هو تكذيب يوم الدِّين، أي يوم الجزاء و هو يوم الحساب فقال:

ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ أي ينكرونه **وَ مَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ** أي لا يكذّب القيامة إلاّ معتدٍ، أي فاجرٌ جائرٌ عن الحقّ، معتدٍ أي متّجاوزٌ و جائرٌ علىٰ الخلق في معاملته إيّاهم و علىٰ نفسه و أثيم، أي مذنبٌ في تركه أمر اللّه.

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

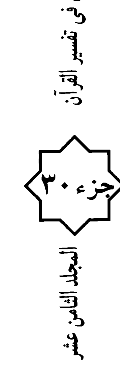
القائل بهذا الكلام قيل هو أبو جهل و الوليد بن المغيرة و قد مضىٰ الكلام فيه غير مرّةٍ و قلنا أنّ الأساطير جمع أسطورة و معنىٰ الأساطير الأباطيل أي أنّ هذا ما سطره الأوّلون أي كتبوه و لا أصل له.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

كلاّ، حرف ردعٍ و زجرٍ أي ليس الأمر علىٰ ما قالوه و ليس القرأن من الأساطير بل ران علىٰ قلوبهم أي غلب علىٰ قلوبهم.

أقول الرّين بفتح الرّاء، صدأ يعلو الشّيء الجليل أي صار ذلك كصدأ علىٰ جلاء قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير من الشّر قاله في المفردات.

و قد ورد في الحديث عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: أنّ العبد إذ أخطأ خطيئة فكتب في قلبه نقطة سوداء فإذا هو نزع و إستغفر اللّه و تاب متّصل قلبه و إن عاد زيد فيها حتّىٰ تعلو علىٰ قلبه و هو الرّان الّذي ذكر اللّه في المقام و حيث أنّ العبد مقصرٌ في ذلك لعدم توباته و إستمراره علىٰ الذّنب قال تعالىٰ: مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ و هو دليلٌ علىٰ أنّ اللّه لم يخلقه كذلك بل هو نفسه إستّمر علىٰ الذّنب بسوء سريرته و خبث طينته و متابعته الشّيطان و مخالفته الرّحمٰن.



كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ

أي حقّاً، أو ليس الأمر علىٰ ما قالوه أنّهم أي الكفّار و الفجّار، يومئذٍ، أي يوم القيامة **عَنْ رَبِّهِمْ** أي عن رحمة ربّهم أي **لَمَحْجُوبُونَ** لمنوعون، و قيل عن إحسانه و كرامته و المعنىٰ واحد فأنّ الحجب المنع.

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

قلنا فيما مضىٰ، أنّ صلى النّار إيقادها، و قيل معناه اللُّزوم فإنّ المصطلى الملازم بالنّار و الحقّ ما ذكرناه و معنىٰ الآية أنّ الفجّار أوقدوا النّار التّي وقعوا فيها بسبب أعمالهم ثمّ يقال لهم فيها هذا الّذي كنتم به تكذّبون، في الدُّنيا لأنّهم أنكروا البعث و النّشور و الحساب و الكتاب فهذا الإنكار أوقعهم فيما أوقعهم فيه.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وَ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ، كِتَٰبٌ مَرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ

لمّا ذكر اللّه تعالىٰ: **إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ** إلىٰ أخر الأيات ذُكر في هذه الآية و ما بعدها أحوال الأبرار و الصُّلحاء فقال: **كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ** و هم الّذين إجتنبوا المعاصي و فعلوا الطّاعات و أقرُّوا بالبعث **لَفِي عِلِّيِّينَ** أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة و العظمة و الرَّحمة، و ما أدريٰك، يامحمّد **مَا عِلِّيُّونَ** قيل هو سدرة المنتهىٰ التّي ينتهي إليها كلّ شيءٍ من أمر اللّه، و قيل عليّون علُّو مضاعف ولهذا جمع بالواو و النُّون تفخيماً لشأنه، و قيل تفصيل هذه المنازل لا يمكن العلم بها إلاّ بالمشاهدة كما هو كذلك في السّجين.

كِتَٰبٌ مَرْقُومٌ، أي مكتوب فيه رقم جميع طاعاتهم و أعمالهم بما تقُّر به أعينهم و توجب سرورهم بضدّ الكتاب الّذي للفجّار لأنّ فيه ما يسؤهم، يشهده المقرّبون، وهم الملائكة المقّربون عند اللّه ثمّ أخبر اللّه تعالىٰ عن أحوال الأبرار فقال:

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ

أي نعمة و النّعمة بالفتح التّنعيم و المعنىٰ أنّ الأبرار في الجنّات يتنعّمون.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ

الأرائك جمع أريكة قال مجاهد هي من اللّؤلؤ و الياقوت و هو سرير في حجلة ينظرون إلىٰ ما أعطاهم اللّه من الملك و الكرامة، و الحجلة كالقبّة علىٰ الأسرة.

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ

أي بهجته و غضارته و نوره و المشهور في القراءة **تَعرف** بفتح التّاء و كسر الرّاء بصيغة المعلوم و قرأ يعقوب و إبن أبي‌إسحاق و غيرهما، بضمّ التّاء و فتح الرّاء بصيغة المجهول و المعنىٰ واضح.

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ

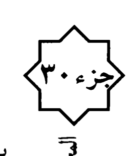
فالرَّحيق الخمر الصّافية الخالصة التّي لا غشّ فيها و قال الخليل الرّحيق أصفىٰ الخمر و أجودها و قال مقاتل و غيره هي الخمر العتيقة البيضاء العافية من الغشّ النّيرة و إلىٰ هذا المعنىٰ أشار حسّان بقوله:

يسقون من ورد العريص عليهم بردىٰ يعتّق بالرَّحيق السَّلسل

و قال أخر:

أم لا سبيل إلىٰ الشّباب و ذكره أشهىٰ إلَّي من الرَّحيق السَّلسل

و أمّا قوله: **مَخْتُومٍ** فقال بعضهم معناه أنّ هذا الخمر مختومٌ في الأنية بالمسك و هو غير الّذي يجري في الأنهار.



خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ

قيل ختامه مسك أي يختم به أخر جرعةٍ و قيل معناه، ختامه أخر طعمه.

و قوله: **وَ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ** معناه و فى ذلك الّذي ذكرناه

فليرغب الرّاغبون و قيل فليتبادر المتبادرون و قيل لمثل هذا فليعمل العـاملون و المعنىٰ واحد.

وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنيمٍ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ

فالمعنىٰ مزاجه أي مزاج ذلك الرَّحيق **مِـنْ تَسْـنيم** هـو شرابٌ يـنصبُّ عليهم من علوٍّ و هو أشرف شرابٍ في الجنّة و أصل التَّسنيم في اللّغة الإرتفاع و قيل التَّسنيم يعنٌ تجري في الهواء بقدرة اللّه فتنصبُّ في الأوانـي عـلىٰ قـدر مائها فإذا إمتلأت أمسكها فلا تـقع مـنه قـطرة عـلىٰ الأرض، و قـيل أنّـها عـينٌ تجري من تحت العرش.

و قوله: **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ** قيل في نصب (عَين) وجوه:

أوّلها: أنّ **تَسْنيم** معرفة و **تَسْنيم** حال منها.

الثّاني: أن يكون **تَسْنيم** مصدراً فيجري مجرىٰ قوله: **أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**(١) أي نصبه علىٰ أنّه مفعول به فالفرّاء يقول أنّـه مـنصوب (بـتسنيم) و الأخفش يقول أنّه مـنصوب بـيسقُّون، أي فـيسقون عـيناً أو مـن عـينٍ، و عـند المبرّد بإضمار أعني علىٰ المدح.

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ

قيل إنّها نـزلت فـي جـماعةٍ مـن كـفّار قـريش كـانوا يـعيِّرون جـماعة مـن المسلمين الّذين سبقوا إلىٰ الإيـمان، فأخـبر اللّـه تـعالىٰ بأنّ المـجرمين و هـم الكفّار و العصاة كانوا من الّـذين أمـنوا بـاللّه و رسـوله يـضحكون عـلىٰ وجـه الإستهزاء بهم.

وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ أي إذا مرُّوا بهم المؤمنون و جاروا عليهم **يَتَغَامَزُونَ** أي غمز بعضهم بعضاً عليهم علىٰ وجه التّعجب منهم و السُّخرية.

١- البلد = ١٤

وَ إِذَا ٱنْقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنْقَلَبُوا فَكِهِينَ

يعني الكفّار إذا إنقلبوا إلىٰ أهلهم و أصحابهم إنقلبوا فاكـهين أي لاهـين، و من قرأ **فَكِهِينَ** بغير الألف معناه معجبين بحالهم.

وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ

أي إذا رأىٰ الكفّار المؤمنين في دار الدُّنيا قالوا أي قـال بـعضهم لبـعضٍ أنّ هؤلاء أي الّذين أمنوا لضّالون، أي عادلون عن طريق الإستقامة لأنّهم خـرجـوا عمّا كان عليه أبائهم و هو الكفر و دخلوا في الإسلام فقال تعالىٰ في جوابهم.

وَ مَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ

أي إنّا لم نرسل الكفّار عليهم، أي علىٰ المـؤمنين حـافظين فـيحفظون لهـم عليهم من الكفر و المقصود ذمّ الكفّار لعـيب المـؤمنين بـالضّلال فـي إيـمانهم باللّه و رسوله، ثمّ أنّ اللّه تعالىٰ لمّا بيَّن ضحك الكفّار و إستهزائـهم المـؤمنين في الدّنيا أشار إلىٰ عكس القضية في الأخرة أنّ المؤمنين يضحكون يوم القيامة فقال: **فَالْيَوْمَ** أي يوم القيامة **(الّذين أمنُوا)** منهم في الدّنيا يضحكون، عـلىٰ الكفّار الّذين كانوا من المستهزئين في الدُّنيا.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ

أي حال كونهم علىٰ سررٍ في الحجال ينظرون إلىٰ الكفّار أوقعوا غيرهم من العذاب و قيل معنىٰ ينظرون ينتظرون ما يفعله اللّه بهم من الثّواب و النَّعيم في كلّ حالٍ و ما ينزل بالكفّار من العذاب و العقاب ثمّ قال تعالىٰ.



هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

الثّواب في أصل اللُّغة الجزاء الّذي يـرجـع عـلىٰ العـامل بـعمله يـقال ثـاب الماء يثوب إذ رجع و الإستفهام للإنكار و فيه التّوبيخ و التّهديد.

و قيل في الإستفهام التّقرير و موضعه نصب ينتظرون اى ينظرون، هل جوزي الكفّار في القيامة ما كانوا يفعلون بالمؤمنين في الدّنيا من الإنكار و الإستهزاء.

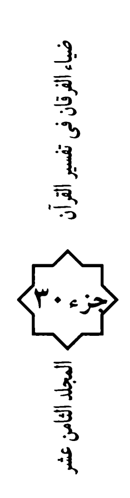
قال قوم يقول المؤمنون بعضهم لبعضٍ هل جوزي الكفّار ما كانوا يفعلون، سروراً بما ينزل بهم، و قيل يجوز أن يكون ذلك من قول اللّه أو قول الملائكة للمؤمنين تنبيهاً لهم علىٰ أنّه جوزى الكفّار علىٰ كفرهم و سخريّتهم بالمؤمنين وهزئهم بأنواع العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلىٰ سرورهم فمعنىٰ قوله: **هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ** أي هل أثيب و جوزي الكافر على عمله أم لا.

■

﴿ سُورَةُ ٱلْإِنْشِقاقِ ﴾

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

إِذَا ٱلسَّماۤءُ ٱنْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ ﴿٢﴾ وَ إِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَ أَلْقَتْ ما فيها وَ تَخَلَّتْ ﴿۴﴾ وَ أَذِنَتْ لِرَبِّها وَ حُقَّتْ ﴿۵﴾ يآ أَيُّهَا ٱلْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقيهِ ﴿۶﴾ فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا ﴿٨﴾ وَ يَنْقَلِبُ إِلىٰٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَ أَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرآءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَ يَصْلىٰ سَعيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كانَ فيٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١۴﴾ بَلىٰٓ إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصيرًا ﴿١۵﴾ فَلآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١۶﴾ وَ ٱللَّيْلِ وَ ما وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَ ٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْاٰنُ لا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَ ٱللّٰهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ ﴿٢۴﴾ إِلَّا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢۵﴾



◀ اللّغة

ٱنْشَقَّتْ: أي تصدَّعت و إنفرجت فالإنشقاق الإنفراج و الإنفطار

حُقَّتْ: بضّم الحاء قيل أي سمعت و أطاعت.

مُدَّتْ: المدّ البسط أي بسطت.

وَ أَلْقَتْ: الإلقاء الطَّرح.

تَخَلَّتْ: من التّخلية أي صارت خالية ممّا كان في بطنها من المعادن الكدح.

كَادِحٌ: السَّعي الشّديد.

ثُبُورًا بضّم الثّاء الهلاك.

يَحُورَ: يقال حار يحور حوراً إذا رجع.

بِالشَّفَقِ: شفق هو الحمرة الرَّقيقة في المغرب بعد مغيب الشّمس.

وَسَقَ: أي جمع يقال طعامٌ موسوق أي مجموع.

ٱتَّسَقَ: الإتّساق الإستدارة و قيل معناه الإستواء.

طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ: أي حالاً من حالٍ من إحياء و إماتة.

يُوعُونَ: من وعىٰ يعي إذا حفظ و المعنىٰ ما يضمرونه في قلوبهم.

◀ الإعراب

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْشَقَّتْ جواب إِذَا فيه أقوال:

أحَدها: أَذِنَتْ والواو زائدة.

الثّاني: هو محذوف.

الثّالث: أنّ إِذَا مبتدأ و إذا الأرض خبره و الواو زائدة.

الرّابع: لا جواب لها و التّقدير أذكر و ما وَسَقَ، ما، بمعنىٰ الّذي أو نكرة موصوفة أو مصدريّة طَبَقًا مفعول و عَنْ بمعنىٰ بعد لَا يُؤْمِنُونَ، حال إِلَّا ٱلَّذِينَ يجوز في الإستثناء الإتّصال و الإنقطاع.

◀ التّفسير

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنْشَقَّتْ وإنفرجت **وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ**

أي وسمعت وأطاعت لربّها أو حقّت أي و حقٌّ لها الإنقياد و الطّاعة لأمر ربّها.

وَ إِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ

أي بسطت فعن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: (**تمُدُّ الأرض يَوم القيامة مَدَّ الأديم** و معنىٰ الآية بسطت الأرض حتّى يزاد في سعتها و قيل أنّها تبسط فذلك جبالها و أكامها حتّىٰ تصير كالصَّحيفة الملساء.

وَ أَلْقَتْ مٰا فيهٰا وَ تَخَلَّتْ

أي ألقت الأرض ما في بطنها من المعادن و غيرها و تخلَّت منها، أي صارت خالية ممّا في بطنها و هو يؤذن بعظيم الأجمر و شدّته يوم القيامة كما تلقىٰ الحامل ما في بطنها عند الشّدة.

و قال قتادة في معناه أخرجت الأرض أثقالها.

و قيل معناه أخرجت الأرض أقواتها و تخلّت عنهم و قال سعيد بن جبير معنىٰ الآية ألقت ما في بطنها من الموتىٰ و تخلّت ممّا علىٰ ظهرها من الأحياء

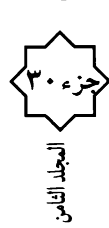
و قيل ألقت ممّا إستودعت و تخلَّت ممّا إستحفظت لأنّ اللّه تعالى إستودعها عبادة أحياءً و أمواتاً و إستحفظها بلاده مزارعة و أقواتاً.

وَ أَذِنَتْ لِرَبِّهٰا وَ حُقَّتْ

مضىٰ معناه و قلنا أنّه إشارة إلىٰ إنقياد الأرض لربّها و حقٌّ لها الإنقياد.

يآ أَيُّهَا ٱلْإِنْسانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقيهِ

الخطاب عامّ لجميع البشر من أولاد أدم من الكافر و المسلم و الرَّجل و المرأة.



و قال مقاتل هو خاصّ معين و المراد بالإنسان الأسود بن عبد الأسد، أبّي بن خلف، و قيل جميع الكفّار، و الحقّ ما ذكرناه إذ لا دليل علىٰ التّخصيص بشخصٍ معين أو جماعة خاصّة و ذلك لأنّ الكدح في كلام العرب العمل و الكسب و قيل الكدح الرّجوع أي أنّك راجعٌ إلىٰ ربّك لا محالة فملاقيه، أي ملاقٍ ربّك أو عملك، و علىٰ أيّ التّقديرين يكون الحكم عامّاً شاملاً جميع أفراد البشر فمن قال الكدح العمل و الكسب فالمعنىٰ إنّك كادحٌ أي عاملٌ و كاسبٌ في معيشتك إلىٰ لقاء ربّك و الملاقاة اللّقاء أي تلقي ربّك بعملك و علىٰ قول من فسّر الكدح بالرّجوع فالمعنىٰ إنّك راجع إلىٰ ربّك بعد الموت لقوله تعالىٰ: **انّا للّه وَانّا اليه راجِعُون**.

و من المعلوم أنّ هذين الحكمين ثابتان لجميع البشر فلا معنى لتخصيص الحكم بالكافر أو بشخصٍ معينٍ كما هو واضح و إذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فينبغي أن يواظب علىٰ أعماله و أقواله في الدّنيا ليحاسب يوم القيامة حساباً يسيراً كما قال تعالىٰ:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا

أي سهلاً هيّناً لا يناقش فيه و لا يعترض بسوؤه و يشّق عليه كما يناقش أصحاب الشّمال، قاله الزّمخشري في الكشّاف.

ثمّ رووا عن عائشة أن يعرَّف ذنوبه ثمّ يتجاوز عنه و عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: و من يحاسب يعذّب فقيل يا رسول اللّه فسوف يحاسب حساباً يسيراً قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذّب إنتهىٰ.

و قال الطّبرسي قدّس سرّه في المجمع لدىٰ من أعطي الكتاب الّذي ثبت فيه عمله من طاعةٍ أو معصيةٍ بيده اليمنىٰ فسوف يحاسب حساباً يسيراً، يريد أنّه لا يناقش في الحساب و يوافقه علىٰ عمله من الحسنات و ما له عليه من

الثّواب و ما خطّ عنه من الأوزار أمّا بالتّوبة أو بالعفو و قيل الحساب اليسير التّجاوز عن السّيئات والإثابة علىٰ الحسنات و من نوقش الحساب عذّب في خبرٍ مرفوع.

و في رواية أخرىٰ يعرَّف عمله ثمّ يتجاوز عنه و فى حديثٍ أخر أوَّل ثلاث من الخلق فيه يحاسبه اللّه حساباً يسيراً و أدخله اللّه الجنّة برحمته قالوا و ما هي يارسول اللّه قال: تعطي من حرمك و تصل من قطعك و تعفو عمَّن ظلمك إنتهىٰ كلام الطّبرسي.

وَ يَنْقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا

قيل المراد بالأهل هاهنا ما أعدَّ اللّه له من الحور العين، و يجوز أن يكون المراد أقاربه إذا كانوا من أهل الجنّة و السُّرور و الإعتقاد أو العلم بوصول نفع إليه في المستقبل أو دفع ضررٍ عنه و قال قومٌ هو معنىٰ في القلب يلتذّ لأجله بنيل المشتهى، هذا ما ذكره في التّبيان.

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ، فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا، وَ يَصْلَىٰ سَعِيرًا

قيل نزلت في الأسود بن عبد الأسد ثمّ هي عامّة في كلّ مؤمنٍ و كافرٍ.

نقل بعض المفسّرين عن إبن عبّاس أنّه قال قدَّم يده اليمنىٰ ليأخذ كتابه فيحذفه ملك فيخلع عينه فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره.

و قال قتادة و مقاتل يفكّ ألواح صدرة و عظامه ثمّ تدخل يده و تخرج من ظهره و يأخذ كتابه كذلك.

أقول ما ذكروه لا يرجع إلىٰ محصّلٍ إذ لا دليل عليه عقلاً و نقلاً و أنّما قالوا ما قالوا من عند أنفسهم فلا يصّح حمل كلام اللّه عليه و الحقّ أنّ اللّه تعالىٰ جعل اليد اليمنى علامة الصّلاح و الشّداد و كناية عنه و اليسرى علامة الفساد

أو كناية عنه أو من أجل أن اليد اليمنى أعظم بركةً من اليسرىٰ أو من جهة أخرىٰ لا علىٰ كناية وكيف كان فالأمر واضح لا خفاء فيه.

و أمّا قوله: **فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا** فالثُّبور الهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه و اهلاكاه **وَ يَصْلَىٰ سَعِيرًا** أي يلزم الكون في السَّعير و هى النّار المتوقّدة علىٰ وجه التّأييد و قيل معناه يدخل النّار حتّىٰ يصلىٰ بحرّها، و قرأ بعضهم يصلىٰ بضّم الياء و فتح الصّاد و تشدّيد اللاّم:

قال اللّه تعالى: **وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**[1].

قال اللّه تعالى: **ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ**[2].

و غير ذلك و المعنىٰ في الجميع يرجع إلىٰ شيءٍ واحدٍ عند التأمل و اللّه أعلم.

إِنَّهُ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِ مَسْرُورًا

أي أنّه كان في الدُّنيا كذلك و ذلك **إِنَّهُ ظَنَّ** في الدُّنيا **أَنْ لَنْ يَحُورَ** أي لن يبعثه اللّه للجزاء و لا يرجع حيّاً بعد ذلك أن يصير ميّتاً و فى المثل (نعوذ باللّه من الحور بعد الكور).

بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا

لا يخفىٰ عليه شيء، و قيل معناه أنّه يخبر عن أنّه لن يحور، بلىٰ و يقطع اللّه عليه بأنّه يحور علىٰ أنّه تعالىٰ يصير به و يجمع الأمور.

فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وَ ٱللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ وَ ٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ، لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ

(لا) صلة و المعنىٰ أقسم بالشّفق و هو الحمرة الّتي تكون عند مغيب الشَّمس حتىٰ صلاة العشاء، الآخرة قاله القرطبي ثمّ قال، قال أشهب و عبد اللّه

١- الواقعة = ٩۴
٢- الحاقّة = ٣١

بن الحكم و يحيى و غيرهم كثيراً عددهم عن ذلك أنّه قال الشّفق الحمرة الّتي في المغرب فإذا ذهبت الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب و وجبت صلاة العشاء.

أقول ما ذكره القرطبي خارج عن موضوع البحث فإنَّ البحث في معنى الشَّفق و هو الحمرة الرَّقيقة في المغرب بعد مغيب الشَّمس لا في وقت صلاة المغرب أو العشاء فإنَّ ما أفتى به المالك فيه ما لا يخفي و للبحث فيه مقام آخر.

وَ ٱللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ أي و أقسم باللّيل و ما وسق أيضاً، يقال وسقته إذا جمعته و طعام موسوق أي مجموع في الأوعية و الوسق الطّعام المجتمع و قدره ستُّون صاعاً.

وَ ٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ هذا قسم ثالث بالقمر حالِ التّساقه و الإتّساق الإجتماع أيضاً و هو إفتعال من الأسق قيل إذا تمّ نور القمر و أستمرَّ في ضيائه فذلك الإتّساق له.

و قيل معناه إذا إستدار القمر، و قيل إذا إستوىٰ و قوله: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ** و قيل عن بمعنىٰ (بعد) أي طبقاً بعد طبق أي حالاً بعد حالٍ من إحياء و إماتة ثمّ إحياء.

و قيل معناه ليعتبرنَّ من الدُّنيا إلى الآخرة، و قيل معناه لتركبنَّ سنَّة الأولّين و من كان قبلكم هذا كلّه بناءً علىٰ قراءة الضَّم في الباء في قوله: **لَتَرْكَبُنَّ** بصيغة الجمع و أمّا على قراءة الكسائي و حمزة و إبن كثير و غيرهم فالخطاب في الآية للنّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأنّهم قرأوها بفتح الباء و القراءة الأولىٰ أعني بها ضمَّ الباء أحسن و أقوىٰ في النَّظر و عليها المصاحف و هى الأشهر.

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

باللّه و اليوم الآخر أي أيُّ شئٍ يمنعهم عن الإيمان بعد ما وضحت لهم الآيات و قامت الدِّلالات و هذا إستفهام إنكار.

و قيل تعجُّب أي اعجبوا منهم في ترك الإيمان مع هذه الآيات.

وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْاٰنُ لا يَسْجُدُونَ

قيل أي لا يصَّلون فالمراد بالسُّجدة هاهنا الصَّلاة.

و قال بعضهم معناه ما الّذي يصرفهم من الإيمان و من السُّجود للّه و الخضوع له و الإعتراف بوحدانيّته إذا تلى عليهم القرآن الّذي أنزله علىٰ محّمد صلى الله عليه و آله و سلم الّذي يليّن القلب للعمل من الوعظ و الوعد و الوعيد يميِّز به بين الحقّ و الباطل و ذلك متعذِّر عليهم الإتيان بمثله فهو معجزٌ له صلى الله عليه و آله و سلم.

أقول إنَّ السُّجود في الآية بمعناه اللُّغوي و هو الخضوع للّه تعالىٰ بالإذعان بربوبيَّته و أنَّ القرآن كلام اللّه أنزله اللّه علىٰ نبيِّه و إنّما قلنا ذلك لأنَّه تعالىٰ قال: **وَ إِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْاٰنُ لا يَسْجُدُونَ** أي لا يخضعون من إستماعهم لكلام اللّه ولم يقل أحد إنَّ قراءة القرآن توجب الصّلاة لمن إستمع القرآن.

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ

أي يكَّذبون أنَّه كلام اللّه فلا يخضعون له و هذه الآية في الحقيقة مفَّسرة لما قبلها أي أنَّ الكفّار بدل الخضوع يكَّذبونه.

وَ ٱللّٰهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ

الوعي الحفظ و الإضمار في القلب و معنى الآية أنَّ اللّه يعلم ما يضمرونه في قلوبهم من الكفر و النِّفاق و إنّما قال: **يُوعُونَ**، أنّهم كانوا يحملون الآثام في قلوبهم فشبّه ذلك بالوعاء و هو الظَّرف و المقصود أنَّ الكفّار يظهرون للنّاس بغير ما يبطنون في صدورهم نفاقهم و عنادهم للحّق، ثمّ قال تعالىٰ: **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ** أي مؤلمٌ موجعٌ لإنكارهم الحقّ مع وضوح الأيات.

إِلَّا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

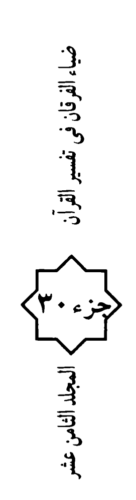
لهم أجرٌ غير ممنونٍ، أي غير منقوصٍ و قيل غير منقضٍ بالمنّ و الأذىٰ و هذا هو الحقّ بدليل قوله: **غَيْرُ مَمْنُونٍ**.

■

سُورَةُ ٱلْبُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلسَّمٰآءِ ذاٰتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَ شاٰهِدٍ وَ مَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحاٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذاٰتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهاٰ قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَ هُمْ عَلٰى ماٰ يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَ ماٰ نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱللَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِناٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذاٰبُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذاٰبُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحاٰتِ لَهُمْ جَنّاٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهاٰرُ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعّاٰلٌ لِماٰ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَ ٱللَّهُ مِنْ



وَرَآئِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

◀ اللّغة

ٱلْبُرُوجِ: جمع برج و هو القصر.

ٱلْأُخْدُودِ: الشّق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق و جمعه أخاديد

ٱلْوَقُودِ: بفتح الواو الحطب.

فَتَنُوا: تقول العرب فتن فلان الدّراهم و الدّينار إذا أدخله الكور لينظر جودته فالمعنىٰ، حرقوهم بالنّار.

بَطْشَ رَبِّكَ: البطش الأخذ بالشدّة.

ٱلْوَدُودُ: الودّ بضّم الواو الحبّ فالودود مبالغة في الحبّ.

◀ الإعراب

وَ ٱلسَّمَآءِ الواو للقسم و جوابه محذوف و قيل جوابه قُتِلَ و قيل أنّ بطش ربّك، ٱلنَّارِ، بدل من الأخدود و قيل التّقدير، ذي النّار إذ هم، ظرفٌ، لقتل فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ هما بدلان من الجنود مَحْفُوظٍ بالرّفع نعتٌ للقرأن العظيم.



◀ التّفسير

وَ ٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ

إختلفوا في المراد بالبروج، فقيل هي القصور لأنّ البروج جمع (برج) و هو القصر و مثله قوله تعالىٰ: **وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**[1].

١- النّساء = ٧٨

أي في منازل عالية و قصور مرتفعة، و قيل المراد بالبروج أثنىٰ عشر برجاً يسير القمر في كلّ برج منها يومين و ثلثاً، فذلك ثمانية و عشرون منزلاً ثمّ يتستَّر ليلتين و مسير الشّمس في كلّ برج منها شهر.

و قيل البروج النّجوم التّي هي منازل الشّمس و القمر، و قيل البروج الحرس ثمّ أنّ البروج الأثنىٰ عشر، الحمل و الثّور و الجوزاء و السّرطان و الأسد و السُّنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدي و الدَّلو و الحوت و البروج في كلام العرب القصور و هذا أحسن الأقوال في الباب و المعنى أقسم بالسّماء ذات البروج.

وَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ

أي أقسم باليوم الموعود و هو يوم القيامة بمقتضىٰ العطف.

وَ شٰاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ

قسمٌ أخر بالشّاهد و المشهود قيل الشّاهد النّبي و المشهود القيامة، و قيل المراد بالمشهود **يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ ٱلنّٰاسُ وَ ذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**[١].

و قيل الشّاهد هو اللّه تعالىٰ و المشهود يوم القيامة و قيل الشّاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفة و الّذي يختلج بالبال هو أنّ المراد بالشّاهد الأعضاء و الجوارح بل اللّسان و العين و السّمع و اليد و الرِّجل و غير ذلك بدليل قوله تعالىٰ:

أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنٰآ أَيْديهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ[٢].

و قوله: **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْديهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ**[٣].

١- هُود = ١٠٣ ٢- يٰس = ٦٥
٣- النُّور = ٢٤

و المراد بالمشهود المشهود به و هذا المعنىٰ أوفق بسياق الكلام و أقرب إلىٰ الفهم و العقل.

قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ

قيل هذا جواب القسم أي أقسم بما ذكرناه قتل أصحاب الأخدود، إختلف المفسّرون في المراد بأصحاب الأخدود لأنّ الأحاديث الواردة فيهم مختلفة مضافاً إلىٰ عدم وجود نصٍّ صحيح فيهم فقد أطال الطّبري في تفسير الكلام فيهم و نقل أقوالاً مختلفة مع متشتّتة يكذّب بعضها بعضاً و الّذي ثبت فيهم هو وجودهم في سالف الزّمان لنّص القرأن على ذلك في هذه الآية و أنّهم كانوا ظالمين لقوله تعالىٰ: **قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ** أي قتلوا بسبب ظلمهم و أمّا تفصيل القضيّة فلا يعلمه أحد إلاّ اللّه و مع ذلك كلّه يشير إلىٰ شطرٍ من أحوالهم تبعاً للمفسّرين فنقول.

قال علّي إبن إبراهيم في تفسير **أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ** ما هذا لفظه كان سببهم أنّ الّذي هيَّج الحبشة علىٰ غزوة اليمن ذو نواس و هو أخر من ملك من حمير تهوَّد و إجتمعت معه حمير علىٰ اليهوديّة و سمّىٰ نفسه يوسف و أقام على ذلك حيناً من الدّهر ثمّ أخبر أنّ بنجران بقايا قومٍ علىٰ دين النّصرانية و كانوا علىٰ دين عيسىٰ و علىٰ حكم الإنجيل و رأس ذلك الدّين عبد اللّه بن يريا فحمله أهل دينه أن يسير إليهم و يحملهم علىٰ اليهوديّة و يدخلهم فيها فسار حتّىٰ قدم نجران فجمع من كان بها علىٰ دين النَّصرانية ثمّ عرض عليهم دين اليهوديّة و الدُّخول فيها فأبوا عليه فجادلهم و عرض عليهم و حرص الحرص كلّه فأبوا عليه و إمتنعوا من اليهوديّة و الدُّخول فيها وإختاروا القتل فخدَّ لهم أخدوداً جمع فيه الحطب و أشعل فيه النّار فمنهم من أحرق بالنّار و منهم من قتل بالسَّيف و مثَّل بهم كلّ مثلة فبلغ عدد من قتل و أحرق بالنّار عشرين ألفاً و



أفلت رجلٌ منهم يدعىٰ ذو نواس ذو ثعلبان علىٰ فرسٍ له و ركضه و إتّبعوه حتّىٰ أعجزهم في الرّمل و رجع ذو نواس إلىٰ ضيعة في جنوده فقال اللّه تعالىٰ: **قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ** إلىٰ أخر الأيات إنتهىٰ.

و عن محاسن البرقي بأسناده عن أبي جَعفر عليه السلام أنّه قال: بَعَث اللّه تعالىٰ نَبيّاً حَبَشياً إلىٰ قومه فَقاتلهم فقتل أصحابه وأُسروا وخدُّوا لَهم أُخدُوداً من نارٍ ثمّ نادُوا من كان من أهل مِلّتنا فليَعتَزل ومن كان علىٰ دين هذا النّبي فليَقتَحم النّار وأتَت إمرأة مَعها صَبيٌّ لها فَهابَت النّار فقال لها صَبيّها إقتَحمي فإقتَحَمت النّار وهُم أصحاب الأُخدُود إنتهىٰ.

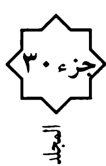
و قد روىٰ الطّبرسي في مجمع البيان حديثاً مطوّلاً عن صحيح مسلم بأسناده عن رسول اللّه و نحنُ أعرضنا عن نقلها حذراً عن الإطالة إن شئت راجعه و اللّه أعلم بحقيقة الحال.

ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ

فَجَّر النّار علىٰ البدل من الأخدود و هو بدل الإشتمال وصف اللّه النّار بذات الوقود، و **الوَقُود** بفتح الواو ما يشعل من الحطب و غيره و بضّم الواو الإيقاد **إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ** و المعنىٰ إذ هم، أي أصحاب الأخدود **عَلَيْهَا** أي علىٰ النّار **قُعُودٌ** و هو كناية عن إحراقهم بها بإدخالهم فيها.

وَ هُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ

و هم، أي و الحال أنّ الكفّار **عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ** من قلتهم و تعذيبهم بأنواع العذاب و إحراقهم بالنّار **شُهُودٌ** أي حضور على مشاهدتهم لهم فكلّ حاضرٍ علىٰ ما شاهده بسمعٍ أو بصرٍ فهو شاهد و أمّا الشاهد فهو المدرك بحاسّةٍ.



وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ

النَّقمة بفتح النُّون و سكون القاف و فتح الميم، إيجاب مضرّة علىٰ حالٍ مذمومة و نقيض النّقمة النَّعمة و المعنىٰ أنّ الكفّار الّذين أحرقوا هؤلاء المؤمنين لم ينقموا من المؤمنين إلاّ إيمانهم باللّه العزيز الحميد و هذا أي عدُّ الإيمان من النَّقمة لم يكن مختّصاً بهؤلاء الكفّار الّذين قتلوا أصحاب الأخدود بل هذه السّيرة الخبيثة كانت ثابتة من بدو الخلق إلىٰ زماننا هذا و تكون مستمرّة من زماننا هذا إلىٰ ظهور الحجّة ففي كلّ زمانٍ من أصحاب الأخدود الّذين قتلوا و أحرقوا لأجل إيمانهم مصداقٌ أو مصاديق و ليست قصّة أصحاب الأخدود بأشنع و أفظع و أعجب من قصّة أصحاب الأخدود في هذه الأمّة و هم أهل بيت رسول اللّه و أشياعهم بل قصّة أولاد الرّسول و أتباعهم أعجب و أشنع و ذلك لأنّ أصحاب الأخدود المشار إليهم في الآية لم يكونوا من أولاد الرّسول و النّبي بل كانوا من المؤمنين الصّالحين في زمانهم و هذا بخلاف أصحاب الأخدود في هذه الأمّة فإنّهم كانوا من أولاد رسولهم و مع ذلك فعلوا بهم ما فعلوا و ذلك لأنّ أصحاب الأخدود لم يكن فيهم علّي بن أبي طالب و فاطمة الزّهراء و الحسن و الحسين إلىٰ أخر الأئمّة و هذا ظاهر ولم يكن ذنب أهل البيت و أتباعهم و أشياعهم إلاّ إيمانهم باللّه و رسوله حقّاً بشهادة التّواريخ ألا لعنة اللّه علىٰ القوم الظّالمين من الأوّلين و الأخرين إلىٰ يوم الدّين.

ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

صفةٌ للعزيز الحميد، و المعنىٰ أنّ أصحاب الأخدود الّذين قتلوا و أحرقوا بالنّار و هؤلاء الكفّار لم يكن لهم ذنبٌ أوجب قتلهم إلاّ أنّهم أمنوا باللّه القادر المستحقّ للحمد علىٰ جميع أفعاله **ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَ ٱلْأَرْضِ** فله التّصرف فيهما و غيرهما من الخلق لا لغيره لأنّ ما سواه مخلوق له كائنا ما كان

فلا إعتراض لأحدٍ عليه وَ **ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** أي هو عالم بجميع الأشياء لا يخفىٰ عليه شئ من ذلك و علىٰ هذا فالعقل السّليم يحكم بإيمان المملوك لمالكه و خالقه كما هو مقتضىٰ العبوديّة و هذا أي معرفة الخالق و الخضوع له من محاسن العبد كما أنّ الكفر بالخالق من أقبح الصّفات.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ

الفتنة المحنة العذاب أي عذاب كان و في قوله أنّ الّذين إشارة إلىٰ عموم الحكم و أنّه غير مختّصٍ بأصحاب الأخدود بل يشمل كلّ من كان متّصفاً بها.

و قال إبن عبّاس المراد بالفتنة في الآية الإحراق بالنّار فالمعنىٰ أنّ الّذين يحرقون المؤمنين و المؤمنات بالنّار ثمّ ماتوا من غير توبة فلهم عذاب جهنّم و لهم عذاب الحريق، و فيها إشارة الىٰ أنّ لهم في القيامة عذابين، عذابٌ علىٰ كفرهم و هو خلودهم في جهنّم، و عذابٌ أخر علىٰ إحراقهم لأنّ من أحرق أحرق، كما تدين تدان.

إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ

لمّا حكم اللّه تعالىٰ في الآية السّابقة مثل حكم في حقّ الكفّار و الظّالمين من أنّ لهم عذاب جهنّم حكم في هذه الآية في حقّ المؤمنين الّذين عملوا في الدّنيا عملاً صالحاً بأنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير، فالفوز النّجاة بالنّفع الخالص و أيُّ نفعٍ أعظم و أحسن ممّا وعده اللّه في الآية و غيرها من الأيات.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ

البطش الأخذ بما وصف و إذا وصف بالشّدة فقد تضاعف مكروهه هكذا قيل و الّذي عندي في هذا المقام هو شئ أخر غير ما ذكروه و هو أنّ الصّفات في كلّ موجودٍ نابعة للذّات أي ذات الموصوف شدّةً و ضعفاً و مبدأً، و قد ثبت عقلاً و نقلاً لأنّ ذات الواجبة لا نهاية و لاحدَّ له و لا إسم له فكذلك صفاته لا حدّ لها شدّةً و حدّاً أي لا حدّ لذاته و لا لصفاته فالذّات غير متناهية و كذلك الصّفات فلا حدّ لرحمته و لا لغضبه و حيث أنّ البطش من أثار الغضب فلا يمكن تحديده و لهذا قال إنّ بطش ربّك لشديد أي لا حدّ له و لا نهاية فهو تعالىٰ أرحم الرّاحمين في موضع العفو و الرَّحمة و أشدّ المعاقبين في موضع النّكال و النَّقمة.

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ، وَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ، ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ، فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ

ذكر اللّه تعالىٰ في هذه الآية أصنافاً أربعة مختّصة به تعالىٰ.

الاوّل: قوله **إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَ يُعِيدُ** الظّاهر أن مَعناه أنّه تعالىٰ يبدئ الخلق في الإيجاد و يعيده بعد موته في البعث و قيل معناه أنّه يبدئ العذاب علىٰ العاصي في الدّنيا و يعيده في الأخرة.

و قال الطّبرسي يبدئ لهم عذاب الحريق في الدّنيا ثمّ يعيده عليه في الأخرة.

الثّاني: قوله **وَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ** الغفور مبالغة في المغفرة و هو أبلغ من الغافر لأنّ بنائه علىٰ المبالغة بخلاف الغافر و هو مشتّقة من المغفرة و الألفاظ المشتّقة منها كثيرة، منها الغافر و منها الغفّار فأنّها تدُل علىٰ أنّ اللّه تعالىٰ هو الّذي يغفر الذّنوب جميعاً لا غيره و هو واضح.

و أمّا الودود أيضاً مبالغة في الودّ و هو الحبّ، أي أنّه تعالىٰ شديد الحبّ لأوليائه.

الثّالث: قوله **ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ** فالمجيد هو النّهاية في الكرم و الفضل، و قيل المجيد هو الرَّفيع و المعنىٰ أنّه ذو العرش الرَّفيع وكيف كان لا شكّ أنّه تعالىٰ هو صاحب العرش لا غيره و قد مضىٰ الكلام في معنىٰ العرش غير مرّةٍ.

الرّابع: قوله: **فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** و هو أيضاً من صفاته المختّصة به و معناه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد فلا يمنعه من ذلك مانعٌ و لا يعترض عليه معترض بيده الخير أنّه علىٰ كلّ شيءٍ قديرٌ ثمّ قال تعالىٰ لنبيّه.

هَلْ أَتَيٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ، فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ

قالوا معناه تذّكر يامحمّد حديثهم تذّكراً معتبراً فإنّك تنتفع به، و قيل معناه قد أتاك حديث الجموع الكافرة المكذّبة لأنبيائهم ثمّ بيّنهم فقال فرعون و ثمود، أي قوم فرعون و قوم ثمود، و قد مضىٰ الكلام فيهما مفصّلاً، ففرعون و ثمود، في موضع جرٍّ علىٰ البدل من الجنود، و المعنىٰ أنّك عرفت ما فعل اللّه بهم حين كذّبوا أنبيائه و رسله من الغرق في قوم فرعون و الهلاك في قوم ثمود علىٰ ما مرَّ بيانه **بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا** من هؤلاء الّذين لا يؤمنون بك **فِي تَكْذِيبٍ** كدأب من قبلهم من الكفّار.

وَ ٱللَّهُ مِنْ وَرَآئِهِمْ مُحِيطٌ، بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

أمّا أنّه تعالىٰ من ورائهم محيط، فلأنّه خلقهم و أوجدهم و الخالق محيطٌ بمخلوقه و الخلق محاطٌ له أي مقدورٌ عليهم و قد ثبت أنّ المعلول رشحٌ من رشحات العلّة و قوامه و بقاءه بها و لا نعني بالإحاطة إلاّ هذا **بَلْ هُوَ** أي ما أنزلناه عليك و ذكرنا فيه هذه الأخبار **قُرْاٰنٌ مَجِيدٌ** أي متناهٍ في الشّرف و الكرم و البركة و مبيّنٌ للنّاس ما يحتاجون إليه إلىٰ يوم القيامة **فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** أي هو مكتوب في لوحٍ و هو محفوظ عند اللّه من الأفات.

■

سُورَةُ ٱلطَّارِقِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلسَّمٰآءِ وَ ٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مٰآءٍ دٰافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَ ٱلتَّرٰآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلٰى رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرٰآئِرُ ﴿٩﴾ فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَ ٱلسَّمٰآءِ ذٰاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَ ٱلْأَرْضِ ذٰاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَ أَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكٰافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

◀ اللّغة

وَ ٱلطَّارِقِ: الواو للقسم و الطّارق النَّجم.

ٱلثَّاقِبُ: الّذي يثقب بنوره.

دٰافِقٍ: فالدَّفق هو صبّ الماء الكثير بإعتمادٍ قوّي و مثل الدَّفع.

ٱلصُّلْبِ: بضّم الصّاد هو الظَّهر.

وَ ٱلتَّرَآئِبِ: هي جمع تريبة و هو موضع القلادة من صدر المرأة.
تُبْلَى: بضمّ التّاء أي بظهرٍ علىٰ أساس الإختبار.
ٱلرَّجْعِ: بفتح الرّاء قيل هو المطر.
ٱلصَّدْعِ: بفتح الصّاد الشّق.
بِالْهَزْلِ: الهزل ضدّ الجدّ يقتض الجدّ.
رُوَيْدًا: أي قليلاً، يقال أرودته إرواداً.

◀ الإعراب

جواب القسم إِنْ كُلُّ نَفْسٍ و إن، بمعنىٰ ما، و لَمّا، بالتّشديد بمعنىٰ إلاّ و بالتّخفيف ما، فيه زائدة و إِنْ هي المخفّفة من الثّقيلة أي و إن كلّ نفسٍ لعليها حافظ، و حَافِظٌ مبتدأ و عَلَيْهَا الخبر و الهاء في رَجْعِهِ تعود علىٰ الإنسان فالمصدر مضاف إلىٰ المفعول، و رويداً، نعت لمصدر محذوف أي إمهالاً رويداً و هو تصغير رُود و قيل الأصل رُوَيْدًا.

◀ التّفسير

وَ ٱلسَّمَآءِ وَ ٱلطَّارِقِ

الواو للقسم أي أقسم بالسّماء و أقسم بالطّارق، و الطّارق النّجم، و قيل هو الّذي يجيئ ليلاً و قد فسَّره اللّه بأنّه **ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ** فالنَّجم هو الكوكب و قيل المراد به جميع النّجوم، و قيل هو زحل.

وَ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ، ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ

يعني أنّ الطّارق هو النّجم الثّاقب، و هو زحل و قيل هو الكوكب الّذي في السّماء السّابعة و قيل أنّه الثّريا، و قيل هو الجدي.

و حكى الفرّاء، ثقب الطّائر إذا إرتفع وعلا.

روي عن إبن عبّاس أنّه قال: كان رسول اللّه قاعداً مع أبي طالب فإنحطَّ نجمٌ فإمتلأت الأرض نوراً ففزع أبو طالب و قال أيُّ شئٍ هذا فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذا نجمٌ رمي به و هو أية من أيات اللّه فعجب أبو طالب فنزل و السّماء و الطّارق.

و عنه أيضاً قال: السّماء و ما يطرق فيها إنتهىٰ.

أقول يستفاد من كلمات المفسّرين و علماء اللُّغة أنّ الثّاقب المضئ، فالنّجم الثّاقب معناه النَّجم المضئ و منه شهابٌ ثاقبٌ أي مضئ، فإنّ الثّقوب ما تشعل به النّار من دقاق العيدان.

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ

هذا هو جواب القسم أي أقسم بالسّماء و بالطّارق الّذي هو النّجم الثّاقب إن كلّ نفسٍ لمّا عليها حافظ (إن) هاهنا هي المخّففة من الثّقيلة التّي يتلقّىٰ به القسم و المعنىٰ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ** في قول من قال بالتّخفيف و أمّا من شدّد النُّون فقال (إن) بمعنىٰ ما، و تقديره ليس كلّ نفسٍ إلاّ عليها حافظ و المراد بالحافظ الملائكة الموكّلون عليه يحفظون عمله في صحيفة أعماله و رزقه و أجله.

و الحافظ المانع من هلاك الشّئ و قيل معنىٰ الحافظ أنّه يحفظه حتّىٰ يسلمه إلىٰ المقادير و ذلك لأنّ العبد لو وكّل إلىٰ نفسه طرفة عينٍ لإختطفته الشّياطين و لذلك قال بعض العرفاء أعظم العذاب و أشدّه للعبد في الدّنيا إيكاله إلىٰ نفسه و قد ورد في الدُّعاء (اللّهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ أبداً).

ثمّ أنّ قراءة إبن عامر و عاصم **لَمّا** بتشديد الميم أي ما كلّ نفسٍ إلاّ عليها حافظ، و هي لغة (هذيل) و الباقون بالتّخفيف علىٰ أنّها زائدة مؤكّدة، الحافظ هو اللّه لقوله تعالىٰ: **فَاللّٰهُ خَيْرٌ حافِظًا**.

و قيل الحافظ عليه عقله يرشده إلىٰ مصالحه و يكفّه عن مضارّه.

أقول الأخير من أسخف الأقوال و باقي الأقوال يرجع إلىٰ أمرٍ واحد و هو أنّ الحافظ في الحقيقة هو اللّه تعالىٰ لا غيره إلاّ أنّه جعل الأمر بيد الملائكة أو من شاء و أراد من باب السَّببية فإنّ الدّار دار الأسباب.

فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مٰآءٍ دٰافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَ ٱلتَّرٰآئِبِ

المراد بالنَّظر في الآية ليس النَّظر بالعين لأنّ الماء الّذي خلق الإنسان منه لا يرىٰ بالعين و البصر من أصلاب الرّجال إلىٰ أرحام النّساء، و إنّما المراد به التّفكر و التّأمل بعين البصيرة و المعنىٰ فليتّفكر الإنسان **مِمَّ خُلِقَ** أي ممّا خلق، حذفت الألف تخفيفاً و بقيت الفتحة قبلها للدّلالة علىٰ حذفها كما يقال، بم، ولم، ومم، و أمثال ذلك، قيل ما إستفهاميّة أي من أيٍّ شيءٍ خلق، ثمّ بيَّن اللّه تعالىٰ ممّا خلقهم فقال: **خُلِقَ مِنْ مٰآءٍ دٰافِقٍ** هو جواب الإستفهام، فالماء هو المنيّ و الدَّفع هو صبّ الماء الكثير بإعتماد قويّ و قيل خروجه عن مجراه بشدّة فإنّ الدَّفق الشّدة و هو مصدر بمعنىٰ المفعول أي مدفوق، و فيه دلالة علىٰ أنّ المنيّ يصبّ في الرَّحم بشدّة و هو محسوس ثمّ أشار اللّه تعالىٰ إلىٰ مبدأ خروج المنيّ فقال: **يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَ ٱلتَّرٰآئِبِ** الصُّلب في اللُّغة التَّشديد و بإعتبار الصّلابة و الشِّدة سمّي الظَّهر صلباً، و التَّرائب جمع تريبة و هى موضع القلادة من صدر المرأة و قيل نطفة الرّجل من ظهره و نطفة المرأة من صدرها فإذا غلب ماء الرّجل علىٰ ماء المرأة خرج الولد إلىٰ شبه أهل بيت أبيه و إذا غلب ماء المرأة خرج إلىٰ شبه أهل بيت أمّه و المعنىٰ يخرج الماء من بينهما لا أنّه يخرج من أحدهما فالولد منسوب إليهما.

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرٰآئِرُ، فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ

أشار اللّه تعالىٰ في هذه الأيات الىٰ أمور ثلاثة:

أحدها: (أنّه) أي أنّ اللّه الّذي خلق الإنسان من ماء دافق يقدر علىٰ رجعه بعد موته، و قال عكرمة معناه أنّه تعالىٰ علىٰ ردِّ الماء في الصلّب قادر و قيل أنّه علىٰ ردّ الإنسان ماء كما كان قادر، و قيل معناه أنّ اللّه تعالىٰ علىٰ ردّ الإنسان من الكبر الىٰ الشّباب و من الشَّباب الىٰ الكبر لقادرٌ و غير ذلك من الأقوال.

و الحقّ ما ذكرناه و هو أنّه تعالىٰ قادر علىٰ رجعه بعد موته و هو إختيار الطّبري و الثَّعلبي و أكثر المفسّرين و الدّليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ بعد هذه الآية **يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ** و من المعلوم أنّ ذلك اليوم هو يوم البعث فأنّه اليوم الّذي تبلىٰ أي تعرف فيه السّرائر أو تظهر فيه السّرائر و علىٰ هذا فالضّمير في رجعه، الىٰ الإنسان المخلوق من الماء الىٰ الماء، فاليوم منصوبٌ (برجعه) و أمّا من جعل الضّمير في رجعه، للماء، و فسَّره برجعه الىٰ مخرجه من الصلّب و التّرائب أو الىٰ الحالة الأولىٰ، نصب الظَّرف بمضمرٍ قاله في الكشّاف، ثمّ أنّ السّرائر جمع سريرة و هى ما أسرَّ في القلوب من العقائد و النيّات و ما أخفي من الأعمال، و بلاءها تعرفها و تصفَّحها و التَّمييز بين ما طاب منها و ما خبث و الىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله حيث قال:

سيبقى لها في مغمر القلب و الحشا سريرة ودٍّ و يوم تبلىٰ السّرائر

الثّالث: قوله: **فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ** و هذا أيضاً ممّا لا شكّ فيه يحتاج الىٰ توضيح فإنّ الإنسان في حياته الأولىٰ قبل موته مع أولاده و أقرباءه و عشيرته و ماله و سلطنته و هو جنوده لا قدرة له في جنب قدرة اللّه فهو بعد موته و حياته الثّانوية الّتي ليس له أحد من أعوانه و أنصاره أضعف و أفقر بطريق أولىٰ و بالجملة الإنسان في الدُّنيا و الأخرة ضعيفٌ ذليلٌ لا قوّة له و لا ناصر بل هو في الحقيقة لا شيٌْ محض و هو ظاهر.

وَ ٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ، وَ ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ، إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ

قيل الرَّجع، المطر، و قيل الرَّجع طلوع الشّمس و القمر و النّجوم و غروبها، و قيل رجع السّماء إعطاءها الخير يكون من جهتها حالاً بعد حال علىٰ مرور الأزمان، رجعه رجعاً، إذ أعطاه مرّة بعد مرّةٍ، و القول الأوّل أنّ الرّجع معناه المطر هو الأقوىٰ و به قال الرّاغب في المفردات و عليه عامّة المفسّرين **وَ ٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ** هو قسم آخر بالأرض ذات الصَّدع، فالصَّدع، الشّق و المعنى إنشقاق الأرض بالنَّبات لضروب الزّروع و الأشجار و إن شئت قلت أنّها تتصدَّع منها نظيره قوله تعالىٰ: **ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا** و إنمّا قال ذلك لأنّ النّبات صادعٌ للأرض، و قيل الأرض ذات الطُّرق الّتي تصدعها المشاة.

و قيل ذات الحرث لأنّه يصدعها.

و قيل ذات الأموات لأنصداعها عنهم للنُّشور، و أنت ترىٰ أنّ جميع ما ذكروه في معنىٰ الكلام يرجع الىٰ الشّق، **إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** علىٰ هذا وقع القسم أي أقسم بالسّماء ذات الرّجع و الأرض ذات الصَّدع، إنّه أي القرآن لقولٌ فصل، يفصل بين الحقّ و الباطل **وَ مَا هُوَ** أي القرآن، بالهزل أي ليس بالباطل و اللَّعب، و الىٰ هذا المعنىٰ أشار النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث قال في وصف القرآن:

كتابٌ فيه خبر ما قبلكم و حكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبّارٍ قصمه اللّه الىٰ آخر الخبر.

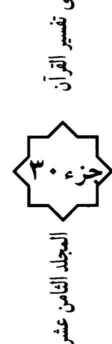
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَ أَكِيدُ كَيْدًا

أي أنّهم يمكرون بمحمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و يحتالون في رفع الحجج و إنكار الأيات، و أكيد كيداً، أي أنا أجازيهم علىٰ كيدهم يوم القيامة.

فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا

خطابٌ للنّبي ﷺ بأن يمهلهم قليلاً، قيل أجرى المصدر على غير لفظه كما قال: **أَنۢبَتَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا**[1] و لم يقل إنباتاً، أمر اللّه نبيّه بأن يمهلهم قليلاً، و المقصود لا تعجل علىٰ طلب هلاكهم بل إصبر عليهم قليلاً، يقال أرودته إرواداً و تصغيره رويد و هو تصغير التَّرخيم من أرود إرواداً، و اللّه أعلم.

■



١- نوح = ١٧

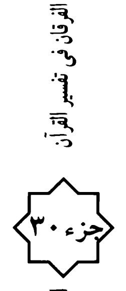
سُورَةُ ٱلْأَعْلىٰ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذي خَلَقَ فَسَوّىٰ ﴿٢﴾
وَ ٱلَّذي قَدَّرَ فَهَدٰى ﴿٣﴾ وَ ٱلَّذيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعٰى ﴿٤﴾
فَجَعَلَهُۥ غُثٰآءً أَحْوٰى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسىٰٓ ﴿٦﴾
إِلّا ما شٰآءَ ٱللّٰهُ إِنَّهُۥ يَعلَمُ ٱلْجَهْرَ وَ ما يَخْفٰى ﴿٧﴾ وَ
نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرٰى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ ٱلذِّكْرٰى ﴿٩﴾
سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشٰى ﴿١٠﴾ وَ يَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾
ٱلَّذي يَصْلَى ٱلنّٰارَ ٱلْكُبْرٰى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لا يَمُوتُ فيها وَ
لا يَحْيٰى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ ﴿١٤﴾ وَ ذَكَرَ ٱسْمَ
رَبِّهِ فَصَلّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيا ﴿١٦﴾ وَ
ٱلْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هٰذا لَفِي ٱلصُّحُفِ
ٱلْأُولٰى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْراٰهيمَ وَ مُوسٰى ﴿١٩﴾

◄ اللُّغة

سَبِّحِ: التَّسبيح التَّنزيه أي تنزيه الرّب عمّا لا يليق له.
فَسَوّىٰ: التَّسوية الجمع بين الشّيئين بما هما فيه.
قَدَّرَ: بالتّشدّيد تنزيل الشّيءِ علىٰ مقدار غيره.



ٱلْمَرْعَىٰ: النّبات و الكلاء الأخضر من الأرض لمنافع الحيوان.
غُثَآءً: بضمّ العين ما يقذف به السّيل علىٰ جانب الوادي من الحشيش.
أَحْوَىٰ: فالأحوى الأسود.
يَتَجَنَّبُهَا: التَّجنب المصير في جانبٍ عن الشّيْ بما ينافي كونه.
يَصْلَى: الصلّي الإيقاد ٱلصُّحُفِ بضمّ الصّاد و الحاء جمع صحيفة.

◀ الإعراب

أَحْوَىٰ نعتٌ لغثاء، و قيل هو حال من المرعى **فَلَا تَنسَىٰٓ** لا نافية أي فما تنسىٰ و قيل هي النّهي و لم تجزم لتوافق رؤس الأى.

◀ التّفسير

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى

الخطاب للنّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و يدخل فيه جميع أمتّه أمره اللّه تعالىٰ و أمتّه بالتّسبيح و التّنزيه لربّ العالمين.

قال بعض المفسّرين معناه عظِّم ربّك الأعلىٰ و الإسم صلة زائدة قصد بها تعظيم المسمّىٰ إذا لا معنى لتسبيح الإسم، و إنمّا هو للمسمّىٰ دون الإسم، و قيل في الكلام حذف مضافٍ أي سبّح مسمّىٰ ربّك، و قيل هو علىٰ ظاهره أي نزّه إسمه عن الإبتذال و الكذب.

أقول معنىٰ الكلام لا يحتاج الىٰ هذه التّكلفات و ذلك لأنّ الإسم كاشف عن المسّمىٰ و لذلك قيل الإسم هو المسمّىٰ من وجهٍ فمن نزّه الإسم نزّه المسمّىٰ و بعبارةٍ أخرىٰ الإسم ها هنا هو اللّه لأنّه علمٌ علىٰ الأصحّ للّذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصّفات الكمالية فتنزيهه عن النّقص تنزيه المسمّىٰ و لذلك قال تعالىٰ: **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ**.

و من المعلوم أنّ اللّه إسمٌ فكيف أخبر اللّه أنّ ما في السّموات و الأرض يسبّحه، أتظُن أنّه تعالىٰ أخبر عن تسبيحهم، إسمه، دون مسمّاه، إذا عرفت هذا فالمعنىٰ سبّح اللّه بإعتبار إنطباقه علىٰ المسّمىٰ و حكايته عنه و قوله ربّك الأعلىٰ، و المراد بالأعلىٰ الأقدر أي ربّ القادر الّذي لا قادر أقدر منه لأنّه علىٰ كلّ شيءٍ قدير فلا قدرة فوق قدرته ثمّ وصف اللّه نفسه بأنّه.

ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوّىٰ

أي خلق الخلق فسوّىٰ، أي سوّىٰ بينهم في باب الأحكام.

و قيل فسوّىٰ، أي عدل خلقهم فالتّسوية الجمع بين الشّيئين بما هما فيه.

و قيل خلق في أصلاب الأباء و سوّىٰ في أرحام الأمّهات.

أقول المراد بالتَّسوية هو جعل الخلق علىٰ ما إقتضته الحكمة و المصلحة.

وَ ٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدىٰ

قرأ الكسائي، قدَّر، بالتّخفيف و الباقون بالتّشديد و هما لغتان، و التّقدير تنزيل الشّيء علىٰ مقدار غيره و المعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ خلق الخلق علىٰ ما إقتضته الحكمة، **فَهَدىٰ** أي فهداهم الىٰ طريق الرُّشد.

إن قلت الخلق في الآية يشمل جميع المخلوق كما هو واضح و علىٰ هذا فيشمل الإنسان و الحيوان و الجنّ و الملائكة بل الجماد و النّبات و بالجملة كلّ مخلوقٍ خلقه اللّه و قدَّره و علىٰ هذا فقوله: **فَهَدىٰ** أيضاً يشمل الكلّ أي قدَّر الخلق فهداهم و الهداية لا يعقل في حقّ غير ذوي العقول مثل الجماد و النّبات و الحيوان.

قلت الهداية بمعنى إرائة الطّريق و هى على قسمين:

تشريعي و تكويني

فالتشّريعية لذوي العقول و التّكوينية لغيرهم من الجماد و النّبات و الحيوان



فقوله تعالىٰ: **وَ ٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ** معناه أنّه خلق الخلق علىٰ وفق المصلحة و ما إقتضته الحكمة فهدىٰ كلّ الخلق الىٰ ما يصلح له فهي لذوي العقول بواسطة الأنبياء و لغيرهم بواسطة الغريزة الّتي أودعها في كلّ صنفٍ علىٰ حسب مقتضىٰ الحال.

وَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ

الواو للعطف أي أنّه تعالىٰ هو الّذي أخرج المرعىٰ أي النّبات و الكلاء الأخضر و اليه أشار الشّاعر بقوله:

و قد ينبت المرعىٰ علىٰ دمن الثّرىٰ   و تبقىٰ حزازات النُّفوس كما هيا

فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ

الغُثاء بضمّ الغين و الثّاء المثلَّثة ما تقذف به السّيل علىٰ جانب الوادي من الحشيش و النَّبات و كذلك الغثّاء بالتَّشديد و الجمع، الإغثّاء.

و قال قتادة بالغثاء الشّيء اليابس و يقال للبقل و الحشيش إذا يبس و الأحوىٰ الأسود أي أنَّ النّبات يضرب إلىٰ الحسوة عند الخضرة كالأسود و عن الصّحاح الحمرة سمرة الشّفة و المقصود أنَّ النَّبات إذا يبس يسّمىٰ غثاء و لذلك أتىٰ بالفاء المفيدة للتَّفريع أي أنَّ اللّه يجعل النَّبات غثاءً ليكون غذاء للحيوان في فصل الصَّيف و الشّتاء.

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ

الإقراء أخذ القراءة على القاري بالإستماع لتقويم الزّلل، و القراءة التّلاوة و القارئ التّالي و النّسيان ذهاب المعنىٰ عن الحافظة بعد أن كان حاظراً لها و نقيضه الذّكر و مثله السّهو، بشّر اللّه نبيّه بأن أعطاه آية نبيّه و هى أن يقرأ عليه جبرئيل أقرأ عليه من الوحي و هو أمّي لا يكتب و لا يقرأ فيحفظه و لا ينساه.

قال مجاهد و الكلبي كان النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه جبرئيل بالوحي لم يفرغ جبرئيل من آخر الآية حتّىٰ يتّكلم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بأولّها مخافة أن ينساها فنزلت **سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسىٰ** بعد ذلك شيئاً.

أقول ما ذكروه في تفسير الآية من الإستخراجات الظّنية الّتي لا مأخذ لها من العقل و النّقل، و الحقّ أنّ معنىٰ الآية سنقرئك القرآن و نحفظك من السّهو و النّسيان و الإشتباه و لا سيّما في إبلاغ الحكم إلىٰ العباد و علىٰ هذا (فلا) في قوله: **لا تَنسىٰ** نافية و ليست بنائية كما زعم بعض المفسّرين إذ لا معنىٰ للنّهي عن النّسيان و المفروض أنّه أي النّسيان خارج عن إختيار العبد

إِلَّا ما شٰآءَ ٱللّٰهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَ ما يَخْفىٰ

قال الفرّاء في وجه الإستثناء لم يشاء اللّه أن ينسى شيئاً فهو كقوله: **خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ ٱلسَّمٰوٰاتُ وَ ٱلْأَرْضُ إِلّا ما شٰآءَ رَبُّكَ**[1] يشاء، وأعتمد المفسّرون علىٰ هذا القول في تفاسيرهم و لا بأس به و الّذي.

نقول في وجه الإستثناء هو أنّ النّسيان و عدمه في العبد تحت قدرة اللّه و ليس للعبد قدرة علىٰ عدم النّسيان فقوله: **إِلَّا ما شٰآءَ ٱللّٰهُ** إشارة إلىٰ سلب القدرة عن العبد في هذا الباب فلا ينبغي أن يعتمد علىٰ نفسه فإنّ الأمر بيد اللّه و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه و علىٰ هذا فمعنىٰ الآية في الإستثناء (إلاّ ما شاء اللّه أن ينسىٰ) ولكنّه لم ينس شيئاً بعد نزول هذه الآية و قوله: **إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَ ما يَخْفىٰ** فيه إشارة إلىٰ أنّ اللّه تعالىٰ لا يخفىٰ عليه شئ فهو عالم بالضّمائر كما أنّه عالمٌ بالظّواهر و هو بكُلّ شيءٍ عليم.

وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ، فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ ٱلذِّكْرىٰ، سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ

١- هود = ١٠٧

قوله: هو وَ **نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ** معطوف على (سنقرئك) فقوله: **إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَ مٰا يَخْفىٰ** جملة معترضة بين المعطوف و المعطوف عليه، و المعنى نسهِّل لك العمل المؤدي إلىٰ الجنَّة، فاليسرىٰ عبارة عن الجنَّة، و اليسرىٰ الكبرىٰ في تسهيل الخير و اليسرىٰ الفعلىٰ من اليسر و هو سهولة عمل الخير.

و قال إبن عبّاس معناه نيسِّرك لإن تعمل خيراً، و قيل نوافقك للشّريعة اليسرىٰ و هى الحنفيَّة السَّمحة السَّهلة، و قيل معناه نهوِّن عليك الوحي حتّى تحفحظه و تعمل به، و أنت ترىٰ أنَّ الأقوال متقاربة المعنىٰ **فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ ٱلذِّكْرىٰ** إختلفوا في (إن) فقال بعضهم (إن) بمعنى (ما) أي فذّكر ما نفعت الذّكرىٰ فتكون (إن) بمعنىٰ (ما) لا بمعنىٰ الشَّرط لأنَّ الذّكرىٰ نافعة لكُّل حالٍ.

و قيل (إن) بمعنىٰ (إذ) أي فذكِّر إذا نفعت الذِّكرى.

و قيل (إن) بمعنىٰ (قد) أي قد نفعت الذّكرى.

و قيل (إن) بمعناها و المعنىٰ فذَّكر إن نفعت الذِّكرىٰ أو لم تنفع، فحذف و أظُّن هذا القول أحسن الأقوال و ذلك لأنَّ النَّبي مأمورٌ بالتَّذكّر و الموعظة و إبلاغ الحكم من اللّه إلى العباد نفع أو لم ينفع إذ ما علىٰ الرَّسول إلاّ البلاغ و ليس من شرط التَّبليغ إنتفاع المخاطب به بل يكفي في لزومه إتمام الحجَّة علىٰ المستمع **سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ** أي من يتّق اللّه و يخافه قيل أنَّ الآية نزلت في ابن أمّ كلثوم، و المعنى سيتَّعظ و ينتفع بدعائك و ذكرك من يخاف اللّه و يخشىٰ عقابه و إمّا من لا يخافه لا ينتفع بها.

وَ يَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى، ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنّٰارَ ٱلْكُبْرىٰ

لمّا أمر اللّه النّبي بالتّذكرة و بيّن أنَّه ينتفع بها من يخاف عقابه ذكر في هذه الآية أنَّ الأشقى يتَّجنب الذِّكرى و يبعد عنها أي عن الذّكرىٰ فالضّمير في يتَّجنبها، يرجع إلىٰ الذّكرىٰ و التَّجنب المصير في جانبٍ من الشّئ بما ينافي كونه ثمّ بيَّن أنّ هذا الشّئ الّذي يتَّجنب الذِّكرىٰ و يعرض عنها هو الّذي يصلىٰ النّار الكبرىٰ، أي نار جهنّم.

قيل إنّما وصف النّار لأنّ الحاجة إلىٰ إطفائها أشدَّ و ذلك من كبر الشّأن، و قيل الكبرىٰ نار القيامة و الصُّغرىٰ نار الدُّنيا و فى قوله يصلىٰ إشارة الىٰ أنّ الكافر و العاصي هو الموقد لها بالحقيقة بسبب كفره و معصيته فالنّار يوم القيامة معلولة لعمل العبد فلا يلومنّ إلاّ نفسه.

ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهٰا وَ لا يَحْيىٰ

أي لا يموت الشَّقي في النّار فيستريح و يتخلّص من العذاب و لا يحيا فيها حياة لها لذّة و إستراحة بل هو في ألوان العذاب كما قال الشّاعر:

ألا ما للنّفس لا تموت فينقضى عناها و لا تحيا حياةً لها طعمُ

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ، وَ ذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلّىٰ

أي قد أفلح و فاز بالسّعادة في الدّنيا و الأخرة من تزكّى نفسه عن الخبائث و عمل الطّاعات و قيل من تزكّىٰ حاله و ذكر إسم ربّه على كلّ حالٍ بأن يراه شاهداً و ناظراً علىٰ عمله، فصّلىٰ، علىٰ ما أمره اللّه به في الشّريعة.

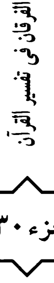
فعن أصول الكافي عن عبيد اللّه بن عبد اللّه الدّهقان قال: دخلت علىٰ أبي الحسن الرّضا عليه السلام فقال لي، ما معنى قوله تعالىٰ: وَ ذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلّىٰ، فقلت كلّما ذكر إسم ربّه قام فصّلىٰ فقال عليه السلام لي لقد كان اللّه عزّ وجلّ كلّف هذا شططاً فقلت فداك فكيف هو فقال كلّما ذكر إسم ربّه صلّى على محمّدٍ و أله إنتهى.

و في الفقيه سئل الصّادق عن قول اللّه عزّ وجلّ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ قال: من أخرج الفطرة قيل له: وَ ذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلّىٰ، قال خرج إلىٰ الحياة أي الصّحراء فصَّلىٰ إنتهى.

و في تفسير علّي بن إبراهيم قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ قال: زكوة الفطرة إذا أخرجها قبل صلاة العيد، وَ ذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلّىٰ قال صلاة الفطر و الأضحىٰ إنتهى.

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيا وَ ٱلْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ، إِنَّ هٰذا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولىٰ، صُحُفِ إِبْراٰهِيمَ وَ مُوسىٰ

و المعنى بل تختارون الحياة الدّنيا على الأخرة أي ترجِّحونها على الأخرة و الحال أنّ الأخرة خيرٌ من الدُّنيا و أبقى منها و العاقل لا يختار الفاني علىٰ الباقي (أنّ هذا) أي قد ذكرنا من أحوال المؤمن و الكافر و ما أعدَّ اللّه لهما في الأخرة جميع ما ذكرناه مذكورة مسطورة في الصُّحف الأولىٰ صحف إبراهيم و موسىٰ، أي ابراهيم خليل اللّه و موسىٰ إبن عمران و هما من أولي العظم و حيث إنجرَّ الكلام إلى صحف إبراهيم و موسىٰ فلا بأس بالإشارة إليها علىٰ سبيل الإختصار فنقول الصُّحف، بضّم الصّاد والحاء جمع صحيفة و هى التّي يكتب فيها و هى مأخوذة من صحيفة الوجه فقوله تعالىٰ: **صُحُفِ إِبْراٰهِيمَ وَ مُوسىٰ**، معناه ما أنزل عليهما من جانب اللّه تعالىٰ مثل القرأن الّذي أنزل على رسول اللّه فالقرأن أيضاً صحيفة من الصّحائف المنزلة و لذلك قيل أريد بها القرأن قال اللّه تعالى: **يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً، فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**[١] فَجعله صُحُفاً فيها كتبٌ، من أجل تضمُّنه زيادة ما في كتب اللّه المتّقدمة، و المصحف ما جعل جامعاً للصُّحف المكتوبة و جمعه مصاحف.



رُوىٰ في كتاب الخصال بأسناده عن عتبة بن عمر اللّيثي عن أبي ذرّ رحمة اللّه عليه عن النّبي في حديثٍ طويل و فيها قلت يا رسول اللّه فما في الدّنيا ممّا أنزل اللّه عليك شئ ممّا كان في صحف إبراهيم و موسى قال ﷺ: ياأباذرّ إقرأ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّىٰ، وَ ذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلّىٰ، بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيا وَ ٱلْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ، إِنَّ هٰذا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولىٰ، صُحُفِ إِبْراٰهِيمَ وَ مُوسىٰ إنتهىٰ.

١- البيّنة = ٢ و ٣

و عن أصول الكافي بأسناده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال لي يامحمّد أنّ اللّه عزّ وجلّ لم يعط الأنبياء شيئاً إلاّ و قد أعطاه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم و قد أعطىٰ محمّداً جميع ما أعطىٰ الأنبياء و عندنا الصُّحف الّتي قال اللّه عزَّ وجلّ: **صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ** قلت جعلت فداك هي الألواح قال نعم إنتهى.

و بأسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين أيها النّاس إنّ اللّـه تبارك و تعالىٰ أرسل إليكم الرّسول إلى أن قال عليه السلام فجائهم بنسخة ما في الصُّحف الأولىٰ و تصديق الّذي بين يديه و تفصيل الحلال من ريب الحرام و ذلك القرأن فإستنطقوه ولن ينطق لكم إنتهى.

و بأسناده عن أبي الدَّيلم عن أبي عبد اللّـه عليه السلام قال: و قد ذكر المسيح و جرت بعده في الحوارّيين في المستحفظين و أنّما سمّاهم اللّه عزّ وجلّ المستحفظين لأنّهم إستحفظوا الإسم الأكبر و هو الكتاب الّذي يعلم به علم كلّ شيءٍ الّذي كان مع الأنبياء يقول اللّه عزّ و جلّ: **لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلَنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ وَ أَنْزَلْنٰا مَعَهُمُ ٱلْكِتٰابَ وَ ٱلْمِيزٰانَ**(١) فالكتاب الإسم الأكبر و أنّما عرف ممّا يدعىٰ الكتاب التّوراة و الإنجيل و الفرقان فيها كتاب نوح و فيها كتاب صالح و شعيب و إبراهيم فأخبر اللّه عزّ وجلّ: **إِنَّ هٰذٰا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولىٰ، صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ** فأين صحف إبراهيم أنّما صحف إبراهيم الإسم الأكبر و صحف موسىٰ الإسم الأكبر إنتهى.

و عن الكافي بأسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد اللّـه عليه السلام قال: أنزلت التّوراة في ستّ مضت من شهر رمضان، و نزل الإنجيل في

١- الحديد = ٢٥

إثنى عشر ليلة من شهر رمضان و أنزل الزَّبور في ليلة ثمان عشرة مضت من شهر رمضان و أنزل القرأن في لليلة القدر إنتهى.

و عن بصائر الدّرجات بأسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام، عندنا الصُّحف التّي قال اللّه: **صُحُفِ إِبْراٰهِيمَ وَ مُوسٰى** قُلتُالصُّحُف هي الألواح قال عليه السلام نعم إنتهى.

و أيضاً عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: لنا ولادة من رسول اللّه طهر و عندنا صحف إبراهيم و موسىٰ ورثناها عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إنتهى.

و الأحاديث في الباب كثيرة أنظر تفسير نور الثّقلين[١].

و قد ظهر لك ممّا ذكرناه أنّ الصُّحف التّي أنزلها اللّه على أنبيائه مكتوبة في القرأن فهو الجامع لما أنزله اللّه تعالى على جميع أنبيائه مع الزّيادة كما أنّ جميع الكمالات النّفسانية التّي كانت لهم كانت لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و يدلّ علىٰ جامعيّة القرأن قوله تعالىٰ: **وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ**[٢] فالقرأن نُسخة الجامعة الأتمّ لجميع الكتب السّماوية كما أنّ الرّسول كذلك بالنّسبة إلىٰ الأنبياء و كلّما ثبت للرّسول من الفضائل ثبت لأوصيائه غير النّبوة لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلّي عليه السلام **أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنّه لا نبّي بعدي.**

■



١- ج ٥ ص ٥٥٧

٢- الانعام = ٥٩

سُورَةُ ٱلْغَاشِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّٰهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً
﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا
مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي
جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا
عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَ
أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾
وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ
كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ
﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى
ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ
مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ
تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّٰهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾



◀ اللّغة

الْغٰاشِيَةِ: كناية عن القيامة و جمعها غواش، يقال غشىٰ علىٰ فلان إذا غابه فأغشىٰ فهمه و ذلك عبارة عن الإمتناع من الإصغاء.

خٰاشِعَةٌ: الخشوع الخضوع.

نٰاصِبَةٌ: يقال نصب الرّجل ينصب نصباً إذا نصب في العمل فالمنصب التّعب و المشّقة.

حٰامِيَةً: شديدة الحرارة و منه حميّ النّهار و حمي التّنور أي إشتّد حرّه.

آنِيَةٍ: بكسر النُّون من الإنياء و هو التّأخير.

ضَرِيعٍ: بفتح الضّاد نبتةٌ و شوك لاصقٌ بالأرض فإذا يبس فهو الضَّريع و إذا كان رطباً فهو أستبرق طلعه قريش.

نٰاعِمَةٌ: أي منعمة.

أَكْوٰابٌ: جمع كوب بضّم الكاف و هو الإبريق الّذي ليس له خرطوم.

نَمٰارِقُ: النّمارق الوسائد واحدها نمرقة و هى الوسادة.

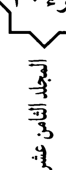
مَصْفُوفَةٌ: أي الصَّف أي واحدها جنب أخرىٰ.

وَ زَرٰابِيُّ: بفتح الزّاء البسط واحدها الزريبة.

مَبْثُوثَةٌ: أي مبسوطة.

بِمُصَيْطِرٍ: بضّم الميم و السّين و الصّاد المسَّلط على الشّئ.

إِيٰابَهُمْ: بكسر الألف أي رجوعهم فالأوب الرّجوع.



◀ الإعراب

وُجُوهٌ هو مبتدأ و **خٰاشِعَةٌ** خبره و **يَوْمَئِذٍ** ظرف للخير و **عٰامِلَةٌ** و **كَيْفَ إِنَّمٰا** من ضريع في موضع نصب علىٰ أصل الباب أو يكون رفعاً علىٰ البدل **إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى** هو إستثناء منقطعٌ **إِيٰابَهُمْ** مصدر أب يؤب مثل القيام و الصّيام.

◀ التّفسير

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ

هل بمعنىٰ (قَد) و الغاشية كناية عن جهنَّم و ما فيها من العذاب سمّيت بالغاشيّة لأنّ فيها تغشىٰ النّاس بالأهوال الغاشيّة النّار تغشى وجوه الكفّار بالعذاب و الشّواظ قال سعيد بن جبير و المعنىٰ قد جاءك يامحمّد حديث الغاشيّة عليه أكثر المفسّرين دليله قوله تعالىٰ: **وَ تَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ**[1].

و قيل المراد بها النّفخة الثّانية للبعث لأنّهاتغشىٰ الخلائق و قال الكلبي منها خرجت مخرج الإستفهام لرسوله و إنّها أن لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك ثمّ ذكر اللّه تعالى أوصاف الغاشيّة.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ

أي خاضعة ذليلة والمراد بالوجوه أصحاب الوجوه و قيل المراد بالوجوه وجوه الكفّار كلّهم و قيل أراد وجوه اليهود و النّصارىٰ قاله إبن عبّاس.

أقول إنّ الآية مطلقةفتقييدهابوجوه بعض دون بعض لا دليل على أنّ المراد بالوجوه وجوه العصاة من الكفّار و المسلمين و لا يبعد أن يكون المعنى نفس الوجوه أي الوجوه الّتي تسقىٰ من عينٍ أنية إلىٰ أخر الأوصاف و الوجوه الّتي تكون ناعمة و يدلّ علىٰ ذلك تنكيرها أي أنّ الوجوه يومئذٍ على قسمين، خاشعة و ناعمة، فالخاشعة للعصاة و النّاعمة للمطيع ثمّ أنّ اللّه تعالى قال بعد ذلك.

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ

أي في الدُّنيا لأنّ الأخرة ليست بدار العمل و على هذا فالمعنى وجوهٌ عاملة ناصبة في الدُّنيا خاشعة في الأخرة و قوله ناصبة، أي تعبة يقال نصب لي

١- إبراهيم = ٥٠

مالك نصباً إذا تعب، علىٰ هذا فالمعنىٰ هم الّذين أنصبوا أنفسهم في الدُّنيا على معصية اللّه و على الكفر مثل عبدة الأوثان و كفّار و أهل الكتاب و غيرهم من الّذين أقبلوا على الدّنيا و أعرضوا عن الأخرة ثمّ أنّ قوله: **نَاصِبَةٌ** يجوز منها النَّصب و الرّفع فالنَّصب على الحال و الرَّفع على الصِّفة أو على إضمار مبتدأ.

تَصْلٰى نٰارًا حٰامِيَةً

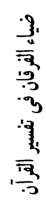
أي تلزم الإحراق بالنّار الحامية التّي هي في غاية الحرارة.

تُسْقٰى مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ

فإن قلت ما معنى وصف النّار بالحمى و هى لا تكون إلاّ حامية.فأنّ الحمى من لوازم ذات النّار.

قلت المراد بذلك أنّها دائمة الحمى و ليست مثل نار الدّنيا التّي تنقطع حميمها بإطفاءها، أو يقال أنّها حامية حمى غيظٍ و غضبٍ مبالغة في شدّة الإنتقام.

و أمّا قوله: **مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ** قال إبن عبّاس آنية بالغة النّهاية في شدّة الحرّ هذه يسقون يوم القيامة بدل الماء البارد و قيل بالأنياء التّأخير و فيه قوله تعالىٰ: **يَطُوفُونَ بَيْنَهٰا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ اٰنٍ**[1].



و الحقّ ما ذكره إبن عبّاس و هو أنّ قوله: **اٰنِيَةٍ** أي بالغة النّهاية في شدّة الحرّ و قد روي أنّه لو وقعت نقطة منها على جبال الدُّنيا لذابت كلّها و به قال الطّبري حيث قال في تفسير الأية، تسقى أصحاب هذه الوجوه من شراب عينٍ قد آن حرّها و بلغ غايته في شدّة الحرّ.

لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلّٰا مِنْ ضَرِيعٍ

۱- الرّحمٰن = ۴۴

فالضّريع نبات تأكله الإبل يضرّ و لا ينفع وقا عكرمة و مجاهد الضّريع نبتٌ ذو شوكٍ لاصقٌ بالأرض تسمّيه قريش (الشّرق) إذا كان رطباً فإذا يبس فهو الضّريع لا تقربه دابّة و لا بهيمة و لا ترعاه و هو سمٌّ قاتل و هو أخبث الطّعام و أشنعه و علىٰ هذا عامّة المفسّرين قال أبو ذؤيب:

و في الشَّرق الرّيان حتّى إذا ذوىٰ و عاد ضريعاً بان منه النّحائض

و قال الهذلي و ذكر إبلاً و سوء مرعاها:

و حسن في ملزم الضّريع فكلّها حدّباء دامية اليدين حرود

و قال بعضهم أنّ الضّريع شجرة من نار جهنَّم حملها القيح و الدَّم أشدّ مرارةً من الصَّبر فذلك طعامهم.

لَا يُسْمِنُ وَ لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ

قال بعض المفسّرين لمّا نزلت هذه الآية قال المشركون أنّ إبلنا لتسمن بالضّريع، فنزلت لا يسمن و لا يغني من جوع قال النّاقل و كذب المشركون في قولهم فإنّ الإبل إنّما ترعاها رطباً فإذا يبس لم تأكله، لمّا بيَّن اللّه تعالىٰ أحوال الوجوه الخاشعة يوم القيامة أشار إلىٰ أحوال الوجوه النّاعمة فقال:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ

فالوجوه النّاعمة هي وجوه المؤمنين الّذين عملوا في الدّنيا ما أمرهم اللّه به و تركوا ما نهاهم عنه و معنىٰ النّاعمة، متّنعمة بأنواع النِّعم و اللّذات و قوله: **لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ** أي بما أدّاها إليه من العمل الصّالح و ما يترتب عليه من الجزاء و الثّواب يوم القيامة **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** التّي هي مقام الصّالحين من عباد اللّه فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ به الأعين.

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً

أي لا تسمع أذانهم فيها لغواً و باطلاً و فيه إشارة إلى قوله تعالى في وصف الجنّة **لا لَغْوٌ فيها وَ لا تَأْثيمٌ**(١).

فيها عَيْنٌ جارِيَةٌ

أي في الجنّة عينٌ جارية و فيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **جَنّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ**(٢).

فيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ.

أي عالية فالسُّرر جمع سرير الّذي يجلس عليه للإستراحة و فى قوله مرفوعة إشارة إلىٰ أنّ السُّرر مرتفعة عن الأرض ليرىٰ المؤمن بجلوسه عليها ما حوله من الملك و يلتذُّ برؤيته.

وَ أَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ

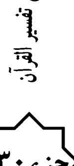
فالأكواب جمع، كوب بضّم الكاف و الكوب هو الإبريق الّذي ليس له خرطوم فالمعنىٰ أنّهم يجلسون علىٰ السُّرر المرفوعة و عندهم الأباريق التّي ليس لها خرطوم فهي للشّراب من الذّهب و الفضّة يتمتّعون بها بالنَّظر إليها و هى بين أيديهم.

وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ

فالنّمارق جمع نمرقة و هى الوسادة و المعنىٰ أنّهم يجلسون علىٰ و سائد مصفوفة أي واحدة إلىٰ جنب الأخرىٰ و إليه الشّاعر بقوله:

كهولٌ و شبّانٌ حسانٌ وجوههم علىٰ سررٍ مصفوفة و نمارقٍ

و عن الصّحاح، النَّمرق و النَّمرقة وسادةً صغيرة وكذلك **النِّمرقة** بالكسر لغة حكاها يعقوب.



١- الطُّور = ٢٣ ٢- البقرة = ٢٥

وَ زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ

الزّرابي، البسط.

و قال إبن عبّاس الطّنافس التّي لها حمل رقيقٌ واحدتها زَ ربة و قيل المبثوثة المبسوطة، و قيل بعضها فوق بعضٍ، و قيل كثيرة متطرّقة في المجالس و هو الأقوىٰ في النّظر لأنّ البثّ التّفرّق قال تعالىٰ: **وَ بَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ**(١).

ففي هذه الآية أشار اللّه تعالىٰ إلىٰ ما أعدّه للمؤمنين في الجنّة و لمثل هذا فليعمل العاملون ثمّ بعد ذلك أشار اللّه تعالىٰ بعض مظاهر قدرته من الخلق فقال:

أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

قال بعض المفسّرين في تفسيره لهذه الآية لمّا ذكر اللّه عزّ وجلّ أمر أهل الدّارين تعجّب الكفّار من ذلك فكذّبوا و أنكروا فذكرهم اللّه صنعتهى قدرته و أنّه قادرٌ علىٰ كلّ شيءٍ كما خلق الحيوانات و السّماء و الأرض ثمّ ذكر الإبل أوّلاً لأنّها كثيرة في العرب فلم يروا الفيلة فنبّههم جلّ ثناؤه علىٰ عظيم من خلقه ذلّله للصّغير يقوده و يذبحه في بهيضه و يحمل عليه الثّقيل من الحمل و هو بارك فينهض بثقيل حمله ذلك في شيءٍ من الحيوان غيره فأراهم عظيماً من خلقه لصغيرٍ من خلقه يدلّهم بذلك علىٰ عظيم قدرته و توحيده إنتهىٰ موضع الحاجة من كلامه.

أقول الإبل بكسر الباء الموحّدة و قد تسكن للتّخفيف، الجمل و هو إسمٌ واحدٌ يقع علىٰ الجمع و ليس بجمعٍ و لا إسم جمعٍ وإنّما هو قال علىٰ الجنس.

و قال الجوهري ليس لها واحدٌ من تفعليها و هى مؤنثة لأنّ أسماء الجموع

١- البقرة = ١٦٤

الّتي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآيتين فالتّأنيث لا لازم لها و إذا صغّرتها أدخلت عليها الهاء فقلت أبيلة و غنيمة و نحو ذلك و الجمع فيها آبال، و البنة إبلىٰ بفتح الباء و زرابي عن غروة البارقي عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال:

الإبل عزٌّ لأهلها و الغنم بركة و الخير موجودٌ في نواصي الخيل إلىٰ يوم القيامة.

و يقال للذّكر و الأنثىٰ منها البعير إذا عرفت هذا فإعلم أنّ الإبل من الحيوانات العجيبة و أنّ أصل عجبها يسقط من العين لكثرة رؤية النّاس لها أنّها حيوان عظيم الجثّة سريع الإنقياد ينهض بالحمل الثّقيل و يبرك و تأخذ زمامه الصّغار من أولاد أدم و تذهب به إلىٰ حيث شاء و أراد و يتّخذ علىٰ ظهره بيتٌ يصعد الإنسان مع مأكوله و مشروبه و ملبوسه و ظروفه و وسائده كأنّه في بيته و يتّخذ للبيت سقف و هو يمشي بكلّ هذه و لهذا قال تعالىٰ: **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** و حيث أنّ اللّه تعالىٰ جعلها سفائن البرّ صبّرها علىٰ إحتمال العطش حتّىٰ أنّ ظمأها ليرتفع إلىٰ العشر و جعلها ترعىٰ كلّ شيءٍ نابت في البراري و المفاوز ممّا لا يرعاه سائر البهائم و ربّما تصبر عن الماء عشرة أيّام و إنّما جعل اللّه تعالىٰ أعناقها طوالاً لتستعين بها علىٰ النّهوض بالحمل الثّقيل و خصائص الإبل كثيرة جدّاً و من أراد الوقوف علىٰ أكثر ممّا ذكرناه فعليه بمراجعة حياة الحيوان للدّميري.

وَ إِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

الواو للعطف أي أفلا ينظرون إلىٰ السّماء كيف رفعت، رفعها اللّه فوق الأرض بغير عمدٍ ترونها.

وَ إِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ

علىٰ الأرض بحيث لا تزول عنها.

وَ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ

أي بسطت و مدّت، و قد مضىٰ الكلام في هذه الأمور بما لا مزيد عليه ثمّ خاطب نبيّه فقال:

فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنْتَ مُذَكِّرٌ

فالتّذكير التّعريف للذّكر بالبيان الّذي يقع به الفهم و النّفع به عظيم لأنّه يؤدّي إلىٰ العلم بالأمور الّتي تحتاج إليها و تلين القلب للفعل بها و قوله: **إِنَّمَآ أَنْتَ مُذَكِّرٌ** يعني أنت مذكرٌ بنعم اللّه تعالىٰ و ما يجب العباد شكره و الأيات الدّالة علىٰ التّذكير في القرأن كثيرة بل الحقّ أنّ الدّين ليس إلاّ هو.

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ

بالصّاد و السّين و المعنىٰ فيهما واحد أي لست يامحمّد عليهم أي علىٰ النّاس بمسَّلطٍ بالقهر و الغلبة يقال تسيطر فلان علىٰ فلان أي تسلَّط و المقصود من هذه الآية أنّ النّبي مأمورٌ بإبلاغ الحكم إلىٰ النّاس لا بإجبارهم علىٰ قبوله.

إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَ كَفَرَ، فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ

إستثنىٰ من النّاس من تولّىٰ أي أعرض عن قبول الحقّ و كفر به فكله إلىٰ اللّه تعالىٰ حتّىٰ يعذّبه اللّه يوم القيامة بالعذاب الأكبر و هو الخلود في النّار و التّعذيب بأنواع العذاب أي أنّ حساب الكافر الّذي أعرض عن قبول الحقّ علىٰ اللّه و إلىٰ ذلك أشار بقوله:

إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ

الإياب الرّجوع يقال أب يؤوب إذا رجع و المعنىٰ أنّ إلينا رجوعهم بعد الموت ثمّ بعد ذلك علينا حسابهم لا عليك فعليك الإبلاغ و علينا الحساب.

■

سُورَةُ ٱلْفَجْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَ لَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَ ٱلشَّفْعِ وَ ٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَ ٱللَّيْلِ إِذاٰ يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فى ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذاٰتِ ٱلْعِماٰدِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِى ٱلْبِلاٰدِ ﴿٨﴾ وَ ثَمُودَ ٱلَّذينَ جٰابُوا ٱلصَّخْرَ بِالْواٰدِ ﴿٩﴾ وَ فِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتاٰدِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلاٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فيهَا ٱلْفَساٰدَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذاٰبٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصاٰدِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنْساٰنُ إِذاٰ مَا ٱبْتَليٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّىَ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَ أَمَّآ إِذاٰ مَا ٱبْتَليٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّىَ أَهاٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ ٱلْيَتيمَ ﴿١٧﴾ وَ لاٰ تَحاٰضُّونَ عَلٰى طَعاٰمِ ٱلْمِسْكينِ ﴿١٨﴾ وَ تَأْكُلُونَ ٱلتُّراٰثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَ تُحِبُّونَ ٱلْماٰلَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذاٰ دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَ جاٰءَ رَبُّكَ وَ ٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَ جاٰىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ



ٱلْإِنْسٰانُ وَ انّٰى لَهُ ٱلذِّكْرٰى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يٰا لَيْتَنى قَدَّمْتُ لِحَيٰاتي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لٰا يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَ لٰا يُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يآ أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعيِ إِلٰى رَبِّكِ راٰضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلي في عِبٰادي ﴿٢٩﴾ وَ ٱدْخُلي جَنَّتي ﴿٣٠﴾

◀ اللّغة

وَ ٱلْفَجْرِ: الفجر شقّ عمود الصُّبح.

وَ ٱلشَّفْعِ وَ ٱلْوَتْرِ: فالشَّفع الزَّوج و الوتر الفرد.

يَسْرِ: أي يسرىٰ ظلاماً حتّىٰ ينقضي بالضّياء.

حِجْرٍ: العقل.

إِرَمَ: بكسر الألف و فتح الرّاء إسم أبي عاد يقال عاد بن إرم و قيل هو إسم بلدٍ منه الإسكندرية.

ٱلصَّخْرَ: أي الحجر من الجبال.

سَوْطَ عَذٰابٍ: السَّوط القسط.

فَقَدَرَ: أي ضيَّق.

لٰا تَحٰاضُّونَ: أي لا يأمرون أهليهم بإطعام المسكين.

ٱلتُّراٰثَ: بضمّ التّاء الميراث.

لَمًّا: يقال لممت علىٰ الخوان إذا أكننته أجمع.

جَمًّا: أي كثيراً.

دَكًّا: الدَّك حطّ المرتفع بالهبط.

◄ الإعراب

الواو في وَ ٱلْفَجْرِ و ما بعده للقسم و جوابه قوله إن ربّك لبالمرصاد وَ ٱلْوَتْرِ بالفتح و الكسر لغتان و إِذا ظرف و العامل فيه محذوف إِرَمَ لا ينصرف للتّعريف و التّأنيث فَأَكْرَمَهُ هو معطوف علىٰ قبله فَيَقُولُ هو جواب إِذا وإذا، جوابها خبر عن الإنسان لاتَحَاضُّونَ المفعول محذوف أي لا يحاضُّون أحداً يَوْمَئِذٍ بدل من و إذا، في قوله إذا دكّت و العامل فيه يتذكّر و صَفًّا حال و العذاب و الوثاق إسمان للتّعذيب و الإيثاق و راضِيَةً حال.

◄ التّفسير

وَ ٱلْفَجْرِ، وَ لَيَالٍ عَشْرٍ، وَ ٱلشَّفْعِ وَ ٱلْوَتْرِ، وَ ٱللَّيْلِ إِذا يَسْرِ

الواو للقسم أقسم اللّه تعالىٰ أوّلا بالفجر، و هو شقّ الصُّبح فجّره اللّه لعباده، و علىٰ هذا فهو إنفجار الظُّلمة عن النّهار من كلّ يوم.

قال إبن عبّاس أنّه النّهار كلّه و عبّر عنه بالفجر لأنّه أوَّله.

و قيل المراد هو إنشقاق الفجر من يوم المحرّم أي أوّل يوم مسمّىٰ به لأن بينه تتفجّر السَّنة.

و قيل هو من الصُّبح.

و قيل يراد به صبيحة يوم النَّحر.

و قيل هو إنشقاق الفجر من يوم المزدلفة.

و قيل و الفجر أخر أيّام العشر منها.

و قيل فجر ذي الحجّة، و المشهور بينهم هو أوَّل الأقوال.

و أمّا قوله: وَ لَيَالٍ عَشْرٍ فهذا ممّا أقسم اللّه به ثانياً و إختلفوا في المراد به أيضاً، فقيل هو عشر ذي الحجّة.

و قيل هي العشرة التّي ذكرها اللّه في قصّة موسى حيث قال: **وَ أَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ** و هى أفضل أيّام السّنة.

و قيل المراد به عشر الأضحىٰ فهي ليالٍ عشر علىٰ هذا القول لأنّ ليلة يوم النَّحر داخلة فيه.

و عن إبن عبّاس قال العشر الأواخر من رمضان.

و قيل هي العشر الأوّل من المحرَّم التّي عاشرها يوم عاشوراء.

و عن إبن عبّاس **وَ لَيَالٍ عَشْرٍ** بالإضافة إلىٰ ليالٍ و أيّام عشر.

ثمّ أقسم اللّه ثالثاً بقوله: **وَ ٱلشَّفْعِ وَ ٱلْوَتْرِ** فالشّفع الأثنان و الوتر الفرد و إختلفوا في المراد بها أيضاً.

قيل المراد بها السُّورة فيه شفع و فيها وتر.

و عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: في تفسيره هذه الأيات، و الفجر، الصُّبح و عشر و الشَّفع و الوتر يوم عرفة، و الشّفع يوم النَّحر.

و في قول إبن عبّاس و عكرمة و عن أبي أيُّوب عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم **قال: الشَّفع يوم عرفة و يوم النَّحر، و الوتر ليلة يوم النَّحر.**

و قيل الشَّفع خلقه لقوله تعالىٰ: و خلقناكم ازواجاً.

و قيل الشَّفع صلاة الصُّبح و الوتر صلاة المغرب.

و قيل الشَّفع عشر ذي الحجّة و الوتر أيّام منى.

و قيل الشَّفع درجات الجنّة و هى ثمان و الوتر دركات النّار و هى سبعة و الأقوال فيهما كثيرة جدّاً و فيما نقلناه كفاية ثمّ إنّ **الوَتر** بفتح الواو و كسرها لغتان.

وَ ٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ أقسم اللّه تعالىٰ باللّيل إذا يسر، أي إذا يسري حذفت الياء لإلتقاء الكسرة و المعنىٰ المسير باللّيل إذا يسري في سيره إلىٰ أن ينقضي بالضّياء المبتدئ و بعد ما أقسم باللّيال العشر علىٰ الخصوص أقسم باللّيل

علىٰ النّجوم و معنىٰ يسري أي يسري فيه، إذ لا سير باللّيل فهو من سبيل ليله نائم و نصاره صائم و التّقدير نومه باللّيل و صومه في النّهار و إلىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

لمــــتنا يــا أمّ غــيلان بــالسُّرىٰ   و نـمت و مـا ليـل المـطيّ بـنائم

و منه قوله تعالىٰ: **بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَ ٱلنَّهارِ**[1].

و هذا قول اكثر اهل المعانى و اكثر المفسّرين علىٰ انّ يسرى بمعنىٰ ذهب.

و قال قتادة جاء و أقبل.

و قيل إذا يسر، أي إذا إستوىٰ.

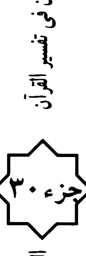
و قيل المراد به اللّيلة المزدلفة.

و قيل ليلة القدر.

و قيل أنّه أراد به عموم اللّيل كلّه.

و قرأ إبن كثير و إبن محيص و يعقوب بإثبات الياء في **يَسْرِي** في الحالين علىٰ الأصل أي في حال الوقف و غيره لأنّها ليس بمجزومة.

و قرأ نافع و أبو عمروا بـإثباتها فـي الوصـل و بـحذفها فـي الوقـف إتّـباعاً للمصحف ثمّ رجع إلىٰ حذف الياء في الحالين جميعاً لأنّه رأس أية.



هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ

قيل هل، هاهنا في موضع (إنّ) تقديره إنّ في ذلك قسمٌ لذي حـجر، فـهل علىٰ هذا في موضع جواب القسم، و قيل هي علىٰ بأبـها مـن الإسـتفهام الّـذي معناه التَّقرير.

و قيل المراد بذلك التّأكيد لما أقسم عليه و المعنىٰ بل فـي ذلك مـقنعٌ لذي حجر، **حِجْرٍ** بكسر الحاء العقل، و هو في اللّغة المنع سمّي العقل به لأنّـه يـمنع عن القبائح و يحثّ علىٰ الخيرات كما قال الشّاعر:

١- سبأ = ٣٣

و كيف يرجىٰ أن يتوب و أنّما يرّجىٰ من الفتيان من كان ذا حجرٍ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ، إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

قوله: **أَلَمْ تَرَ**، يحتمل أن يكون المراد بالرُّؤية الرُّؤية القلبيّة التّي يعبّر عنها بالعلم أي ألم تعلم يامحمّد، و يحتمل أن يكون المراد بها الرُّؤية بالنَّظر أي النَّظر إلىٰ أثارها الباقية بعد الهلاك و علىٰ التّقديرين فالإستفهام للإنكار أي تعلم أو ترىٰ أثارهم و قيل أنّه للتّقرير و كيف كان خاطب اللّه نبيّه ﷺ بذلك و أنّه فعل بهم ما فعل لطغيانهم و فسادهم و عدم إيمانهم.

و إعلم أنّ قوم عاد كانوا علىٰ صنفين، صنفٌ منهم كانوا يسمّون بعاد الأولىٰ. وصنفٌ أخر بالثّانية، فالثّانية كان نبيُّهم هود و أمّا الأولىٰ فكانوا قبل قوم هود.

أمّا قوم هود فأهلكهم:

قال اللّه تعالىٰ: **بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**[١].

و قد ذكرنا قصّتهم هناك مفصّلاً و هم الّذين حكىٰ اللّه تعالىٰ عنهم بقوله:

وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً[٢].

و أمّا عاد الأولىٰ فقد أهلكهم اللّه أيضاً:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ**[٣].

نقل بعض المفسّرين عن إبن إسحاق أنّه قال كان سام بن نوح له أولاد منهم إرم بن سام و منهم أرمخشد بن سام فمن ولد إرم بن سام العمالقة و الفراعنة و الجبابرة و الملوك الطّغاة و العصاة و علىٰ هذا فكان (إرم) علىٰ بعض الأقوال هو سام بن نوح و على بعضٍ أخر كان أبو عاد.

١- الحاقّة = ٧ ٢- فصّلت = ١٥
٣- النّجم = ٥٠

و قال بعضهم أنّ (إرم) كان قبيلة من عاد.

و قال بعض نقلة الأثار أنّ ما ذكره اللّه تعالىٰ في هذا المقام من قوم عاد، هو عاد الأولىٰ الّذين كانوا قبل قوم هود.

أقول هذه الأقوال لا يعتمد عليها و لا يهمّنا البحث في أنّ المراد (بعاد) في المقام عاد الأولىٰ أو الثّانية بعد إخبار اللّه تعالىٰ عن هلاكهم بسبب المعصية و الكفر و اللّه أعلم.

وَ ثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِالْوَادِ

ثمود، هم قوم صالح **جَابُوا** أي قطعوا، أي قطعوا الصّخرة من الجبال بشدّة قوتهم و قوله: **بِالْوَادِ** قيل أي بوادي القرىٰ، قيل أنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أتىٰ علىٰ وادي ثمود و هو علىٰ فرسٍ أشقر فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم **أسرِعُوا السَّير فإنكم في وادٍ مَلعُون.**

و قيل الوادي بين جبال و كانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتاً و دوراً و أحواشاً و كلّ منفرج بين جبال أو تلال يكون مسلكاً للسّبيل ومنفذاً فهو واد و الحاصل أنّهم كانوا في نهاية القوّة و الشّدة و مع ذلك أهلكهم اللّه.

وَ فِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ

الأوتاد جمع الوتد و هو المسمار و إنّما وصفه اللّه بذلك لأنّه أوتد زوجته أسية بنت مزاحم بعد إيمانها بموسىٰ و عذّبها في النّار عذاباً شديداً، قيل لمّا إطّلع فرعون علىٰ إيمان إمرأته خرج إلىٰ الملاء و قال لهم ما تعلمون من أسية بنت مزاحم فأتنوا عليها فقال لهم أنّها تعبد ربّاً غيري فقالوا لها أقتلها، فأوتد لها أوتاد و شدَّ يديها و رجليها فقالت أسية كما حكىٰ اللّه عنها **رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ**(١) و وافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنّة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها أنّا نعذّبهاتضحك فقبض روحها.

١- التّحريم = ١١

و قيل أنّ فرعون سمَّر يديها و رجليها في الشَّمس و وضع علىٰ ظهرها رحىٰ فأطّلعها اللّه حتّىٰ رأت مكانها في الجنّة و قد مرَّ قصّة موسىٰ و فرعون و ما وقع بينهما إلىٰ أن أغرقه اللّه في اليَّم مع أصحابه فيما مضىٰ مفّصلاً في سورة التّحريم و غيرها فلا وجه لإعادتها في المقام ثمّ بيَّن اللّه تعالىٰ أنّ علّةَ هلاك فرعون و ثمود و عاد و أمثالهم أنّهم خرجوا عن أمر ربّهم و كانوا من الطّاغين و المفسدين في الأرض فقال:

ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ

و الطُّغيان التّجاوز عن الحدّ و المعنىٰ أنّا أهلكناهم لطغيانهم في البلاد بقتلهم الأخيار و عدم إيمانهم باللّه و رسوله و كثرة فسادهم في الأرض و إنّما علّل اللّه الإهلاك بالطُّغيان و الفساد في الأرض ولم يعلّله بالكفر للإشارة إلىٰ أنّ الكافر إذا لم يكن طاغياً و ظالماً و مفسداً في الأرض لا يكون مستّحقاً للعذاب في الدّنيا و إنّما عذابه في الأخرة و أمّا إذا كان طاغياً علىٰ ربّه ظالماً علىٰ عباده مفسداً في أرضه فالمصلحة في إهلاكه و عذابه في الدّنيا عبّرة لغيره من غير أنّ ينقص من عذابه في الأخرة و علىٰ هذا فعذابه في الدّنيا إنّما هو لأجل دفع شرّه عن غيره وإنّما قلنا ذلك لأنّ الدّنيا ليس بدار الجزاء و العقاب و الثّواب و هو ظاهر و إلىٰ هذه الدَّقيقة أشار اللّه بقوله:

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

فالفاء للتّفريع أي إذا كانوا كذلك فصَّب عليهم أي أفرغ و ألقىٰ يقال صبَّ علىٰ فلان خلعةً أي ألقاها عليه، سوط عذاب أي شدّته.

قال الفّراء هي كلمة تقولها العذاب و كلّ نوعٍ من أنواع العذب فأنّ السَّوط عندهم ما يعذّب به كما قال الشّاعر:

لم يـر أنّ مـا أظـهر دنـية   و صبَّ علىٰ الكفّار سوط عذاب

و قيل معناه عذاب يخالط اللّحم و الدّم من قولهم ساطه يسوطه سوطاً أي خلطه فالسَّوط خلط الشّئ بعضه ببعضٍ قاله في المفردات.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ

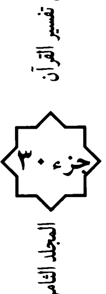
أي أنّ اللّه تعالىٰ يرصد كلّ عملٍ حتّىٰ يجازيه به، و المرصد و المرصاد الطّريق و المرصاد بكسر الميم (مفعال) من مصدر يرصده رصداً فهو راصد أي راعي ما يكون منه لبقاءه بما يقتضيه و على هذا إنّ ربّك لا يفوته شئ من أفعال العباد و أقوالهم.

فَأَمَّا ٱلْإِنْسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلَيٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ، وَ أَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَيٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ

الإبتلاء الإختبار و الإمتحان أشار اللّه تعالىٰ في هاتين الأيتين إلىٰ نقطةٍ خفيّة علىٰ أكثر النّاس و هي أنّ اللّه تعالىٰ يختبر عباده في الدّنيا بالغنىٰ و الفقر إلاّ الإنسان لجهله و عدم معرفته بالمصلحة التّي إقتضت ذلك ربّما يظُن أنّ منشأهما الحبّ و البغض من اللّه تعالىٰ بمعنىٰ أنّه يعطي الفقر من لا يحبّه و لا يعلم العبد أنّ الخالق يؤيّد الإختبار في الدّنيا و لذلك يقول المتَّنعم بالنِّعم ربّي أكرمني و يقول الفقير ربّي أهانني، و لا يعلم القائل أنّ الإكرام بالنّعمة في الدّنيا للإختبار كما أنّ الفقر أيضاً كذلك فليس في الفقر إهانةٌ أصلاً و أبداً.

و من المعلوم عقلاً أنّ هذا الحكم ثابت لنوع الإنسان لا لجميع أفراده لأنّ الأنبياء و الأوصياء و الصُّلحاء من أفراد النّاس لا يقولون بهذه المقالة لعلمهم بمنشأ الحكم و حكمته و إنّما يقول بها الجاهل.

فأن قلت إذا كان كذلك فلم قال اللّه تعالىٰ: **فَأَمَّا ٱلْإِنْسَانُ** أليس الإنسان يشمل الكلّ.



قلت الحكم بإعتبار الأغلب و لمّا كان أكثر النّاس من الجهّال الّذين لا يعقلون صدر الحكم بإعتبارهم و ذلك كما تقول الإنسان حريصٌ علىٰ ما منع.

و من المعلوم أنّ بعض أفراد الإنسان ليسوا كذلك و محصّل الكلام أنّ اللّه تعالىٰ أخبر عن نوع الإنسان أي أكثرهم أنّهم كذلك و لذلك قال: **وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** و الذّي يستفاد من الآية هو أنّ الدّنيا دار بلاء و إختبار:

قال اللّه تعالىٰ: **الٓمٓ، أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوٓا أَنْ يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ**[١].

فعلىٰ هذا الغنيّ يختبر بماله و الفقير بفقره و العالم بعلمه، و الواعظ بوعظه و السُّلطان بسلطنته و هكذا.

كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ، وَ لَا تَحَآضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ، وَ تَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا، وَ تُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا

كلاّ، حرف ردع أي ليس الأمر علىٰ ما ظنَّ هؤلاء الأشخاص من أنّ الغنىٰ لفضل الغنيّ عند اللّه و الفقر لهوان الفقير عنده و أنّما هما أي الفقر و الغنىٰ من تقديري و قضائي من أجل الإختبار.

و قال الفرّاء كلاّ في هذا الموضع بمعنىٰ لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا ولكن ينبغي أن يحمد اللّه علىٰ الغنى و الفقر.

و في الحديث كلاّ أنّي لا أكرم من أكرمت بكثرة الدّنيا و لا أهين من أعنت لقلّتها و إنّما أكرم من أكرمت بطاعتي و أهين من أهنت بمعصيتي، رواه القرطبي في تفسيره.

و قوله: **بَلْ لَا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ** بناء الخطاب لأنّ المخاطب بهذا الكلام هو الإنسان.

١- العنكبوت = ١ و ٢

و قرأ أبو عمرو و يعقوب **يُكرِمُون** بالياء و يحضُّون و يأكلون و يحبُّون، بالياء لأنّه تقدّم ذكر الإنسان و المراد به الجنس فعبّر عنه بلفظ الجمع.

و قرأ الباقون بالتّاء في الأربعة و عليها المصاحف فعلاً.

أقول قراءة التّاء بالخطاب أحسن من قراءة الياء و ذلك لأنّ الإلتفات من الغيبة إلىٰ الخطاب من محسّنات علم البلاغة و معنىٰ قوله: **بَلْ لَا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ** إخبار عما كانوا يصنعونه بالأيتام من تضييع حقوقهم أو منعهم عن الميراث، أو أكل مالهم إسرافاً، و الجامع هو تضييع الحقّ.

قيل نزلت الآية في قدّامة بن مظعون و كان يتيماً في حجر أمّية بن أبي خلف و قد مرَّ منّا مراراً أنّ خصوصيّة المورد لا تنافي عمُم الحكم.

وَ لَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ أصله تتَّحاضُّون فحذف إحدىٰ التّائين لدلالة الكلام عليها، و قرأ الكسائي **تَحَٰٓضُّونَ** بضّم التّاء و هو (تفاعلون) من الحضّ و هو الحثّ و كيف كان فالمعنىٰ لا تأمرون أهليكم بإطعام المسكين.

وَ تَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا أي تأكلون ميراث اليتامىٰ أكلاً لمّاً أي شديدا.

و قيل أي جمعاً من قولهم لممت الطّعام إذا أكلته جمعاً، و أصل اللّمم في كلام العرب الجمع كما قال الشّاعر:

و لست بمشتقّ أخاً لا تلمه ... علىٰ شعثٍ أيُّ الرّجال المهذّب



وَ تُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا أي كثيراً حلاله و حرامه و الجمّ بتشديد الميم الكثير يقال جمّ الماء في الحوض إذا كثر فيه قال الشّاعر:

إن تغفر اللّهم تغفر جمّاً ... و أيُّ عبدٍ لك لاألما

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَ جَآءَ رَبُّكَ وَ ٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَ جِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسَانُ وَ أَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ

قد مرَّ الكلام في كلاّ، غير مرّةٍ و قلنا هو حرف ردع، أو هو بمعنىٰ، حقّاً، و الدَّك حطّ المرتفع من الأرض بالبسط و قيل الدَّك المدّ، و المعنىٰ واحد أي إستوت الأرض في الإنفراش فذهب دورها و قصورها و جبالها و ما عليها من الأبنية و منه سمّي الدُّكان لإستوائه في الإنفراش و أنّما يقع ذلك في الأرض يوم القيامة.

وَ جَآءَ رَبُّكَ وَ ٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا أي و جاء أمر ربّك و عذابه أو جلائل أياته، أو قضاءه و الملك صفّاً صفّاً، أي صفّاً بعد صفٍّ كصفوف الصّلاة.

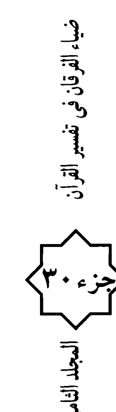
وَ جِاىٓءَ يَوْمَئِذٍ أي يوم القيامة **بِجَهَنَّمَ** قيل أنّ جهنّم بسبعين ألف زمام و كلّ زمامٍ بيد سبعين ألف ملك لها تغيّظٌ و زفيرٌ حتّىٰ تنصب عن يسار العرش.

و عن صحيح مُسلم عن إبن مسعُود قال: قال رسول اللّه، يأتي بجهنّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمامٍ مع كلّ زمامٍ سبعون ألف ملك يجرُّونها.

و عن أبي سعيد الخدري لمّا نزلت الآية يعتزلون رسول اللّه ﷺ و عرف في وجهه حتّىٰ إشتّد علىٰ أصحابه ثمّ قال ﷺ: أقرأني جبرئيل كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا الآية وجي بجهنّم، قال علّي عليه السلام قلت يا رسول اللّه كيف يجاء بها قال يؤتىٰ بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود كلّ زمامٍ سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثمّ تعرّض لي جهنّم فتقول مالي ولك يامحمّد أنّ اللّه قد حرّم لحمك عليّ فلا يبقىٰ أحد إلاّ قال نفسي نفسي إلاّ محمّد فأنّه يقول ياربِّ أمّتي ربّ أمّتي إنتهى.

أقول: هذه الأحاديث ذكرها القرطبي في تفسيره و اللّه أعلم.

و أمّا قوله: **يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ وَ أَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ** أي يوم القيامة يتّذكر الإنسان ما فرّط فيه في دار التّكليف أي ترك الواجب و فعل الحرام فلا



محالة يندم عليه و من أين له الذّكرىٰ الّتي كان أمر بها في دار الدُّنيا و بعبارةٍ أخرىٰ لا تنفعه الذّكرىٰ كما أخبر اللّه تعالىٰ عنه بقوله:

يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيٰاتِي

أي في حياتي **فاللاّم** بمعنىٰ في، المراد بالحياة حياة الأخرة الّتي لا فناء لها أي يا ليتني قدَّمت عملاً صالحاً لحياتي الباقية و هى الأخرة.

و قيل هذا كلام أهل النّار و حياتهم ليست هنيئة فكأنّه لا حياة لهم فالمعنىٰ ياليتني قدَّمت من الخير لحياتي من النّار فأكون فيمن حياته هنيئة.

فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ، وَ لاٰ يُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ

يعذّب، بكسر الذّال علىٰ المشهور و عليه المصاحف و قرأ الكسائي لا يعذَّب، بفتح الذال و هكذا و لا يوثق، بفتح الثّاء فالمعنىٰ علىٰ قراءة المشهور أنَّه يوم القيامة لا يعذّب أحدٌ مثل عذاب اللّه و لا يوثق أحد مثل وثاق اللّه و أمّا علىٰ قراءة الكسائي فالمعنىٰ لا يعذَّب بأحد مثله و لا يوثق أحدٌ مثل وثاقه و إن شئت قلت المعنىٰ علىٰ الأوّل، فيوم القيامة لا يعذِّب مثل عذابه أحد و لا يوثق مثل وثاقه أحد.

و علىٰ الثّاني فالمعنىٰ واضح.

يٰا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِيٓ إِلٰى رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبٰادِي وَ ٱدْخُلِي جَنَّتِي

في هذه الآية مسائل لا بأس بها من البحث فيها ولو علىٰ سبيل الإختصار لإحتوائها علىٰ اللّطائف الجميلة و الرّموز الخَفية الّتي ينبغي التّوجه إليها بعون اللّه و قوتّه.

الأولىٰ: أنَّ المخاطب في الآية هو النَّفس مع أنَّ المخاطب في الواقع هو الّذي نسميِّه بالإنسان فلم لم يقل يا أيّها الإنسان و لا شكّ أنَّ المراد بالنَّفس

الرُّوح و قد إستَّدل كثير من الفلاسفة بهذه الآية علىٰ أنَّ الإنسان في الحقيقة هو النَّفس الناطقة الإنسانية الّتي قد يعبَّر عنها بالرُّوح و لا دخل للبدن في انسانيّة الإنسان بل هو بمنزلة المركب لها و توضيح ذلك أنَّ الأقوال في المقام ثلاثة:

أَحَدها: أنَّ الإنسان مجموع الرُّوح و الجسم كما عليه القدماء.

الثّاني: أنَّ الإنسان هو هذا الجسم و الهيكل الفقري.

الثّالث: أنَّ الإنسان هو النَّفس فقط و أمّا الجسم و أعضائه و أجزائه من قبل الآلات للنَّفس و التّحقيق هو قول الأخير كما ثبت في محلِّه و الآية من أدلّ الدلاّئل علىٰ المدَّعيٰ و يمكن أن يستَّدل علىٰ إثبات المدَّعيٰ.

قال اللّه تعالىٰ: **فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ**[1].

بيان ذلك أنَّ اللّه تعالى لم يأمر الملائكة بالسُّجود لآدم قبل نفخ الرُّوح و إنّما أمرهم به بعده فيعلم بذلك أنَّ السُّجود في الحقيقة للرُّوح لا البدن و الجسم و هو دليلٌ علىٰ أنَّ للإنسان هو الرُّوح و هو الّذي يليق بأن يسجد لا اللَّحم و الدّم و العظم و غير ذلك ممّا هو موجودٌ في الحيوان أيضاً، و قد صرَّح الراغّب في المفردات بأنّ قوله تعالىٰ: **أَخْرِجُوٓا أَنْفُسَكُمُ** المراد بالنّفس الرُّوح أي أخرجوا أرواحكم و محصَّل الكلام هو أنَّ النّفس و الرّوح واحد و لا فرق بينهما في المعنى و لا نعني بالإنسان إلاّ هذا و لأجل هذه صارت النَّفس محلاًّ للخطاب في هذه الآية و أمثالها و تفصيل الكلام فيه موكولٌ إلىٰ محلِّه.

الثّانية: وصف اللّه النَّفس بالإطمينان فقال: **يٓا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ** ولم يقل يا أيتّها النَّفس إرجعي إلىٰ ربَّك مع أنَّ جميع النُّفوس يرجع إلىٰ اللّه بعد الموت و فيه إشارة إلىٰ أنَّ الرُّجوع إلىٰ اللّه عقوبة علىٰ قسمين:

١- الحجر = ٢٩

أحدَهُما: الرُّجوع المطلق و هو الموت و هذا الرُّجوع ثابت لجميع المخلوق ذوات الأرواح و هو ظاهر.

الثاني: الرُّجوع المقَّيد بالرَّضا أعني رضىٰ الرَّب عنها بالطّاعة و الإنقياد و رضىٰ الخلق عنه تعالىٰ بالتَّسليم بقضائه و قدره و هذا أعني الرُّوح المقَّيد بالرّضا هو المخاطب بخطاب ٱرْجِعِيٓ في هذه الآية لا مطلق النَّفس لأنَّ الدُّخول في عباد اللّه الصّالحين، و الجنَّة الّتي أعدَّت للمتّقين مخصوصٌ بالنَّفس المقَّيد بما ذكره في الآية فلا يشمل الحكم غيرها ثمّ أنَّ المراد بالإطمئنان الّذي هو الثَّبات و القرار هو مقام التَّسليم بالقضاء و القدر و ذلك لأنَّ النَّفس في بدو حدوثها و تعلُّقها بالبدن لا تخلو عن التّزلزل و الإضطراب كما هو المشاهد في الأفعال قبل البلوغ فأنَّك ترىٰ نفوسهم مضطربة متزلزلة حريصة علىٰ جميع الأسباب و الآلات يلبسون بها في أيّام الصَّباوة و الطّفوليّة و قد يعَّبر عنها في بآلات اللَّهو و اللّعب ثمّ تبلغ النَّفس تدريجياً إلىٰ مقام الكمال إلىٰ أن تبلغ مقام الإطمئنان فيعلم أنَّ الدُّنيا و حياتها و ما فيها من النِّعم لا بقاء لها و أن الحياة الدُّنيوية لعبٌ و لهوٌ و الآخرة خيرٌ و أبقىٰ وإذا بلغت النَّفس إلىٰ هذا المقام ترضىٰ بقضاء اللّه و قدره و تقنع بما رزقه اللّه و أعطاه في الدُّنيا و لا تأسف علىٰ شيٍ منها زوي عنها و يتَّوجه الخطاب إليها بقوله: ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً أي أنت راضية بقضاء اللّه و اللّه تعالىٰ راضٍ عنك لطاعتك و إنقيادك فأنت راضية و مرضية و لا نعمة أعظم و أحسن منها.

الثالثة: قوله: فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي الفاء للتَّفريع أي إذا كنت كذلك فأدخلي في عبادي، أي أخرجي من الدُّنيا الّتي هي محفوفة بالآفات و البليّات و أدخلى في زمرة عباد اللّه الصّالحين فأنَّك تليق بهذا المقام حقّاً، و يحتمل أن يكون المراد فأدخلى في جمع عبادي في الجنَّة فإنَّ فيها عباد اللّه أعني بهم

الأنبياء و الأوصياء و الصُّلحاء و كن جليساً لهم و أيَّة نعمةٍ أحسن من مجالسة الأنبياء و الأوصياء و الأبرار.

الرّابعة: قوله تعالىٰ: **وَ ٱدْخُلِي جَنَّتِي** و إنّما قدَّم الدخول في العباد علىٰ الدّخول في الجنّة لأنّ شرف المكان بالمكين فشرف الجنّة بهم لا شرفهم بها فالدُّخول فيهم أشرف و أفضل من الدّخول فيها و اللّه أعلم.

■

سُورَةُ ٱلْبَلَدِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَ لِسانًا وَ شَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَ هَدَيْناهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَ مآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَواصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولٰئِكَ أَصْحابُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايٰتِنا هُمْ أَصْحابُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾



◄ اللّغة

كَبَدٍ: بفتح الكاف والباء أي في شدّةٍ و تعبٍ من مكابدة الدُّنيا.

لُبَدًا: بضمّ اللاّم و فتح الباء، أي كثيراً مجتمعاً فاللُّبد الكثير الّذي قد تراكب بعضه علىٰ بعضٍ و منه تلَّبد القطن و الصُّوف إذا تراكب بعضه علىٰ بعضٍ.

ٱلنَّجْدَيْنِ: أي الطّريقين طريق الخير و طريق الشّر و النَّجد الطّريق في إرتفاع، و قيل كلّ عالٍ من الأرض نجد و قيل النَّجد الكرب و الغمّ.

ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ: الإقتحام الرَّمي بالنّفس في شيءٍ من غير رويّةٍ، و العقبة طريق و عرٌ في الجبل و الجمع، عقب و عقاب.

مَسْغَبَةٍ: سغب يسغب سغباً إذا جاع.

مَقْرَبَةٍ: أى ذا قرابة.

مَتْرَبَةٍ: يقال ترب الرّجل إذا إفتقر.

مُؤْصَدَةٌ: أي مطبقة.

◀ الإعراب

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ مثل (لا أقسم بيوم القيامة) و قيل لا، ليست بزائدة بل هي علىٰ حالها من النّفي وَ **وَالِدٍ** معطوف علىٰ البلد وَ **مَا** بمعنىٰ **مَنْ** و جواب القسم **لَقَدْ خَلَقْنَا** و **فِي كَبَدٍ** حال أي مكابدة **فَلَا ٱقْتَحَمَ** و لا، بمعنىٰ ما، **فَكُّ رَقَبَةٍ** المصدر مضاف إلىٰ المفعول **يَتِيمًا** مفعول إطعام و**ثُمَّ** هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب المخبر عنه.

◀ التّفسير

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ، وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ

يجوز أن تكون لا زائدة كما تقدَّم في **لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ**[1] أي، أقسم، قاله الأخفش و إستَّدل علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: **وَ هَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ** و الواو للقسم أي

١- القيامة = ١

أقسم بهذا البلد، فكذلك ما نحن فيه و منه قول الشّاعر:

تذكّرت ليلىٰ فإعترتني صبابةٌ   وكاد عميم القلب لا يتقطّع

أي ليتقطّع و دخل حرف لا، صلة و منه:

قال اللّه تعالىٰ: **مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**[1].

بدليل قوله تعالىٰ: **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ**[2].

و قرأ الحسن و الأخفش و إبن كثير **لَآ أُقْسِمُ** من غير ألف بعد اللاّم.

و قيل ليست ينفي القسم و أنّما هو كقول العرب لأمر اللّه لا فعلت كذا و اللّه ما كان كذا.

و قيل هي نفيٌ صحيحٌ و المعنىٰ لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه.

نقله القرطبي في تفسيره و المشهور بين المفسّرين هو القول الأوّل و قد مرَّ قبل ذلك كثيراً، و المراد بالبلد مكّة المكرّمة بإجماع المفسّرين.

و قوله: **وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ** فاواو للحال أي و الحال أنّك حلٌّ أي مقيمٌ بهذا البلد و المعنىٰ علىٰ هذا هو التّنبيه علىٰ شرف البلد بشرف من حلَّ فيه من الرّسول الدّاعي إلىٰ تعظيم اللّه و إخلاص عبادته المبشّر بالثّواب و المنذر بالعقاب يقال رجلٌ، حلّ أي حلال، و قالوا حلَّ معناه حالّ أي ساكن.

و عن إبن عبّاس أنّ، حلّ، بمعنىٰ حلال، أي أنّه حلال لك به قتل من رأيت حين أمر بالقتال فقتل إبن حنظل صبراً و هو آخذ بأستار الكعبة ولم يحلّ لأحدٍ بعده و به قال مجاهد و إبن زيد و قال عطاء لم يحلّ إلاّ لنبيّكم ساعةٍ من النّهار،

و قال الحسن معناه و أنت فيه محسن و أنا عنك راضٍ، هذا ما ذكره المفسّرون و المشهور بينهم هو القول الثّاني أي يحلّ لك في هذا البلد ما لا يحلّ لغيرك و علىٰ هذا **فالواو** للعطف وليست للحال و لكلّ واحدٍ من المعنيين وجهٌ وجيهٌ.

١- الأعراف = ١٢   ٢- ص = ٧٥

وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ

هذا قسمٌ أخر أقسم بالوالد و ما ولد.

قال بعض المفسّرين المعنىٰ بذلك كلّ والدٍ و ما ولد.

و قال الأخرون المراد بالوالد هو أدم أبو البشر و المراد بما ولد أولاده لأنّهم أعجب ما خلق اللّه علىٰ وجه الأرض.

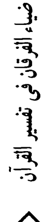
قال الفّراء و صلحت «ما» للنّاس كقوله تعالىٰ: **مٰا طٰابَ لَكُمْ و قوله: وَ مٰا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنْثٰىٓ**[1] و هو الخالق للذّكر و الأنثىٰ و قيل ما مع ما بعدها في موضع المصدر أي و والد و ما ولد.

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسٰانَ فِي كَبَدٍ.

هذا جواب القسم وللّٰه تعالىٰ أن يقسم بما يشاء من مخلوقاته و المعنىٰ أنّا خلقنا الإنسان في شدّةٍ و عناء من مكابدة الدُّنيا و أصل الكبد الشّدة و العناء.

و عن إبن عبّاس معناه في شدّة من حمله و ولادته و رضاعه و نبت أسنانه و غير ذلك من أحواله و قيل أنّ المعنىٰ يكابد مصائب الدُّنيا و شدائد الأخرة.

و قيل يكابد الشّكر علىٰ السّراء و يكابد الصَّبر علىٰ الضّراء و قيل غير ذلك فإنّ المعاني المحتملة كثيرة و لا شكّ أنّ الإنسان في مشقّةٍ شديدةٍ في الدُّنيا من أوّل عمره إلىٰ أخره و لا يبعد أن يكون المراد أنّه يقع في الشِّدة من بدو الخلق في عالم الرَّحم من كونه علقة و مضغة و هكذا إلىٰ خروجه من الرَّحم إلىٰ الدُّنيا و كيف كان لا شكّ أنّ مصائبه كثيرة في عالم الرّحم و فى الدّنيا الأخرة.





أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ

أي أيحسب الإنسان أن لن يقدر على عقابه أحد إذا عصىٰ ربّه فمن ظنَّ ذلك فقد أخطأ و ذلك أنّ الّذي خلقه يقدر علىٰ عذابه و عقابه أيضاً ثمّ حكىٰ اللّٰه تعالىٰ عنه أنّه.

١- الليل = ٣

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَدًا

أي أنفقت مالاً كثيراً فمن يحاسبني عليه ألم يعلم أنّ اللّه قادر علىٰ محاسبته قال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل أذنب فإستفتىٰ النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فأمره أن يكّفر فقال لقد ذهب مالي في الكفّارات و النَّفقات منذ دخلت في دين محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم القول يحتمل أن يكون إستطالة بما أنفق فيكون طغياناً منه، و يحتمل أن يكون أسفاً عليه فيكون ندماً منه.

و قرأ بعضهم مٰالاً لُبَّدًا بضّم اللاّم و تشديد الباء مفتوحة، جمع لابد، مثل ساجد و سجَّد و راكع و ركَّع و شاهد و شهَّد.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ

بل علم اللّه عزّ وجلّ ذلك منه فكان كاذباً في قوله:

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَ لِسٰانًا وَ شَفَتَيْنِ، وَ هَدَيْنٰاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ

الإستفهام للإنكار أي جعلنا له عينان قال المفسّرون و المعنىٰ نحن فعلنا ذلك و نحن نقدر علىٰ أن نبعثه و نحصي عليه ما عمله و قيل معناه أنّا جعلنا له ليبصر بهما و لساناً و شفتين لينطق بهما، و هديناه النَّجدين ليستّدل بهما و فى ذلك دليل واضح علىٰ أنّه صادر من مختار لهذه الأفعال التّي فعلها بهذه الوجوه فأحكمها لهذه الأمور فالمحكم المتقن لا يكون إلاّ من عالم و تعليقه بالمعاني لا يكون إلاّ من مختار لأنّه لا يعلّق الفعل بالمعاني إلاّ في الإرادة إنتهىٰ ما قاله في التّبيان و نظير ذلك قال في الكشّاف و الذّي يخطر بالبال مضافاً إلىٰ ما ذكروه هو أنّ في الكلام إشارة إلىٰ لطيفةٍ و هى أنّ معطي الشّئ لا يكون فاقداً له فإذا كان الخالق خلق مخلوقاً يرىٰ ببصره و ينطق بلسانه فكيف يعقل أن لا يرىٰ الخالق ما يفعله المخلوق و لا يسمع ما يقوله بلسانه بل هو يرىٰ و يتكلّم إلاّ أنّ الرُّؤية و التّكلم فيه تعالى ليست بسبب الأعضاء و الجوارح التّي هي من

شئون الجسم و إذا كان كذلك فكيف يحسب الإنسان أن لم يره أحد، هـذا مـا خطر بالبال و اللّه أعلم بما قال و أراد.

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ، وَ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ

نفىٰ اللّه تعالىٰ عن الإنسان المذكور أموراً:

أحدها: أنّه لا إقتحم العقبة، لا بمعنىٰ لم، أي لم أقتحم العقبة، و إنمّا قال لا، لأنّ أقتحم، فعل ماضٍ، «ولم»، النّافية لا تدخل علىٰ الماضي فلا يقال، لم ضرب مثلاً إنّما هى أي لم، تدخل علىٰ المضارع و حيث أنّ المراد أنّه أي الإنسان لم يفعل ذلك فيما مضىٰ من إنفاق ماله قال فلا إقتحم العقبة لصغرة (لا) النّافية و نظير ذلك قوله تعالىٰ: **فَلَا صَدَّقَ وَ لَا صَلَّىٰ**[1] و المقصود نفي الصّدقة و الصّلاة فيما مضى عنه فالمعنى لم يصدّق ولم يصلِّ، ثمّ أنّ الإقتحام علىٰ ما قيل هو الرّمي بالنّفس في شيءٍ من غير رؤّيةٍ و بعبارة أخرىٰ هو الدُّخول في شيءٍ من غير رؤّيةٍ أي من غير تفكّرٍ وتدّبرٍ و القحم صعاب الطّريق ثمّ قال تعالىٰ: **وَ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ** أي ما أدريٰك يا محمّد ما العقبة، أي أيُّ شيءٍ هي **فَكُّ رَقَبَةٍ** و هذا هو الثّاني من الأمور الّتي نفاها اللّه عنه فيصير المعنىٰ في الحقيقة.

لَا ٱقْتَحَمَ فَكُّ رَقَبَةٍ و المعنىٰ هلاّ أنفق ماله في فكّ الرّقاب لو كان صادقاً في قوله، أو هلاّ دخل في البرّ علىٰ صعوبةٍ كصعوبة إقتحام العقبة.

و قد ورد في الخبر، أنّ من أعتق رقبة أعتق اللّه عزّ وجلّ بكلّ عضوٍ منها عضواً منه.

و عن صحيح مسلم عن أبو هريرة عن النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أنّه قال من أعتق رقبةً أعتق اللّه بكلّ عضوٍ عضواً من أعضاءه من النّار إنتهىٰ و الأحاديث في مدح فكّ الرّقاب كثيرة.



١- القيامة = ٣١

و معنىٰ فكّ الرّقبة، خلاصها من الأسر، و قيل من الرّق و يحتمل أن يكون المراد به فكّ رقبته و خلاص نفسه بإجتناب المعاصي و فعل الطّاعات و لا يمنع الخير من هذا التّأويل بل هو أشبه بالصّواب.

ثالثها: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ أي مجاعة، و السَّغب الجوع و السّاغب الجائع و فى هذاالمعنىٰ قال الشّاعر:

فلو كنت جاراً يا بن قيس بنِعاصمٍ لما بتَّ شبعاناً و جارك ساغباً

و من المعلوم أنّ إطعام الطّعام فضيلة و هو مع السَّغب الّذي هو الجوع أفضل و عن النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **من موجبات الرّحمة إطعام المسلم السّغبان.**

رابعها: يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أي ذا مقربةٍ يقال فلان ذو قرابتي و ذو مقربتي و قد ورد أنّ الصَّدقة علىٰ القرابة أفضل منها علىٰ غير القرابة كما أنّ الصَّدقة علىٰ اليتيم الّذي لا كافل له أفضل منها علىٰ اليتيم الّذي يجد من يكفله و اليتيم في اللُّغة الضَّعف يقال و يتم الرّجل يتماً، إذا ضعف و ذكروا أنّ اليتيم في النّاس من قبل الأب و فى البهائم من قبل الأمّهات، و قال بعض أهل اللُّغة اليتيم الّذي مات أبواه كما قال الشّاعر:

الىٰ اللّه أشكوا فقد ليلىٰ كما شكا الىٰ اللّـه فقد الوالدين يتيم

خامسها: أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ أي لا شئ له حتّىٰ كأنّه قد لصق بالتّراب من الفقر ليس له مأوىٰ إلاّ التّراب.

و قال إبن عبّاس هو المطروح علىٰ الطّريق الّذي لا بيت له.

و قال مجاهد هو الّذي لا يقيه من التّراب لباس و لا غيره، و قيل أنّه ذو العيال، و الأقوال فيه كثيرة، و المتربة هنا من التّريب و هى شدّة الحال يقال ترب إذا إفتقر و الىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

و كنّا إذا ما الضّيف حلّ بأرضنا سفكنا دماء البدن في تربة الحال

ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ

أي أنّ ما ذكرناه من حال الإنسان ذكرنا لمن لم يؤمن بالله و رسوله فإنّ العمل لا يقبل من غير المؤمن لقوله تعالىٰ: **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّٰه مِنَ الْمُتَّقِينَ** و إنّما يقبل من الّذين آمنوا، بالله و رسوله و صدّقوا بما جاء به النّبي و نطق به الكتاب فإنّ شرط قبول الطّاعات الإيمان بالله فالإيمان بعد الإنفاق لا ينفع.

قال الله تعالىٰ في المنافقين:

وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَ بِرَسُولِهِ[١].

فعن عايشة أنّها قالت يارسول الله إنّ إبن جدعان كان في الجاهليّة يصل الرَّحم و يطعم الطّعام و يفّك العاني و يعتق الرّقاب و يحمل علىٰ إبله لله فهل ينفعه ذلك قال ﷺ: لا أنّه لم يقل يوماً ربّ أغفر لي خطيئتي يوم الدّين إنتهىٰ ذكره القرطبي في تفسيره لهذه الآية.

و فيه أنّ هذا الحديث يكذّب بعضه بعضاً و ذلك لأنّ قوله أنّه كان يصل الرَّحم و يطعم الطّعام إلىٰ قوله و يحمل علىٰ إبله لله دليل علىٰ أنّه كان مؤمناً بالله و إلاّ فلا معنىٰ لقوله، لله، أي أنّه فعل ذلك لله فإذا كان العمل لله فلم لا يقبل و مجّرد عدم تلّفظه يوماً (ربّ أغفر لي خطيئتي يوم الدّين) لا يوجبه عدم قبول عمله إذا كان لله هذا مضافاً إلىٰ أنّ الأعمال صدرت عنه قبل البعثة علىٰ ما يستفاد منه بقوله: (في عهد الجاهليّة) و الله أعلم.

و كيف كان لا شكّ أنّ الإيمان شرط في قبول الطّاعات ثمّ وصف الله تعالىٰ هؤلاء المؤمنين بأنّهم **وَ تَوَاصَوْا** أي أوصىٰ بعضهم بعضاً بالصّبر علىٰ طاعة الله و عن معاصيه و علىٰ ما أصابهم من المصائب **وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** أي أوصىٰ بعضهم بعضاً بالرَّحمة و الشَّفقة علىٰ الخلق و الإحسان إليهم فإنّهم إذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم و المسكين.

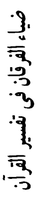


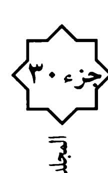
١- التّوبة = ٥٤

أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ

الّذي يؤتونت كتبهم أي صحيفة أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم و امّا **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا** و أنكروا التّوحيد و النّبوة و المعاد و بقوا علىٰ كفرهم حتّىٰ ماتوا عليه، **فَهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ**، الّذين يأخذون كتبهم بشمائلهم ثمّ حكم اللّه عليهم بأنّ **عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ** أي مطبقة مغلقة و قيل مبهمة لا يدرىٰ ما داخلها، يقال أوصدت الباب أي أغلقته فالإسم الوصاد و من قال أصدته، فالإسم الإصاد و أمّا من قرأ **مُؤْصَدَةٌ** بالهَمَزة أيضاً أراد ما قلناه لأنّ مؤصدة و موصدة لغتان.

■





سُورَةُ ٱلشَّمْسِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلشَّمْسِ وَ ضُحيٰها ﴿١﴾ وَ ٱلْقَمَرِ إِذا تَليٰها ﴿٢﴾ وَ ٱلنَّهارِ إِذا جَلّيٰها ﴿٣﴾ وَ ٱللَّيْلِ إِذا يَغْشيٰها ﴿٤﴾ وَ ٱلسَّماءِ وَ ما بَنيٰها ﴿٥﴾ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ما طَحيٰها ﴿٦﴾ وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّيٰها ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْويٰها ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّيٰها ﴿٩﴾ وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّيٰها ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْويٰهآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقيٰها ﴿١٢﴾ فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ناقَةَ ٱللَّهِ وَ سُقْيٰها ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّيٰها ﴿١٤﴾ وَ لا يَخافُ عُقْبٰها ﴿١٥﴾

◀ اللّغة

ثَمُودُ: إسم قبيلةٍ النّاقة الأنثىٰ من الإبل.
سُقْيٰها: السّقي التّعريض للشّرب.
فَعَقَرُوها: العقر قطع اللّحم بما يسيل الدَّم.
فَدَمْدَمَ: أي دمَّر.

فَسَوّٰيٰهٰا: أي جعل بعضها علىٰ مقدار بعضٍ فالتّسوية تصيير الشّئ علىٰ مقدار غيره.

◀ الإعراب

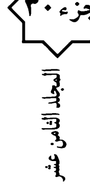
الواو الأوّل للقسم و ما بعدها عطف و إِذٰا معمول للقسم و جواب قسم، قَدْ أَفْلَحَ وَ مٰا في المواضع الثّلاثة بمعنىٰ مَنْ و قيل مصدريّة دَسّٰيٰهٰا دسّسها فأبدلت السّين الأخيرة ألفاً، لكثرة الأمثال بِطَغْوٰيٰهٰآ الطّغوىٰ فعلىٰ من الطّغيان و الواو مبدلة من ياء مثل التّقوىٰ و من قال طغوت كانت الواو أصلاً عنده و إِذٰا ظرف لكذبت نٰاقَةَ ٱللّٰهِ منصوب بمعنىٰ إحذروا وَ لٰا يَخٰافُ، بالواو و الجملة حال و الضّمير في سَوّٰيٰهٰا و عُقْبٰهٰا، للعقوبة.

◀ التّفسير

وَ ٱلشَّمْسِ وَ ضُحيٰها، وَ ٱلْقَمَرِ إِذاٰ تَليٰهاه

إعلم أنّ اللّه تعالىٰ أقسم في هذه الأيات بما يشاء و أراد و قلنا سابقاً أنّ للّه تعالىٰ إن يقسم بما يشاء من خلقه وليس للخلق أن يقسم إلاّ باللّه تعالىٰ فأقسم اللّه تعالىٰ أوّلاً بالشّمس فقال: و الشّمس، أي أقسم بالشّمس.

ثانياً: بضحيٰها أي ضوءها و إشراقها فقال: **وَ ضُحيٰهٰا** أي أقسم بضوءها فهاهنا قسمان ثمّ أقسم بالقمر ثالثاً.



وَ ٱلْقَمَرِ إِذاٰ تَليٰهٰا أي أقسم بالقمر إذا تلىٰ الشّمس و فيه إشارة إلىٰ أنّ نور القمر من الشّمس و لا نور له مع قطع النّظر عنها و بعبارةٍ أخرىٰ أنّه يتبعها في نوره زيادة و نقيصة ألا ترىٰ أنّ ضوء القمر بعد زوال ضوء الشّمس ثمّ أقسم اللّه بالنّهار.

وَ ٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّيٰهَا

أي كشفها أي كشف النّهار و قال قوم الضّمير في **جَلَّيٰهَا** للشّمس و المعنىٰ أنّه يظهر بضوءها جرمها أي جرم الشّمس في اللّيل.

فعلىٰ الأوّل: الضّمير للنّهار و على الثّاني: للشّمس و لا بأس بهما ثمّ أقسم اللّه تعالىٰ باللّيل .

وَ ٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَيٰهَا

أي يغشىٰ الشّمس، و قيل يغشىٰ الدُّنيا بالظُّلم فتظلم الأفاق و المعنىٰ أقسم بظلمة اللّيل، ثمّ أقسم بالسّماء فقال:

وَ ٱلسَّمَآءِ وَ مَا بَنَيٰهَا

أي و بنيانها و علىٰ هذا فما، مصدرّية كما قال: **بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي**[1] أي بغفران ربّي، و قيل ما، بمعنىٰ من، أي و السّماء و من بناها، و هو اللّه تعالىٰ و هو إختيار الطّبري و أكثر المفسّرين أي و من خلقها و رفعها و علىٰ هذا ففي المقام قسمان:

أحدهما: بالسّماء.

والثّاني: بالخالق الّذي خلقها.

ثمّ أنّه تعالىٰ أقسم بالأرض فقال:

وَ ٱلْأَرْضِ وَ مَا طَحَيٰهَا

فإن قلنا أنّ (ما) مصدرّية فالمعنىٰ أقسم بالأرض و طحوها، و إن قلنا بمعنىٰ (من) فالمعنىٰ أقسم بالأرض و من طحيها أي بسطها و عليه عامّة المفسّرين مثل(دحاها) و الطّحو و الدَّحو معناهما واحد و فيه دحو الأرض كما قال الشّاعر:

و ما تدري جزيمة من طحاها   و لا من ساكن العرش الرَّفيع

١- يٰس = ٢٧



ثمّ أقسم بالنّفس فقال:

وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰيٰهٰا

و الكلام في (ما) مثله في الأيتين السّابقتين من كونها مصدّرية أو بمعنىٰ من، فعلىٰ القول بأنّها مصدّرية معنىٰ الكلام أقسم بالنّفس و تسويتها.

علىٰ الثّاني: أقسم بالنّفس و من سوّاها و هو اللّه تعالىٰ كما قال: **فَإِذٰا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ**[1] فإنّه تعالىٰ كما سوَّىٰ جسم أدم سوَّىٰ نفسه و المعنىٰ خلقها وعدَّ لها، و قيل هيَّأ للنَّفخ في البدن.

فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰيٰهٰا

فالضّمير في ألهمها، للنّفس أي فألهم اللّه تعالىٰ النَّفس فجورها و تقوٰيها، أي شرّها و خيرها، قيل معناه عرَّفها فجورها و تقوٰيها، أي عرَّفها طريق الفجور و طريق التّقوىٰ.

و قال إبن عبّاس عرَّفها الطّاعة و المعصية.

و قال محمّد بن كعب إذا أراد اللّه بعبده خيراً ألهمه الخير فعمل به و إذا أراد به السُّوء ألهمه الشرّ فعمل به.

و قال الفّراء هو كقوله: **وَ هَدَيْنٰاهُ اَلنَّجْدَيْنِ**[2].

و قال الأخر، ألهم المؤمن المتّقي تقواه و ألهم الفاجر فجوره و أمثال ذلك من الأقوال كثيرة و أنت ترىٰ أنّ هذه الأقوال تفوح منها شائبة الجبر إلاّ قول من قال عرَّفها طريق الفجور و طريق التّقوىٰ، إلاّ أنّ المفسّرين لم ينسبوا طريق الإلهام و أنّه تعالىٰ كيف عرَّفها ذلك فإن كان مرادهم بالإلهام الإلقاء في النّفس من جانب خالقها فهو الجبر لأنّ إلقاء الفجور ليعمل العبد به عين الجبر و هو الظُّلم علىٰ العبد.

١- الحجر = ٢٩ ٢- البلد = ١٠

و الحقّ أن يقال أنّ اللّه تعالىٰ عرَّف النّفس فجورها و تقويٰها، ببركة العقل و الشَّرع و ذلك لأنّ بعض الفجور ممّا يحكم بقبحه العقل قبل الشّرع و قد يعبّر عنه بالمستقلاّت العقّلية كالخيانة و الكذب و الظُّلم و التَّصرف في مال الغير بدون إذن صاحبه و أمثال ذلك و بعضٌ أخر منها يحكم به الّشرع مثل الرّبا و النَّظر إلىٰ الأجنبيّة و أمثال ذلك ما نهىٰ عنه الشّرع المقدّس و لا سبيل لحكم العقل إليه، و هكذا الكلام في الطُّرق الموصلة إلىٰ التّقوىٰ فكلّ ما يحكم العقل بحسنه طريق التّقوىٰ مثل العدالة و حفظ الأمانة و الصّداقة و أمثالها حتّىٰ التّوحيد و النّبوة و المعاد و لعلّ هذا هو المراد بقولهم، كلّما حكم به العقل حكم به الشّرع فإنّ المراد بالعقل هو العقل السّليم لا العقول المشوبة بالأوهام و الخيالات بل نقول الأحكام الشّرعية لا ينكرها العقل السّليم فإنّ اللّه تعالىٰ لا يحكم علىٰ خلاف العقل قطعاً فكلّ ما حكم به الشّرع حكم به العقل أيضاً إذا عرفت هذا فإعلم أنّ اللّه تعالىٰ لمّا خلق النّفس للإنسان أيّده بالعقل فإنّ العقل من شئون النّفس فالنّفس التّي لا عقل لها خارج عن موضوع البحث فلا إلهام لها أصلاً و ذلك كالمجنون الّذي لا عقل له، فلا تكليف له، فالمراد بالنّفس في الآية ليس مطلق النّفس بل المراد بها النّفس التّي لها عقل و هذا واضح لمن تأمّل فيه فقوله تعالىٰ: **فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰيهٰا** معناه ألهمها فجورها و تقويٰها بالعقل و الشَّرع و إنّما قدَّم الفجور في الآية علىٰ التّقوىٰ لأنّ النّفس الأمّارة بالسُّوء بالفجور أقرب منها إلىٰ التّقوىٰ و يحتمل أن يكون الوجه في تقديم الفجور أنّ الأشياء تعرف بأضدادها فمن لم يعرف الفجور لم يعرف التّقوىٰ و بعبارةٍ أخرىٰ معرفة الفجور و تركها هو التّقوىٰ و لا نعني بالتّقوىٰ إلاّ معرفة الفجور و تركها هذا ما خطر ببالي في معنىٰ الآية و اللّه أعلم.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّيٰهٰا

هذا جواب القسم واللاّم مقدّرة و تقديره لقد أفلح من زكّاها.

قال الزّجاج، اللاّم حذفت لأنّ الكلام طال فصار طوله عوضاً منها.

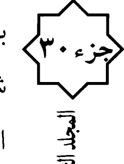
و قيل الجواب محذوف أي و الشّمس و كذا وكذا لتُبعثن.

و قال صاحب الكشّاف فإن قلت، فأين جواب القسم.

قلت هو محذوف تقديره، ليدمدمّن اللّه عليهم أي علىٰ أهل مكّة لتكذيبهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما دمدم علىٰ ثمود لأنّهم كذّبوا صالحاً إنتهىٰ كلامه.

أقول ما ذكره صاحب الكشّاف في جواب القسم لا يرجع إلىٰ محصّلٍ و الدّليل علىٰ ذلك أنّ اللّه تعالىٰ لم يدمدم علىٰ أهل مكّة مع تكذيبهم للرّسول فلو كان التّكذيب علّة للعذاب كما زعمه الزّمخشري فلا شكّ أنّه أي التّكذيب قد حصل منهم، ثمّ أنّه كيف يعقل أنّ اللّه أقسم بما أقسم ليدمدم علىٰ أهل مكّة ولم يدمدم عليهم فما معنىٰ القسم مع أنّهم كذّبوا رسول اللّه هذا كلّه مضافاً إلىٰ أنّ العذاب في الدّنيا لو كان معلولاً للتّكذيب فقط لنزل العذاب علىٰ جميع الأمم إذ ما من أمّةٍ إلاّ و أنّها كذّبت رسولها ولم ينزل العذاب عليهم.

و الحقّ أنّ جواب القسم ما ذكره المشهور و هو قوله: **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰيهٰا** و المعنىٰ أقسم بالشّمس و كذا و كذا، قد أفلح، أي سعد و فاز **مَنْ زَكّٰيهٰا** أي زكّىٰ نفسه و طهّرها من الأرجاس كالبخل و الحسد و الكبر و في رأسها الكفر باللّه و بالجملة زكّىٰ نفسه عن العيوب النّفسانية الخلقيّة و هذا حكمٌ كلّيٌ شاملٌ لجميع النّاس و لا ربط لها بقصّة عاد و ثمود و أمثالها فقط و ذلك لأنّ النّفس في كلّ إنسانٍ قبل التّزكية منشأ الشّرور و الأفات، كما أنّها بعدها منشأ الخيرات و الحسنات و هذا الحكم عقليٌ لا يختّص بقومٍ دون قوم و لا بشخصٍ دون شخصٍ و لا بزمانٍ دون زمانٍ بل هو موعظة من الخالق لجميع خلقه في جميع الأعصار، و لذلك قال بعد هذه الآية.



وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰيٰهٰا

أي خسرت نفسٌ دسَّيٰها في معصية اللّه و الدَّسّ من التّدسيس و هو إخفاء الشّئ في الشّئ أي دسَّ نفسٌ في جملة الصّالحين و ليست منهم و بعبارةٍ أخرىٰ أخفىٰ ما فيها من العيوب النّفسانية، و قيل معناه، خاب أي ضلَّ من دسَّيٰها بالمعصية لما قلنا أنّها قبل التَّزكية منشأ الأفات و الخسران في الدّنيا و الأخرة و هو واضح.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰيٰهٰآ، إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقٰيٰهٰا

ثمود بفتح الثّاء و ضمّ الميم قيل هو عجَّميٌ و قيل هو عربي وترك صرفه لكونه إسم قبيلةٍ و هو فعولٌ من الثَّمد و هو الماء القليل الّذي لا مادّة له و منه قيل فلانٌ ثمدته النّساء أي قطعت مادّة ماءه لكثرة غشيانه لهنَّ و مثمود إذا كثر عليه السّؤال حتّىٰ فقد مادّة ماله، ثمّ أنّهم كانوا بوادي القرىٰ بين المدينة و الشّام و قد أرسل اللّه تعالىٰ إليهم صالح النّبي و كان قوم ثمود في العدد كالذّر و الحصىٰ و فى الغنىٰ و الثَّروة و طول الأعمار أكثر ما يكون و كانوا يبنون في السّهول قصوراً عالية مزخرفة و ينحتون الجبال بيوتاً لأيّام شتاءهم و قد ذكرنا قصّتهم في سورة الأعراف و سورة هود فلا نحتاج إلىٰ ذكرها في المقام و قلنا هناك أنّهم عقروا النّاقة فأنزل اللّه عليهم العذاب و لنرجع إلىٰ تفسير ألفاظ الآية فقوله تعالىٰ: **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰيٰهٰآ**.

قال إبن عبّاس يعني بعذاب الطّاغية، و قال مجاهد بمعصيتها.

و قيل بطغويٰها أي بطغيانها و هو خروجها عن الحدّ في العصيان، و قيل كان إسم عذابها الّذي جاءها، الطّغوىٰ، لأنّه طغى عليها.

و قال محمّد بن كعب بطغوايٰها أي بأجمعها.

أقول الحقّ أنّ الطّغوىٰ إسمٌ من الطّغيان ففي قوله: **بِطَغْوٰيٰهَآ** إشارة إلىٰ أنّ قوم صالح إذا خوَّفهم صالح النّبي بعقوبة طغيانهم لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه فهم كذَّبوا النّبي بطغيان نفوسهم.

إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقٰيٰهَا أي إذا نهض و قام أشقاها أي أشقىٰ قوم ثمود أو أشقىٰ النّفوس لعقر النّاقة و إسمه قدار بن سالف و هو أشقىٰ الأوّلين كما أنّ عبدالرّحمٰن بن ملجم أشقى الأخرين و قد أذعن بذلك القرطبي أيضاً في تفسيره لهذه الآية حيث قال:

أنّ النّبي قال لعلّي عليه السلام أتدري من أشَقىٰ الأوّلين قال اللّه و رسوله أعلم قال صلى الله عليه وآله وسلم عاقر النّاقة، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم أتدري من أشقىٰ الأخرين، قال علّي، اللّه و رسوله أعلم، قال صلى الله عليه وآله وسلم قاتلك إنتهىٰ.

ثمّ أنّ المشهور من الأخبار أنّهم كانوا تسعة توافقوا بأجمعهم علىٰ عقر النّاقة و كان في رأسهم قدار بن سالف فتواعدوا علىٰ ذلك عند صدور النّاقة لشرب الماء فلمّا كان اليوم الموعود خرج التِّسعة جميعاً و رصدوا النّاقة فكمنوا في أصل صخرةٍ علىٰ طريقها و لمّا رجعت النّاقة من شرب الماء قتلوها و نحروها و جعلوا بسيوفهم ضربوها حتّىٰ قطَّعوها و كان فصيلها معها فلمّا رأىٰ ما فعل بأمّه هرب حتّىٰ صعد الجبل و رفع رأسه إلىٰ السّماء فزعاً ثلاث مرّات ولم يقبلوا قول نبيّهم في ذلك كما حكىٰ اللّه تعالىٰ عنهم و قال:

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللّٰهِ وهو صالح **نٰاقَةَ ٱللّٰهِ وَ سُقْيٰهَا**

و تقديره فأحذروا ناقة اللّه و سقيٰها، فالسّقاء الحظّ من الماء و هو النَّصيب منه كما قال تعالىٰ: **لَهٰا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**[١].

١- الشُّعراء = ١٥٥

فكذّبوه، أي كذّبوا صالح النّبي **فَعَقَرُوهٰا** أي عقروا النّاقة كما مرَّ ثُمّ أنّهم لم يقنعوا بقتلها بل أكلوا لحمها بأجمعهم و كان ذلك ليلة أربعاء فأوحىٰ اللّـه إلىٰ صالح أنّ قومك قد طغوا و بغوا و قتلوا النّاقة التّي جعلتها حجّة عليهم فإن تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و إن لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث فأقبل صالح علىٰ قومه مغضباً و قال يا قوم ما دعاكم إلىٰ ما صنعتم إلىٰ أن قال إنّي رسول اللّه إليكم و هو تعالىٰ يقول إن تبتم و رجعتم، و إستغفرت غفرت لكم و تبت عليكم و إلاّ بعثت عليكم عذابي في اليوم الثّالث فلم يزداد القوم في جوابه إلاّ خبثاً وإنكاراً كما حكىٰ اللّه عنهم بقوله: **وَ قالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا**[١] فلمّا كان اليوم الأوّل أصبحوا و وجوههم مصفرّة.

في اليوم الثّاني: أصبحوا و قد إحمرّت وجوههم و فى اليوم الثّالث أصبحوا و وجوههم مسودّة مثل الزّفت ثمّ لمّا كان موعد العذاب من اللّيلة الرّابعة و كان صالح قد خرج و من معه من المؤمنين من بينهم نزل علىٰ القوم جبرائيل بأمر الملك الجليل و صرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم و هلكوا بأجمعهم بأقل من طرفة عينٍ ولم يبق منهم و لا من مواشيهم و أنعامهم مُنفِّس و أصبحوا في ديارهم موتىٰ ثمّ أرسل اللّـه تعالىٰ عليهم بعد الهلاك ناراً من السّماء فأحرقتهم أجمعين ولم يترك منهم أثراً:

قال اللّه تعالىٰ: **فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دارِهِمْ جاثِمينَ**[٢].

و هذا هو العذاب الّذي أشار إليه في هذا المقام بقوله: **فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّٰيهٰا** أي سوّىٰ عليهم الأرض.

و قيل أي جعل بعضها علىٰ مقدار بعضٍ في الإندكاك و اللُّصوق بالأرض فالتّسوية تصيير الشّئ علىٰ مقدار غيره.

١- الاعراف = ٧٧ ٢- الاعراف = ٧٨

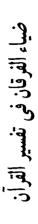
وَ لٰا يَخٰافُ عُقْبٰاهٰا

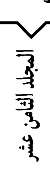
قيل معناه لا يخاف اللّه تعالىٰ الدَّمدمة.

و قيل معناه لم يخف الّذي عقرها عقبيٰها، أي عاقبة الدَّمدمة أو عقبىٰ ما صنع و معنىٰ الدَّمدم، دمَّر، أي دمَّر عليها ربّهم العذاب بسبب ذنبهم.

و قرأ نافع و إبن عامر، فلا يخاف، **بالفاء** و الباقون، و لا يخاف **بالواو** فمن قرأ بالفاء فللعطف علىٰ قوله: **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهٰا** أي فكذّبوه فلم يخافوا عقبيها، و من قرأ **بالواو** جعل الجملة في موضع الحال و تقدير الكلام فسَّواها غير خائفٍ عقبيٰها.

■





سُورَةُ ٱللَّيْلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱللَّيْلِ إِذاٰ يَغْشىٰ ﴿١﴾ وَ ٱلنَّهاٰرِ إِذاٰ تَجَلّىٰ ﴿٢﴾ وَ ماٰ خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنْثىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمّاٰ مَنْ أَعْطىٰ وَ ٱتَّقىٰ ﴿٥﴾ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ ﴿٧﴾ وَ أَمّاٰ مَنْ بَخِلَ وَ ٱسْتَغْنىٰ ﴿٨﴾ وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ ﴿١٠﴾ وَ ماٰ يُغْنِي عَنْهُ ماٰلُهُۥٓ إِذاٰ تَرَدّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْناٰ لَلْهُدىٰ ﴿١٢﴾ وَ إِنَّ لَناٰ لَلْاٰخِرَةَ وَ ٱلْأُولىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ ناٰرًا تَلَظّىٰ ﴿١٤﴾ لاٰ يَصْليٰهآٰ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰ ﴿١٦﴾ وَ سَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤْتِي ماٰلَهُ يَتَزَكّىٰ ﴿١٨﴾ وَ ماٰ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغآٰءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلىٰ ﴿٢٠﴾ وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ ﴿٢١﴾



◀ اللّغة

الواو للقسم.

يَغْشىٰ: أي يغطّىٰ، إذا تجَلىٰ، التَّجلية الإنكشاف.

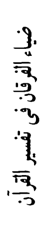
لَشَتّىٰ: أي مُختلف و معينٰ.
شَتّىٰ: متفرِّقٌ.
لِلْيُسْرىٰ: اليسر السَّهل.
لِلْعُسْرىٰ: العسر المشّقة و الصُّعوبة.
تَرَدّىٰٓ: الرَّدي السُّقوط أي إذا سقط في جهنّم.
تَلَظّىٰ: أي تلهَّب و تتوقَّد.
لاٰ يَصْليٰهآٰ: الصَّلي الإيقاد أي لا يوقدها إلاّ الأشقىٰ.

◀ الإعراب

وَ مٰا خَلَقَ ما، بمعنىٰ (من) أو مصدَّرية.

فعلىٰ الأوّل: من، كناية عن اللّه عزّ وجلّ ٱلذَّ كَرَ مفعول وَ مٰا يُغْنِي ما نافية، أو إستّفهامية إِلَّا ٱبْتِغٰآءَ إستثناء من غير جنس، و التّقدير لكن فعل ذلك إبتغاء وجه ربّه.

◀ التّفسير



وَ ٱللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ

أي أقسم باللّيل إذا غشيه الظّلام، ثمّ أقسم اللّه ثانياً بقوله:

وَ ٱلنَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّىٰ

أي أقسم بالنّهار إذا إنكشف و وضح و ظهر للأبصار لما فيه من الإعتبار.

وَ مٰا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنْثىٰٓ

أي أقسم بمن خلق الذَّكر و الأنثىٰ و هو اللّه تعالىٰ، و أمّا علىٰ أنّها مصدرية فالمعنىٰ أقسم بخلق اللّه و قيل المراد بها هو أدم و حوّاء، أي أقسم بهما.

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ

هذا جواب القسم أي أقسم باللّيل و كذا و كذا **إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ** أي لمختلفٌ فإنّ سعي المؤمن بخلاف سعي الكافر و الفاسق و قوله: **لَشَتَّىٰ** أي لمختلف.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَ ٱتَّقَىٰ، وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ

أي فأمّا من أعطىٰ حقّ اللّه **وٱتَّقَىٰ**، محارم اللّه **وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ** قال إبن عبّاس يعني صدَّق بالخلف، و قيل بالجنَّة، و قيل بلا إله إلاّ اللّه و قيل غير ذلك و الأحسن أن يقال معناه، صدَّق بكلّ ما إتّصف بالحسن عقلاً و شرعاً من التّوحيد و النّبوة و المعاد و جميع ما أمر اللّه به فأنّ اللّه تعالىٰ لا يأمر إلاّ بالحسن و أمّا القبح فلا يأمر به بل ينهىٰ عنه و بعبارةٍ أخرىٰ كلّ ما أمر به الشّرع فهو حسن أو من كان كذلك.

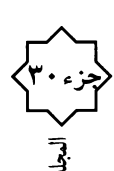
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ

يعني يسهِّل عليه الأمر فالتَّيسير تسهيل الأمر و مثله التَّخفيف و نقيض التَّيسير التَّعسير كما قال تعالىٰ:

وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ ٱسْتَغْنَىٰ، وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ

و المعنىٰ من ضنَّ بما عنده ولم يبذل فيه في طريق الخير، **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** يعني طريق النّار و العذاب يوم القيامة و العسر المشقّة.

قال بعض المفسّرين الأولىٰ أن تكون الإتيان علىٰ عمومها في كلّ من يعطي حقّ اللّه و كلّ من يمنع حقّه لأنّه ليس هاهنا دليلٌ قاطع علىٰ أنّ المختصّ بها الإنسان بعينه و قد روي أنّها نزلت في أبي الدَّحداح الأنصاري و سمرة بن جندب و فى ذلك قصّته معروفة إنتهىٰ.



أقول ما ذكره حقّ لا مرية فيه و ذلك لما قلنا مراراً أنّ خصوصيّة المورد لا تنافي عموم الحكم هذا مضافاً إلىٰ أنّه لا دليل علىٰ نزول الآية فيما ذكروه.

وَ مٰا يُغْنِي عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰى

قيل يعني تردّىٰ في نار جهنّم، معنىٰ تردّىٰ، مات يقال ردى الرّجل يـردىٰ، إذا هلك كما قال الشّاعر:

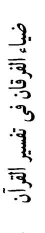
صرفت الهوىٰ عنهنّ من خشية الرّدىٰ

و قيل التَّردي السُّقوط و منه المتردّية، إذا سقط في بئر أو تهوَّىٰ من جبلٍ.

إِنَّ عَلَيْنٰا لَلْهُدىٰ

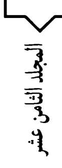
أي إنّ علينا أن نبيِّن طريق الهدىٰ من طريق الضّلالة و قـيل المـراد بـالهدىٰ هو طريق الأحكام أي علىٰ اللّه البيان في حلاله و حرامه و طاعته و معصيته.

أقول معنىٰ الكلام ظاهرٌ لا خفاء فيه و هو أنّ اللّه تعالىٰ يهدي إلىٰ الحقّ فهو كقوله: **إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ اَلسَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِرًا وَ إِمّٰا كَفُورًا**[۱] فالآية رَدٌّ علىٰ المجبرة.



وَ إِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَةَ وَ اَلْأُولىٰ

أي الدُّنيا و الأخرة و الوجه فيه واضح فإنّ الخالق هو المالك لخلقه لا غيره و من المعلوم أنّ اللّه خلقهما فهو المالك لهما.



فَأَنْذَرْتُكُمْ نٰارًا تَلَظّٰى

الإنـذار التّخويف و فى الكـلام وعيدٌ للـمكلَّفين يـقول إنّـي خـوَّفتكم المعاصي التّي تؤدّيكم إلىٰ النّار التّي تلتهب و تتوقّد، و لظىٰ إسـمٌ مـن أسـماء جهنَّم و الإنذار من اللّه تعالىٰ يكون بواسـطة الأنـبياء كـما قـال تـعالىٰ مـخاطباً

۱- الانسان = ۳

لرسوله: **إِنَّمَآ أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ**[١] وقوله: **يآ أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْـذِرْ**[٢] و الأيات كثيرة.

لاٰ يَصْليٰهآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى، ٱلَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰ

الصَّلي الإيقاد و المعنىٰ أنذرتكم ناراً تلتهب لا يوقدها إلاّ الأشقى، أي من سلك طريق الشّقاوة، الّذي كذّب النّبي و تولّىٰ، أي أعرض عنه و فى الآية إشارة إلىٰ أنّ موقد النّار في جهنّم في الحقيقة هو الإنسان بواسطة أعماله.

و قال الفّراء المراد بالأشقىٰ، من كان شقيّاً في علم اللّه.

و قال إبن عبّاس المراد به أمّية بن خلف و أمثاله من المكذّبين للنّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأقوال كثيرة لا فائدة في نقلها و التّعرض لها لوضوح معنىٰ الأشقىٰ.

وَ سَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى، ٱلَّذِي يُؤْتِي مٰالَهُ يَتَزَكّىٰ

أي سيبعد من هذه النّار من كان إتّقى اللّه بإجتناب المعاصي و فعل الطّاعات الّذي يؤتي ماله في سبيل الحقّ **يَتَزَكّىٰ** أي يريد بذلك طهارة نفسه فالأتقىٰ يصير في جانب الجنّة و الأشقىٰ في جانب النّار.

قال صاحب الكشّاف الآية واردةٌ في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين و عظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفيتهما المتناقضتين فقيل الأشقىٰ و جعل مختصّاً بالصَّلي كأنّ النّار لم تخلق إلاّ له و قيل الأتقىٰ و جعل مختصّاً بالنّجاة كأنّ الجنّة لم تخلق إلاّ له و قيل هما أبو جهل أو أمّية بن خلف، و أبوبكر **يَتَزَكّىٰ** من الزّكاة أي يطلب أن يكون عند اللّه زاكياً لا يريد به رياء ولا سمعة إنتهىٰ.

أقول الإتيان علىٰ عمومها في حقّ كلّ إنسانٍ و لا دليل علىٰ التّخصيص فيهما أصلاً مضافاً إلىٰ أنّ أبابكر لم يكن له مال و أنّما هو و أبوه أبوقحافة كانا

١- الرعّد = ٧ ٢- المدّثر = ١ و ٢

من المساكين و الفقراء في الطّائف و مكّة بشهادة التّواريخ و كان علىٰ صاحب الكشّاف أن يثبت له فضيلةً أخرىٰ غير ما ذكره في المقام.

وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزىٰ

ما نافية و المعنىٰ أنّ الأتقىٰ الّذي يؤتي ماله ليس يتَّصدق ليجازىٰ علىٰ نعمةٍ بل هو يطلب بإنفاقه و تصَّدقه وجه ربّه الأعلىٰ أي يتصدَّق قربةً إلىٰ اللّه و بعبارةٍ أخرىٰ ليس لأحدٍ حقّاً عليه إلاّ اللّه تعالىٰ و فيه إشارة إلىٰ خلوص نيّة المتصدّق و تجنُّبه عن الرّياء و السُّمعة.

وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ

أي و لسوف يرضىٰ هذا المتصدِّق يوم القيامة بما فعله من التَّصدق و الإنفاق خالصاً لوجه اللّه بما يعطيه اللّه من الثّواب علىٰ ذلك.

■





سورة الضحى

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلضُّحٰى ﴿١﴾ وَ ٱللَّيْلِ إِذٰا سَجٰى ﴿٢﴾ مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مٰا قَلٰى ﴿٣﴾ وَ لَلْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولٰى ﴿٤﴾ وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضٰى ﴿٥﴾ أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوىٰ ﴿٦﴾ وَ وَجَدَكَ ضٰالًّا فَهَدٰى ﴿٧﴾ وَ وَجَدَكَ عٰائِلًا فَأَغْنٰى ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلٰا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَ أَمَّا ٱلسّٰائِلَ فَلٰا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَ أَمّٰا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

◄ اللّغة

الواو للقسم.

وَدَّعَكَ: جواب القسم، و التَّوديع التَّرك يقال هو يدع كذا أي يتركه.

وَ مٰا قَلٰى: القالي المبغض يقال، قلاه، يقلاه قلاً إذا أبغضه.

فَاٰوىٰ: أي جعل لك مأوىٰ ترجع اليه فالمأوىٰ المكان.

عٰائِلًا: فالعائل الفقير الّذي لا مال له و هو ذو العيلة يقال، عال يعيل عيلةً إذا كثر عياله و إفتقر.

فَلٰا تَنْهَرْ: فالإنتهار هو الصّياح في وجه الطّالب السّائل يقال نهره و إنتهر بمعنىٰ واحد و هو متّوجه الىٰ جميع المكلّفين.

فَحَدِّثْ: أي إذكر نعم اللّه و أظهرها.

◀ الإعراب

مٰا وَدَّعَكَ بالتّشديد من التّوديع و قد قرئ بالتّخفيف و هى لغةٌ قليلة وَ مٰا قَلىٰ الألف مبدّلة عن ياءٍ لقولهم قليته و المفعول محذوف أي و ما قلاك و كذلك فَآوىٰ، فَهَدىٰ، فَأَغْنىٰ و اَلْيَتِيمَ منصوبٌ بالفعل بعده و كذلك اَلسّٰائِلَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ متعلق بقوله فَحَدِّثْ و لا تمنع الفاء من ذلك لأنّها كالزّائدة.

◀ التّفسير

وَ اَلضُّحىٰ، وَ اَللَّيْلِ إِذٰا سَجىٰ

أي أقسم بالضحىٰ و هو صدر النّهار و أقسم باللّيل إذا سجىٰ، أي إذا غشي بظلامه.

و قال قتادة معنىٰ سَجىٰ سكن و هذا من قولهم بحرٌ ساج أي ساكن قول الأعشىٰ حيث قال:

فما ذنبنا إن جائش بحر إبن عمكم   و بحرك ساجٍ ما يواري الدّعا مضا

يا حبّذا القمراء و اللّيل السّاج   و طرقٌ مثل ملاء النسّاج

و قال الأصمعي سجى اللّيل تغطية النّهار مثل ما يسجّىٰ الرّجل بالثّوب، و قال الحسن، غشي بظلامه و الأقوال ترجع الىٰ معنىٰ واحد.

مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مٰا قَلىٰ

هذا جواب القسم و المعنىٰ ما تركك ربّك أبغضك قال بعض المفسّرين كان جبرئيل أبطأ علىٰ النّبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال المشركون قلاه اللّه و ودّعه فنزلت الآية و عن إبن جريح، أحبس عنه الوحي إثني عشر يوماً و عن إبن عبّاس، خمسة عشر يوماً و قيل خمس و عشرين يوماً و قال مقاتل أربعين يوماً فقال

المشركون أنّ محمداً ودَّعه ربّه و قلاه ولو كان أمره الىٰ اللّه لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان من قبله من الأنبياء.

فى تفسير عليّ بن إبراهيم أنّه قال و فى رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله: مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مٰا قَلٰى وذلك أنّ جبرئيل أبطأ عن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقالت خديجة لعلَّ ربّك قد تركك فلا يرسل اليك فأنزل اللّه تبارك و تعالىٰ: مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مٰا قَلٰى إنتهىٰ.

و قد قلنا في شرح اللُّغات أنّ بعضهم قرأ **وَدَّعَكَ** بالتّخفيف و أكثر القرّاء بالتّشديد و المعنىٰ واحد و قوله: **وَ مٰا قَلٰى**، أي ما أبغضك ربّك فلا وجه لتركك.

وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ ٱلْأُولٰى

أي من الدُّنيا و لذلك سمّيت الأخرة بها لأنها بعد الدُّنيا ثمّ إنّ الخطاب للنّبي حيث قال، خيرٌ لك، مع أنّها خيرٌ من الدُّنيا في ذاتها لأنّها باقية و الدُّنيا فانية و الباقي خيرٌ من الفاني.

ثانياً: أنّ الدُّنيا دارٌ بالبلاء محفوفة و بالغدر معروفة و الأخرة ليست كذلك.

ثالثاً: أنّ نعم الدُّنيا محفوفة بالهموم و الأفات بخلاف نعم الأخرة و إذا كان كذلك فالأخرة خيرٌ من الدُّنيا فما وجه تخصيص الخيريّة بالنّبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و لم يقل و للأخرة خيرٌ من الأولى.

أقول أمّا أوّلاً قد ثبت في العلوم العقليّة أنّ إثبات الشّئ لا ينفي ما عداه فقوله: **وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ** و للأخرة خيرٌ لك، ليس معناه أنّها ليس خيراً لغيرك كما تقول لزيد مثلاً، الإنفاق في سبيل اللّه خيرٌ لك من عدمه، ليس معناه أنّ الإنفاق من عمرو مثلاً لا يكون خيراً له دائماً غرض المتكلم من هذا الكلام إثباته للمخاطب لا نفيه من غيره و هذا واضح.

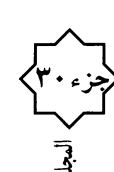
ثانياً: نقول لعلّ في ذكره تعالىٰ: **لَكَ** و إختصاص الغير بهﷺ إشارة الىٰ نقطةٍ خفيّة و هى أنّ الأخرة خيرٌ لك ولمن تبعك لا الجميع النّاس فإنّ الكافر و الفاسق و كلّ من خالفك في دينك فالأخرة شرٌّ له و الدُّنيا خيرٌ له فقوله: **لَكَ** ليس المراد به الشّخص مع قطع النّظر عن الرّسالة بل المراد به الرّسول المعلوم أنّ من تابع الرّسول قولاً و فعلاً فهو منه لقوله: **فمن تبعني فهو منّي**، و إذا كان كذلك فالمعنىٰ، لك و من تابعك، فالخطاب للنّبي و المراد به كلّ من آمن باللّه و رسوله لوجود الملاك في الكلّ و هو الإيمان و أمّا غير المؤمن فلا تكون الأخرة له خيرٌ من الدُّنيا بل الأمر بالعكس و الدّليل عليه قوله:ﷺ **الدُّنيا سجن المؤمن و جنّة الكافر** فثبت و تحقّق أنّ الأخرة خيرٌ من الأولىٰ للمؤمن لا للكافر و هذا لا ينافي أن يكون الأخرة في حدّ نفسها خيراً من الدُّنيا و ذلك كما أن المال خيرٌ من عدمه في حدّ نفسه أمّا إذا أضيف الىٰ الأشخاص قد يكون خيراً و قد يكون شرّاً و هكذا العلم فأنّه خيرٌ في نفسه و شرٌّ إذا كان في غير أهله فهو خيرٌ بالذّات و شرٌّ بالعرض.

وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ

قال المفسّرون معناه أنّ اللّه وعد نبيّه أن يعطيه يوم القيامة من النَّعيم و الثّواب ما يرضاه به و لا يبعد أن يكون المراد إعطاء الشّفاعة لأمّته.

فقد ورد عن الصّادق عليه السلام أنّه قال رضا جدّي أنّ لا يبقىٰ في النّار موحّد، و لعلَّ هذا هو المقام المحمود الّذي أشار اللّه تعالىٰ اليه بقوله: عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا[1].

و قد نقل في كتاب المناقب عن تفسير الثّعلبي عن جعفر بن محمّدﷺ **مضافاً و عن تفسير القشيري عن جابر الأنصاري أنّه قال رأىٰ النّبي**ﷺ **فاطمة** عليها السلام**، و عليها كساء من أجلة الأبل و**



١- الإسراء = ٧٩

هي تطحن بيديها و ترضع ولدها فدمعت عينا رسول اللّه فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدُّنيا بحلاوة الأخرة فقالت يا رسول اللّه الحمد لِه علىٰ نعمائه و الشُّكر للّه علىٰ آلاءه فأنزل اللّه تعالىٰ: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ إنتهى.

و روىٰ حريث بن شريح عن محمّد بن علّي إبن الحنَّفية أنّه قال يا أهل العراق تزعمون أنّ أرجىٰ آيةٍ في كتاب اللّه عزّ وجلّ يٰا عِبٰادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنْفُسِهِمْ و إنّا أهل البيت نقول أرجىٰ آيةٍ في كتاب اللّه: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ وهي و اللّه الشّفاعة ليعطينّها في أهل لا إلٰه إلاّ اللّه حتّىٰ يقول ربِّ رضيت إنتهىٰ.

و قد مضىٰ الكلام في الشّفاعة مفصّلاً.

أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوىٰ، وَ وَجَدَكَ ضَاۤلًّا فَهَدٰى، وَ وَجَدَكَ عَاۤئِلًا فَأَغْنٰى

الإستفهام في قوله: أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوىٰ للإنكار و الإتيان بعدها معطوفتان عليها و الواو فيهما للعطف و تقدير الكلام أَ لَمْ يَجِدْكَ ضَاۤلًّا فَهَدٰى أي وجدك ضّالاً، و ألم يجدك عائلاً فأغنىٰ، أي وجدك عائلاً فأغنىٰ، ففي هذه الأيات قد عدَّ اللّه تعالىٰ علىٰ نبّيه أصول النِّعم الّتي أنعم اللّه بها عليه و إنمّا ذكرها اللّه تعالىٰ لإثبات قوله: مٰا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مٰا قَلٰى و هذه الأصول ثلاثة:

أحدها: قوله أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوىٰ أي وجدك يتيماً، و ذلك لأنّ أباه عبد اللّه بن عبد المطّلب مات قبل ولادة النّبي علىٰ المشهور و مات أمّه آمنة بنت وهب و له أربع سنين أو أقلّ أو أكثر علىٰ إختلاف فيه فآواه جدّه عبد المطّلب و مات جدّه و هو إبن ستّ سنين فآواه عمّه أبوطالب بوصّيةٍ من جدّه عبد المطّلب و بقىٰ مع عمّه الىٰ أن تزوّج بخديجة بنت خويلد و علىٰ هذا فكان مع عمّه أكثر من ممّا كان مع أمّه و جدّه و من المعلوم وجود المصلحة فيه.

و قد روي القرطبي عن الصّادق عليه السلام أنّه سئل عنه فقال عليه السلام: **لئلا يكون لمخلوق عليه حقّ** هذا ما ذكره في تفسيره و اللّه أعلم بحقيقة الحال و الّذي عليه إجماع المسلمين هو أنه صلى الله عليه و آله و سلم كان يتيماً و أمّا الوجه فيه فاللّه أعلم و كيف كان لا شكّ أنّ اللّه تعالىٰ سخّر قلب جدّه و عمّه للإشفاق عليه و الحنين علىٰ حفظه و مراعاته لأنّ اللّه تعالىٰ إذا أراد بعبدٍ خيراً هيأ له أسبابه، و هذا دليل علىٰ أنّ ربّه ما ودّعه ثمّ أشار اللّه تعالىٰ الىٰ ما أمتنّ علىٰ نبيّه ثانياً فقال: **وَ وَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدٰى** قال بعض المفسّرين، الضّلال هنا بمعنىٰ الغفلة كقوله عزّ وجلّ: **لا يَضِلُّ رَبّى وَ لا يَنْسَى**[1] أي لا يغفل و قال في حقّ نبيّه **وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغٰافِلِينَ**[2].

و قال قوم: **ضَآلًّا** أي لم تكن تدري القرآن و الشّرائع فهداك الىٰ القرآن و شرائع الإسلام بدليل قوله تعالىٰ: **ما كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتابُ وَ لَا ٱلْايمانُ**[3].

و قال بعضهم معناه وجدك في قومٍ ضلاّل، فهداهم اللّه بك، و قيل معناه وجد قومك في ضلالٍ فهداك الىٰ إرشادهم، و قيل وجدك ضّالاً عن الهجرة فهداك اليها، و قيل وجدك طالباً للقبلة فهداك اليها و يكون الضّلال بمعنىٰ الطّلب لأنّ الضّال طالب، و قيل الضّلال بمعنىٰ التّحيُّر لأنّ الضّال متّحيرٌ، و المعنىٰ وجدك متحيراً عن بيان ما أنزل عليك فهداك اليه، و قيل الضّلال هنا بمعنىٰ الضّياع، و المعنىٰ وجدك ضائعاً في قومك فهداك و الوجوه المحتملة كثيرة و قد نقلوا أكثرها في تفاسيرهم و لكلٍّ منها وجهٌ وجيه و الّذي نقول في الباب هو أنّ الضّلالة في الآية ليس المراد بها الضّلالة في الدِّين قطعاً بإجماع الأمّة إذا عرفت هذا فنقول، الضّلال في الأصل العدول عن الطّريق المستقيم و يضادُّه الهداية و يقال الضّلال لكلّ عدولٍ عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً فإنّ الطّريق المستقيم الّذي هو المرتضىٰ صعبٌ جدّاً.

١- طه = ٥٢
٢- يُوسف = ٣
٣- الشّورىٰ = ٥٢

روي عن بعض الصّالحين أنّه رأىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال يا رسول اللّه، روي أنّك قلت **شيّبتني سورة هود و أخواتها فما الّذي شيّبتك منها فقال** صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالىٰ: **فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ**(١) و إذا كان الضّلال ترك الطّريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلاً كان أو كثيراً فصّح أن يستعمل لفظ الضّلال ممّن يكون منه خطأً فلذلك نسب الضّلال إلىٰ الأنبياء و إلىٰ الكفّار و أن كان بين الضّالين بونٌ بعيد ألا ترىٰ أنّه تعالىٰ قال في النّبي صلى الله عليه وآله وسلم **وَ وَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ** أي غير مهتدٍ لما سبق إليك من النبوة و قال في يعقوب النّبي:

إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ(٢).

و قال أولاده: **إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**(٣).

إشارة إلىٰ شغفه بيوسف و شوقه إليه.

و كذلك قوله: **قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**(٤).

و قال عن موسىٰ عليه السلام: **وَ أَنَا مِنَ ٱلضَّآلِّينَ** و علىٰ هذا فالبشر في حدّ نفسه لا يخلو عن الإعوجاج عن الطّريق المستقيم قلَّ أو كثر لولا هداية ربّه لأنّ المشي علىٰ الطّريق المستقيم بدون الهداية من اللّه و توفيقه صعبٌ جدّاً بل محال لوجود النّقص الإمكاني فيه فإنّ النّاقص ذاتاً ناقصٌ في صفاته أيضاً فإنّ الصّفات من توابع الذّات من جهة النّقص و الكمال و كيف يعقل أن يكون الممكن الّذي من ذاته أن يكون ليساً و من علّته أن يكون أيساً، أي موجوداً، إن لا يكون في حدّ ذاته كاملاً من جميع الجهات فالأنبياء عليهم السّلام و أن كانوا من أفضل الخلق و أشرفهم و أكملهم بالنّسبة إلىٰ غيرهم إلاّ أنّ ذلك كان بتوفيق اللّه و هدايته لا أنّهم كانوا كذلك من قبل أنفسهم، فصحّ نسبة الضّلال إليهم بإعتبار أنفسهم قبل هداية اللّه إيّاهم إلىٰ الطّريق المستقيم و هذا ممّا لا إشكال فيه شرعاً و عقلاً.

١- هود = ١١٢ ٢- يوسف = ٩٥
٣- يوسف = ٨ ٤- يوسف = ٣٠

قال بعض أهل التّحقيق الضّلال من وجهٍ أخر ضربان:

ضلالٌ في العلوم العقليّة النّظرية كالضّلال في معرفة اللّه و وحدانيّته و معرفة النّبوة و المعاد و غيرها و هو المعبّر عنه بالضّلال البعيد في قوله تعالىٰ: **وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَ مَلاٰئِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً بَعِيدًا**[١].

الثّاني: الضّلال في العلوم العمليّة كمعرفة الأحكام الشّرعية الّتي هي العبادات، فالضّلال البعيد إشارة إلىٰ الكفر و من المعلوم أنّ الأنبياء منزّهون عنه.

أمّا الثّاني: فإشارة إلىٰ الجهل بالأحكام المجعولة من عند اللّه و أيّ إشكالٍ في نسبة الّضلال إليهم قبل نزول الوحي و تعليم اللّه إيّاهم و هذا هو الهداية إلىٰ الطّريق المستقيم أليس اللّه يقول لنبيّه: **مٰا كُنْتَ تَدْرِي مَا اَلْكِتٰابُ وَ لاَ اَلْإِيمٰانُ**[٢] فهداه اللّه تعالىٰ إليهما بسبب الوحي و هذا هو الهداية.

و حاصل الكلام أنّ المخلوق في حدّ ذاته ضالّ محتاج إلىٰ هداية ربّه ممّا لا إشكال فيه ثمّ قال تعالىٰ: **وَ وَجَدَكَ عٰائِلًا فَأَغْنٰى** فالعائل الفقير و هو ذو العيلة يقال عال يعيل عيلةً إذ كثر عياله و إفتقره قال الشّاعر:

فما يدري الفقير متىٰ غناء و ما يدري الغنيّ متىٰ يعيل

أمّا أنّ النّبي لم يكن له مال فهذا ممّا لا خلاف فيه و أنّما الخلاف في قوله: **فَأَغْنٰى** فمنهم من قال أغناك بمال خديجة الكبرىٰ عليها السّلام.

و قال مقاتل يعني، فأغنىٰ، يعني رضاك بما أعطاك من الرّزق.

و قال الكلبي، معناه، قنعك بالرّزاق، و قال عطاء معناه وجدك فقير النّفس فأغنىٰ قلبك.

و قال الأخفش وجدك ذا عيالٍ، دليلة فأغنىٰ، و منه قول جرير:

١- النّساء = ١٣۶ ٢- الشّورى = ٥٣

اللّـه أنـزل فـي الكـتاب فـريضةً   لإبـن السّـبيل وللـفقير العـائل

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، أَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ، وَ أَمَّابِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

نهىٰ اللّه تعالىٰ نبيّه عن شيئين و أمره بشيءٍ واحدٍ أي لا تـقهر اليـتيم بأخـذ ماله ظلماً فكذلك من لا ناصر له لا تغلظ في أمره و الخطاب في هـذه الأيـات متّوجه إلىٰ النّبي و المقصود جميع المكلَّفين و قيل لا تقهر علىٰ ماله، و قيل لا تسَّلط عليه بالظُّلم إدفع إليه حقّه و أذكر يتمك قاله الأخفش مـعنىٰ، لا تـقهر لا تحتقر، و أمّا قوله: **فَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ** فهو نهيٌ عن إغلاظ القـول أي لا تغلظ عليه قولاً بل ردّه ببذلٍ يسير أو ردٍّ جميل و قيل المراد بالسّائل في الآيـة السّؤال عن الدِّين، فلا تنهره بالغلظة و الجفوة وأجبه برفقٍ ولينٍ.

أقول حمل السّائل علىٰ السّـائل فـي الدّيـن مـمّا لا دليـل عـليه و الأحسـن حمله علىٰ معناه العامّ الشّامل لكلّ سائلٍ سواء كان السّؤال عن المال أو الدّيـن أو غيرهما.

وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فمعناه أذكر نعم اللّه التّي أنعم اللّه بها عليك فأظهرها (حَدِّث) بها فقد قيل من شكر النّعمة الحديث بها.

فقد روىٰ أبو سعيد الخدري عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: إنّ اللّه جميل و يحبّ أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده إنتهىٰ.

و روىٰ النّسائي عن مالك بن نضلة قال: كنت عند رسول اللّه جالساً فرأني رثّ الثّياب فقال ﷺ ألك مال قلت نعم يا رسول اللّه من كلّ المال قال ﷺ إذا أتاك المال فلير أثره عليك إنتهىٰ.

و قال رسول اللّـه ﷺ التّـحدث بـالنِّعم شكـراً و تـركه كـفرٌ و الأحـاديث كثيرة و المعنىٰ واضح.

■

﴿سُورَةُ ٱلانشِرَاحِ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَ وَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِيٓ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذاْ فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

◀ اللّغة

نَشْرَحْ: الشّرح فتح الشّيء بإذهاب ما يعيد عن إدراكه.

وِزْرَكَ: الوزر بكسر **الواو** الوبال و الذّنب.

أَنْقَضَ ظَهْرَكَ: النَّقض و الهدم واحد و معنىٰ أنقض أثقل، و الظَّهر خلاف الصَّدر.

فَانْصَبْ: إلىٰ ما رغبَّك اللّه فيه من العمل.

◀ الإعراب

ٱلْعُسْرِ في الموضعين واحد و أمّا **يُسْرًا** في الموضعين فأثنان لأنّ الألف واللاّم في العسر يوجب تكرير الأوّل و أمّا النَّكرة فإذا أريد تكرارها جيء بضميرها أو بالألف و اللاّم و من هنا قيل لن يغلب عسر يسرين و اللّه أعلم.

◀ التّفسير

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ

الإستفهام للإنكار أي شرحنا صدرك والشَّرح فتح الشّيء بإذهاب ما يصدُّ عن إدراكه فاللّه تعالىٰ فتح صدر نبيّه بإذهاب الشّواغل التّي تصدَّ عن إدراك الحقّ و تعظيمه بما يجب عليه و منه تشريح اللّحم إذا فتحه.

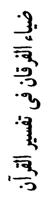
قال اللّه تعالىٰ: **أَفَمَنْ شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**[١].

و قيل معناه ألم نشرح صدرك للإسلام.

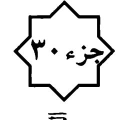
و قيل معناه ألم نليّن لك قلبك.

فقد روي عن إبن عبّاس أنّه قال: قالوا يارسول اللّه أينشرح الصَّدر قال ﷺ نعم و ينفتح قالوا يا رسول اللّه و هل لذلك علامة قال ﷺ نعم التّجافي عن دار الغرور و الإنابة إلىٰ دار الخلود و الإعتداد للموت قبل نزول الموت.

و قال بعض المفسّرين أنّ المراد بشرح صدره في الآية جعله بحيث يسع ما يلقىٰ إليه من الحقائق و لا يضيق بما ينزل عليه من المعارف و ما يصيبه من أذىٰ النّاس في تبليغها.



و قال صاحب الكشّاف معنىٰ شرحنا صدرك فتحناه حتّىٰ وسع هموم النّبوة، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم و الحكم و أزلنا عنه الضّيق و الحرج الّذي يكون مع العمىٰ و الجهل إنتهىٰ.



أقول ما ذكره صاحب الكشّاف بقوله و أزلنا عنه الضّيق و الحرج إلىٰ أخر كلامه هو أقرب الأقوال إلىٰ الحقّ و ذلك لأنّ الضِّيق و الحرج ضدّ الشَّرح، قد جعل اللّه تعالى قلب المؤمن منشرحاً بالإيمان و التَّطهير من الأرجاس كما

١- الزُّمر = ٢٢

جعل اللّه تعالىٰ ضدّه في قلب الكافر فالضّيق و الحرج للكفّار عقوبة لهم و شرح الصَّدر أعني به الإيمان و الطّهارة للمؤمن و إلىٰ ما ذكرناه أشار اللّه تعالىٰ بقوله في الكفّار:

أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ[١].

و قال في المؤمنين:

أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْايمٰانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ[٢].

و ضدّ هذه الكتابة هي سمات الكفر في قلوب الكافرين بسبب معاصيهم و إعراضهم عن متابعة الحقّ، ثمّ إنّ شرح الصَّدر في المؤمنين يتفاوت بسبب تفاوت مراتبهم في الإيمان فمن كان إيمانه أعلىٰ مرتبةً كان شرح صدره كذلك و بالعكس و حيث أنّ الأنبياء و لا سيّما نبيّ الإسلام في أعلىٰ مراتب الإيمان و أقرب الخلق فشرح صدرهم أوسع و أعلىٰ فقوله تعالىٰ شأنه مخاطباً لنبيّه **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** أي شرحناه لك معناه شرحنا صدرك بالإيمان الكامل الّذي هو في أعلىٰ مراتبه بحيث لا يتصوّر إيمانٌ فوقه و هذا الإيمان هو الّذي كان يسع جميع الجهات.

وَ وَضَعْنٰا عَنْكَ وِزْرَكَ

أي الوزر الّذي كان عليه في عهد الجاهليّة قبل النّبوة، و قيل معناه حططنا ذنبك.

قال القرطبي الوزر الذّنب أي وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهليّة لأنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم كان في كثيرٍ من مذاهب قوم و أن لم يكن عبد صنماً و لا وثناً.

ثمّ نقل عن قتادة و الحسن و الضّحاك أنّهم قالوا كانت للنّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم ذنوبٌ أثقلته فغفرها اللّه له إنتهى.



١- المائدة = ٤١
٢- المجادلة = ٢٢

أقول ما ذكره ليس بشيءٍ و أنّما هو من الأوهام و الخرافات و الأباطيل التّي لا يقول بها من عرف النّبي و علم معنىٰ النّبوة و لا سيّما خاتم الأنبياء الذّي هو أفضل من جميع الأنبياء قولاً واحداً، و نحن نسأل القرطبي و أمثاله، ما كان مذهب قومه قبل النّبوة في قوله: **كان فى كثير من مذاهب قومه و إن لم يكن عبد صنماً و لا وثناً** فأن قال كانوا علىٰ الكفر كما هو المستفاد من كلامه و كان النّبي من مذاهبهم، فكان النّبي قبل النّبوة كافراً نعوذ باللّه من هذا القول السَّخيف الّذي يدلّ علىٰ كفر قائله و أنّه لم يعرف النّبي و لا معنىٰ النّبوة أصلاً، أليس اللّه تعالىٰ يقول: **قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ**(١) و العهد هو الإمامة و النّبوة و أيُّ ظلم أشنع و أقبح من الكفر و من المعلوم عقلاً و نقلاً أنّ الكافر لا يصلح النّبوة و الإمامة أصلاً هذا إذا كان مذاهب قومه الكفر، و إن لم يكونوا علىٰ الكفر بل كانوا علىٰ التّوحيد وك ان دينهم دين المسيح كما هو الحقّ فالنّبي لم يكن من مذاهب قومه أيضاً أي لم يكن تابعاً لدين المسيح لأنّ تقديم المفضول علىٰ الفاضل قبيحٌ عقلاً.

و حيث أنّ النّبي كان أفضل من المسيح فلا يكون تابعاً له لما ذكرناه و أقبح من قوله هذا ما نقله عن قتادة و الحسن و الضحاك أنّه كانت للنّبي ذنوبٌ أثقلته فغفرها اللّه له، وجه شناعة هذا القول لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ من العقلاء و أيّ ذنبٍ كان له صلى الله عليه و آله و سلم في الجاهليّة أثقلته و هو كان مشهوراً فيهم بالصّداقة و الأمانة و الأدب بشهادة الأثار و التّواريخ و العجب أنّ أبا جهل و أبالهب و غيرهما من الكفّار و المشركين الذّين لم يؤمنوا برسول اللّه لم يقولوا في رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم ما قالوه هؤلاء المكذّبين المفترين في حقّه مع أنّهم كانوا يدّعون الإسلام و يفسّرون كلام اللّه بهذه الأباطيل.

فإن قلت ما معنىٰ قوله: **وَ وَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ.**

١- البقرة = ١٢٤

قلت معناه سهّلنا عليك ثقل الرّسالة و وضعناك لإتمامها و إكماله و تبليغ أحكامها و قد أوضح اللّه ذلك بقوله: **ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ** و هذا معنى الوزر الّذي وضعه اللّه عنه.

قال الرّاغب في المفردات الوزر الثِّقل تشبيهاً بوزر الجمل و يعبّر بذلك عن الإثم كما يعبّر عنه بالثِّقل قال اللّه تعالىٰ: **لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً**[1] إنتهىٰ.

و يظهر من ذلك أنّ الوزر في الأصل الثِّقل وإنّما يعبّر عنه بالإثم و الذَّنب لأنّ الذَّنب يثقل علىٰ الإنسان إذا عرفت هذا فقوله تعالىٰ: **وَ وَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ** معناه وضعنا أي رفعنا عنك ثقل الرّسالة و سهلناه عليك ثمّ أوضحه بقوله: **ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ** أي الوزر الّذي أنقض و أتعب ظهرك فإنّ حمل الرّسالة بأداء ما فيها من الوظائف المقّررة للرّسول ثقيلٌ جدّاً فقوله أنقض ظهرك كناية عن ثقل الرّسالة كما يقال أنقض الحمل ظهر النّاقة لثقله ولعمري هذا واضح لا مرية فيه فحمل الوزر علىٰ الذّنب لا معنىٰ له في المقام هذا ما فهمناه من اللّفظ من دون تصَّرفٍ في معناه.

وَ رَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ

أي رفعنا ذكرك في الدُّنيا بين أتباعك و يدلّ علىٰ ذلك التّأذين في اليوم و اللّيلة قال حسّان إبن ثابت:

أغـرَّ عـليه للـنّبوة خـاتمُ   من اللّه مشهودُ يلوح و يشهد
و ضمّ الإله إسم النّبي إلىٰ إسمه   إذا قال في الخمس المؤذن تشهد

فعن إبن عبّاس قال، يقول اللّه له صلى الله عليه وآله وسلم:

لا ذكرت إلاّ ذكرت معي في الأذان و الإقامة و التَّشهُّد، و يوم الجمعة علىٰ المنابر و يوم الفطر و يوم الأضحىٰ و أيّام التَّشريق



١- النّحل = ٢٤

ويوم عرفة و عند الجمار و علىٰ الصّفا و المروة وفي خطبة النّكاح في مشارق الأرض و مغاربها.

و كفىٰ في إثبات ذلك لو أنّ رجلاً عبد اللّه جلّ ثناؤه و صدّق بالجنّة و النّار و كلّ شيئ ولم يشهد أنّ محمّداً رسول اللّه لم ينتفع بشيئ و كان كافراً هـذا كـلّه في النّاس أضـف إلىٰ ذلك ذكـره صلّى الله عليه وآله وسلّم في الكـتب السّماوية المـنزلة عـلىٰ الأنبياء السّلف و أمرهم بالبشارة إلىٰ ظهوره بـعدهم و أنّـه تـعالىٰ جـعل ديـنه أعلىٰ الأديان و أكملها و ناسخها و قال: **وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلاٰمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخاسِرِينَ**(١).

و محصّل الكلام أنّه لا ذكر بعد ذكر اللّه فوق ذكره كما لا مقام فوق مـقامه بعد اللّه تعالىٰ فإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أحبُّ الخلق إلىٰ خالقه و أقربهم إليه.

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا

العُسر بضّم العَين ضدّ اليسر، فالعسر المشقّة و اليسر السّهلة و المعنىٰ أنَّ مع الضّيقة و الشِّدَّة يسراً أي سعةً و غنىً.

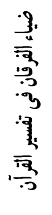
و قال إبن عبّاس لن يغلب عسر واحد يسرين لأنّه حمل العسر في الآيتين علىٰ أنّه واحد لكونها بِالألف و اللاّم و اليسر منكّر في تثنية الفائدة و الثّاني غير الأوّل.

و قال بعضهم هذا التّكرير تأكيدٌ للكلام كما يقال (إرم إرم) إعجل، إعجل.

قال تعالىٰ: **كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**(٢) و نَظيره في تِكـرار الجواب، بلىٰ، بلىٰ، و ذلك للأطناب و المبالغة و منه قول الشّاعر:

هـممت بـنفسي بـعض الهموم فأولىٰ النّـفس أولىٰ لهـا

نقل بعض المفسّرين عن ثعلب أنّه قال مـن عـادة العـرب إذا ذكـروا إسـماً معرّفاً ثمّ كرّروه فهو هو، و إذا نكّروه ثمّ كرّروه فهو غيره و هما إثنان ليكون أقوىٰ





١- آل عمران = ٨٥
٢- التّكاثر = ٣ و ٤

للأمل و أبعث علىٰ الصَّبر، و قيل معناه أنَّ اللّه يقول: **خلقت عسراً واحداً و خلقت يسرين** ولن يغلب عسراً يسرين **و رووا فيه حديثاً عن النَّبي** صلّى الله عليه وآله وسلّم **أنَّه قال لن يغلب عسرٌ يسرين** و كيف كان فالمقصود أنَّ مع العسر يسيراً يعني أنَّ العسر و المشقّة و الصَّعوبة لا يبقىٰ علىٰ حاله دائماً بل لكُلّ شدَّةٍ فرج بعدها كما قال الشّاعر:

عسىٰ الكرب الّذي أمسيت فيه يكون ورائه فرجاً قريباً

و الأصل في ذلك أنَّ كلّ حادثٍ متغيِّر و العسر من الحوادث كما أنَّ اليسر أيضاً كذلك فلابدَّ من تغيير كلّ واحدٍ منهما و تبديل أحدهما بالآخر و لنعم ما قيل:

لعمرك ماكُلّ التّعاطيل ضائراً
و لاكلّ شغلٍ فيه للمرء منفعة
إذا كانت الأرزاق في القرب و النّوىٰ
عليك سواءً فأغتنم لذَّة الدّعة
فإن ضقت فأصبر يفرج اللّه ماترىٰ
لا ربَّ ضيقٍ في عواقبه سعة

فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَ إِلىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ

قيل معناه فإذا فرغت من فرضك فانصب إلىٰ ما رغَّبك اللّه فيه من العمل، و قيل معناه فإذا فرغت من صلاتك فانصب إلىٰ ربَّك بالدُّعاء.

و قيل ماذا فرغت من أمر دنياك فانصب إلىٰ عبادة ربَّك و معنىٰ، فانصب، ناصب.

و قيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام اللّيل.

و قال الكلبي فإذا فرغت من تبليغ الرَّسالة فانصب أي إستغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات، و قال قتادة فإذا فرغت من جهاد عدوِّك فانصب بعبادة ربَّك، هذا ما ذكروه في تفسير الآية.

و قال الفيض قدّس سرّه في الصّافي و المستفاد من الأخبار أنّه بكسر الصّاد من النّصب بالتّسكين بمعنىٰ الرّفع و الوضع يعني فإذا فرغت من أمر تبليغ الرّسالة و ما يجب عليك إنهاءه من الشّرائع و الأحكام فانصب علمك بفتح اللاّم أي إرفع علم هدايتك للنّاس وضع من يقوم به خلافتك بموضعك حتّىٰ يكون قائماً مقامك من بعدك تبليغ الأحكام و هداية الأنام لئلا ينقطع خطّ الهداية و الرّسالة بين اللّه و بين عباده بل يكون ذلك مسّتمراً بقيام إمامٍ أبداً إلىٰ يوم القيامة.

قال الزّمخشري في كشّافه و من البدع ما روي عن بعض الرّافضة أنّه قرأ فأنصب بكسر الصّاد أي فأنصب عليّاً للإمامة ولو صحَّ للناصبيّ أن يقرأ هكذا و يجعله أمراً بالنَّصب الّذي هو بغض عليٍ عليه السلام و عداوته إنتهىٰ كلام الفيض قدّس سرّه.

أقول ثمّ أجاب الفيض عن الزّمخشري بأنّ نصب الإمام و الخليفة بعد تبليغ الرّسالة إذ الفراغ من العبادة أمرٌ معقول بل واجب لئلا يكون النّاس بعده في حيرة و ضلالٍ فيّصح أن يترتّب عليه و أمّا بغض علّي و عداوته فما وجه ترتّبه علىٰ تبليغ الرّسالة أو العبادة، و ما وجه معقوليّته علىٰ أنَّ كتب العّامة مشحونة بذكر محّبة النّبي لعلّيٍ و إظهاره لفضله للنّاس مدَّة حياته و بغضه كفر، أنظروا إلىٰ هذا الملقّب بجارّ اللّه العلاّمة كيف أعمىٰ اللّه بصيرته بغشاوة حميَّة التّعصب في مثل هذا المقام حتّىٰ أتىٰ بمثل هذا المنكر و الزُّور بلىٰ إنّها لا تعمىٰ الأبصار و لكن تعمىٰ القلوب التّي في الصّدور إنتهىٰ كلامه رفع مقامه.

أقول ما ذكره الفيض قدّس سرّه في الجواب حقٌّ لا مرية فيه و لا نزيد عليه شيئاً، و لقائلٍ أن يقول قال اللّه تعالىٰ: **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** ولم يقل أنّه بفتح الصّاد و بكسرها هكذا النّبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم لم يصرِّح به و إنّما الإعراب في الكلمة من قراءة القرّاء فمنهم من قرأها بفتح الصّاد و منهم من قرأها بالكسر فمن قال بالفتح جعلها من نصب ينصب مثل علم يعلم و الأمر منه بفتح الصّاد كما هو مقتضىٰ القاعدة.

و من قال بالكسر جعلها من باب نصب ينصب مثل ضرب يضرب و الأمر منه بكسر الصّاد مثل إضرب و هو أيضاً مقتضىٰ القاعدة ولم يدلُّ دليل علىٰ صحّة قراءة الأولىٰ و بطلان الثّانية فمن أين ثبت لصاحب الكشّاف أنّ قراءة الكسر باطلة و قراءة الفتح صحيحة هذا كلّه بحسب القواعد العربّية.

و أمّا من جهة العقل فهو يحكم بأنّ قراءة الكسر أولىٰ و أتقن من قراءة الفتح إذ لا معنىٰ لقولهم فإذا فرغت من صلاتك فأنصب أي بالغ في الدُّعاء و سله حاجتك، أو إذا فرغت من الفرائض فأنصب في قيام اللّيل، أو إذا فرغت من الغزو فأجتهد في العبادة أو إذا فرغت من دنياك فأنصب في صلاتك و أمثال ذلك من الأقوال التّي ذكرها في الكشّاف فإنّ هذه الأقوال لا يؤيّدها العقل النّقل و كيف يعقل أن يحمل كلام اللّه علىٰ هذه الأقوال الباردة التّي كلام اللّه أجنبيٌّ عنها و الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أجلّ شأناً من أن يخاطب بها، و هذا بخلاف قراءة الكسر فأنّ العقل يحكم بأنّ النّبي كان مأموراً بذلك لإتمام رسالته كما قال تعالىٰ:

يآ أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ[1].

يستفاد من الآية أنّ إتمام الرّسالة وإكمالها بنصب الخليفة بعد موته، و يدلّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ، بعد ما فعل النّبي ما أمر به:

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَ رَضيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلامَ ديناً[2].

و الوجه في ذلك أنّ الرّسالة بدون الإمامة و الخلافة ناقصة فنصب الخليفة من قبل اللّه بواسطة الرّسول ممّا لابدّ منه عقلاً و شرعاً، و كيف يحكم عقل الزّمخشري و أمثاله أنّ النّبي مات ولم ينصب خليفة لأنّه لم يكن مأموراً به، و

١- المائدة = ٦٧

٢- المائدة = ٣

أمّا أبو بكر كان مأموراً بنصب عمر بعد موته، فنصبه إشفاقاً علىٰ الأمّة، و قد تكلّمنا في هذا الباب مفصّلاً في شرحنا علىٰ نهج البلاغة و لا سيّما في الخطبة الشّقشقية، إلاّ أنّ العناد و التّعصُّب الجاهلية لا دواء له لأنّ العناد و التّعصب حاكمٌ علىٰ العقل و مع ذلك كلّه نقول اللّه تعالىٰ أعلم بما أراد من كلامه.

و أمّا قوله: **وَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ** فمعناه واضح فالرَّغبة الميل و فيه حثٌّ علىٰ الرَّغبة في الطّلب من اللّه تعالىٰ لا من غيره.

■

﴿ سُورَةُ ٱلتِّينِ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

◀ اللّغة

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ: الواو للقسم والتِّين بكسر التّاء الّذي يؤكل و هو معروف و الزَّيتون هو الّذي يعصر و هو أيضاً معروف.

سِينِينَ: بكسر السّين لغة في، سينا.

فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ: أي منتصب القامة و قيل هو إعتداله و إستواء شبابه.

◀ الإعراب

فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ في موضع الحال من الانسان أَسْفَلَ هو حال من المفعول فَمَا يُكَذِّبُكَ ما إستفهام علىٰ معنىٰ الإنكار أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ الهمزة إستفهاميّة للإنكار أي هو أحكم الحاكمين.

◄ التّفسير

وَ ٱلتِّينِ وَ ٱلزَّيْتُونِ

الواو للقسم، و فيها أقوال:

أحدها: أنّ التّين بكسر التّاء ممّا يؤكل، و الزّيتون ممّا يعصر و هما معروفان مشهوران أي أقسم بالتّين و الزّيتون.

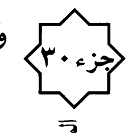
الثّاني: أنّ التّين مسجد دمشق و الزّيتون بيت المقدس.

الثّالث: التّين جبال ما بين حلوان إلىٰ همدان و الزّيتون الّذي يعصر.

وَ طُورِ سِينِينَ

هو قسمٌ أخر و الطُّور جبلٌ مشهور و سينين معناه مبارك و قيل هو لغة في سيناء و قيل هو الجبل الّذي كلَّم اللّه عليه موسىٰ إبن عمران عليه السلام المشهور و قيل سينين بمعنىٰ حسن لأنّه كثير النّبات و الشَّجر، و قال قتادة التِّين الجبل الّذي عليه دمشق و الزَّيتون الجبل الّذي عليه بيت المقدّس و أصحُّ الأقوال هو القول الأوّل في التِّين و الزَّيتون و أنّهما ممّا يؤكلان، و أصّح الأقوال في **وَ طُورِ سِينِينَ** هو الجبل المعروف بطور سيناء، و هو الّذي كلَّم اللّه موسىٰ إبن عمران عليه.

وَ هٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ



الواو للقسم أيضاً أي أقسم به و المراد به مكّة المكرّمة بإتّفاق المفسّرين.

قيل سمّي أميناً لأنّه أمنٌ كما قال اللّه تعالىٰ: **أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءامِنًا**[١].

قال بعض المفسّرين و فى الإشارة بهذا إلىٰ البلد تثبيت للتّشريف عليه بالتّخصيص و توصيفه بالأمين لكونه فعيلاً بمعنىٰ الفاعل و يفيد معنىٰ النِّسبة

١- العنكبوت = ٦٧

و المعنىٰ ذي الأمن كاللاّبن و التّامر و القاصر و إمّا لكونه فعيلاً بمعنىٰ المفعول و المراد البلد الّذي يؤمن النّاس فيه من غوائلهم ففي نسبة الأمن إلىٰ البلد نوع تجوُّزٍ إنتهىٰ.

أقول و عندي إحتمالٌ أخر و هو أن يكون المراد بالأمين رسول اللّه لأنّه صلّی الله علیه و آله و سلّم كان ملقّباً عند أهل مكّة بالأمين قبل الإسلام فيكون تقدير الكلام البلد الرّسول الأمين و علىٰ هذا فالأمين صفة للرّسول لا البلد فلا تجوُّز في النّسبة و هذا كما يقال مدينة الرَّسول ثمّ أنّه تعالىٰ بعد ما أقسم بالتّين و الزَّيتون و طور سنين و البلد الأمين.

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ

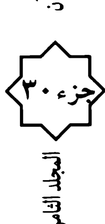
فهذا جواب القسم.

قال إبن عبّاس **فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** أي منتصب القامة بخلاف سائر الحيوان.

و قال الفرّاء هو إعتداله و إستواءه في شبابه و هو أحسن ما يكون.

و قيل المعنىٰ في أحسن صورةٍ و التّقويم تصيير الشّئ علىٰ ما ينبغي أن يكون عليه من التّأليف و التّعديل.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الأية، أراد بالإنسان الكافر، قيل هو الوليد بن المغيرة و قيل كلدة بن أسيد فعلىٰ هذا نزلت في منكري البعث و قيل المراد بالإنسان أدم و ذرّيته، في أحسن تقويم و هو إعتداله و إستواء شبابه كذا قال عامّة المفسّرين و هو أحسن ما يكون لأنّه خلق كلّ شيءٍ منكبّاً علىٰ وجهه و خلقه مستويّاً.



أقول ما ذكروه في معنىٰ الآية يدلُّ علىٰ مبلغ علم قائله و قلّة معرفته بحال الإنسان فإنّ إنتصاب قامة الإنسان أو إعتداله و إستواء شبابه لا يدلُّ علىٰ فضله

و أنَّه أحسن خلقاً من غيره و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ خلق الأشجار و النّبات مستقيم القامة أو منتصب القامة أو معتدلة أو غير ذلك من الصّفات و لو كان المراد بأحسن تقويم ما ذكروه من الصّفات الظّاهرة التّي هي من صفات الجسم و البدن لقال لقد خلقنا الإنسان في أحسن هيئة، أو أحسن شكلٍ مثلاً، ولم يقل ذلك لأنّها من صفات الجسم البشري لا من صفات الإنسان الذّي هو أشرف المخلوقات إذا عرفت هذا فنقول:

التَّقويم مصدر قوَّم تقويماً، و تقويم كلّ شيٍ بيان قيمته، كما يقال تقويم السّلعة بيان قيمتها، و تقويم الشّئ تثقيفه فمعنىٰ قوله: **فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ**، أنّه تعالىٰ خصَّ الإنسان من بين الحيوان بالعقل و الفهم و جعله مستولياً علىٰ كلّ ما في هذا العالم كما قال: **و سَخَّر لكم ما في البَرّ والبَحر** الآية فقيمة كلّ إنسانٍ بعقله و فهمه و دركه الحائق و لعلّه إلىٰ هذا المعنىٰ أشار أميرالمؤمنين حيث قال: **قَيمة كلّ إمرئٍ ما يُحسنه**، من العلم و الحلم و السّخاوة و الشّجاعة و العدالة و أمثالها و هذا لا يختّص بإنسانٍ دون إنسان لأنّ هذه القوىٰ من توابع العقل الموجود في كلّ بشرٍ عاقلٍ بحسب القوّة و الإستعداد فمن تبع عقله و أخرجها من القوّة إلىٰ الفعل ببركة عقله فهو في أحسن تقويم في الدّنيا و أعلىٰ علّيين في الأخرة و من إثر شهوته علىٰ عقله ولم يخرج القوىٰ من القوّة إلىٰ الفعل فهو في أسفل سافلين عن مقام الإنسانيّة في الدّنيا و أسفل دركات جهنّم في الأخرة و هذا الحكم لا يختّص بالكافر كما زعم القرطبي و أمثاله بل هو عامّ في جميع أفراد الإنسان ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ: قال لقد خلقنا الإنسان الخ. ولم يقل لقد خلقنا بعض الإنسان، أو لقد خلقنا الكافر، و ذلك لأن المدار علىٰ العقل فكلّ عاقلٍ خلقه اللّه في أحسن تقويم إذا عمل بمقتضىٰ حكم عقله و آثره علىٰ شهوات نفسه و يردّه إلىٰ أسفل سافلين إذا آثر الشّهوات علىٰ عقله و لأجل ذلك قال تعالىٰ بعد قوله هذا:

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ

أي إلاّ الّذين أمنوا باللّه و رسوله بقلوبهم و عملوا الصّالحات من الأعمال بجوارحهم علىٰ أساس الإيمان، فلهم أجرٌ غير ممنون، قيل أي غير منقوصٍ، و قيل غير مقطوعٍ، و قيل غير محسوبٍ، و قيل غير مكدّرٍ بما يؤذي و يضّم هكذا قيل.

و الحقّ أنّ معنىٰ الكلام أنّ هذا الأجر ثوابٌ علىٰ طاعاتهم و أعمالهم و لا منّة علىٰ إعطائه إيّاهم لأنّ وجود السَّبب و هو العمل الصّالح يوجب وجود المسبِّب و هو الجزاء و إذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال.

فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ

ما إستفهامية أيُّ شيءٍ يكذّبك بالدّين أعني به التّوحيد و النّبوة و المعاد، في هذا الإستفهام توبيخٌ و إلزام للحجّة، أي إذا عرفت أيّها الإنسان أنّ اللّه خلقك في أحسن تقويم و جعلك قادراً علىٰ الإيمان و العمل الصّالح فما يحملك أن تكذّب بالبعث و الجزاء.

أَلَيْسَ ٱللّٰهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحاكِمِينَ

غداً يوم القيامة الإستفهام للإنكار أي هو أحكم الحاكمين بل الحكم مختّصٌ به و لا حكم لغيره و أمّا من قال بأنّ قوله فما يكذّبك بالدِّين منسوخ بأية السَّيف، فقد أخطأ فإنّ الآية ثابتة و لا تنافي بينهما.

■



سُورَةُ ٱلْعَلَقِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اِقْرَأْ وَ رَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلّآ إِنَّ ٱلْإِنْسانَ لَيَطْغىٰٓ ﴿٦﴾ أَنْ رَاٰهُ ٱسْتَغْنىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ ٱلَّذي يَنْهىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذا صَلّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى ٱلْهُدىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللّٰهَ يَرىٰ ﴿١٤﴾ كَلّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلّا لا تُطِعْهُ وَ ٱسْجُدْ وَ ٱقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

◀ اللغة

عَلَق: جمع علقة لأنّ المراد بالإنسان الجمع و ذلك مثل شجرة و شجر.

كَلّآ: ردعٌ و زجرٌ.

ٱلرُّجْعىٰٓ: أي المرجع.

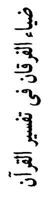
تَوَلَّىٰٓ: أي أعرض وأدبر.
لَنَسْفَعًا: يقال سفعته النّار و الشّمس إذا غيّرت وجهه إلىٰ حالٍ تشويه.
بِالنَّاصِيَةِ: فالنّاصية شعر مقدّم الرّأس متّصلة بشعر الرّأس.
نَادِيَهُۥ: والنّادي الفناء.
ٱلزَّبَانِيَةَ: الملائكة الموكّلين بالنّار.
وَٱقْتَرِبْ: أي تقرّب إليه بطاعته.

◀ الإعراب

ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ هو حال أي إقرأ مبتدأً بإسم ربّك أَنْ رَءَاهُ هو مفعول له ٱسْتَغْنَىٰٓ مفعول ثانٍ و نَاصِيَةٍ بدل من النّاصية فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ أي فليدع أهل ناديه و زَبَانِيَةَ فعالية من الزّبن و هو الدّفع.

◀ التّفسير

ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ



أكثر المفسّرين علىٰ أنّ هذه السُّورة أوّل ما نزل من القرأن نزل بها جبرئيل علىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو قائم علىٰ حراء فعلّمه خمس أيات من هذه السُّورة.
وقيل أوّل ما نزل **يٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ** و قيل أوّل ما نزل فاتحة الكتاب و قيل أوّل ما نزل قوله تعالىٰ: **قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**[1].



روىٰ عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام: العزائم، ألم التّنزيل، و حم السّجدة، و النّجم إذا هوىٰ، ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، و ما عداها في جميع القرأن مسنون ليس بمفروضٍ إنتهىٰ.
و في كتاب الخصال عنه عليه السلام قال: أنّ العزائم أربع، ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

١- الأنعام = ١٥١

ٱلَّذِي خَلَقَ، والنّجم إذا هوىٰ، و تنزيل السّجدة، وحم السّجدة إنتهىٰ.

و في عيون الأخبار بأسناده عن الرّضا عليه السلام أنّه قال: سمعت أبي يحدّث عن إبيه إنّ أوّل سورةٍ نزلت، بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم، ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و أخر سورةٍ نزلت (إذا جاء نصر اللّه) الخ.

و في أصول الكافي بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام مثله.

و أمّا كيفيّة النّزول ففي تفسير علّي بن إبراهيم، في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: أنَّ أوَّل سورةٍ نزلت، ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ.

و بأسناده عن محَّمد بن علّي، قال: حدَّثنا عثمان بن يوسف عن عبد اللّه بن كيان عن أبي جعفر عليه السلام قال نزل جبرئيل علىٰ محّمد عليه السلام قال يا محَّمد إقرأ قال صلى الله عليه وآله وسلم قال ماأقرأ قال ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ يعني خلق نورك القديم قبل الأشياء الحديث.

و قال القرطبي: و غيره من مفسّري العّامة ما هذا لفظه، و في الصَّحيحين عن عائشة قالت: أوَّل ما بدي به رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرُّؤيا الصّادقة في النُّوم فكان لا يرىٰ رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصُّبح ثمّ حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حرّاء يتحنّث فيه اللّيالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلىٰ أهله و يتزوّد و لذلك ثمّ يرجع إلىٰ خديجة فيتزوَّد لمثلها حتّىٰ فجئه الحَّق و هو في غار حرّاء فجاء الملك فقال إقرأ، فقال ما أنا بقاريءُ، فقلت ما أنا بقاريءُ قال فأخذني فغطَّني حتّىٰ بلغ منّي الجهد ثمّ أرسلني و قال إقرأ، فأخذني فغطُّني الثّالثة حتّىٰ بلغ منّي الجهد ثمّ أرسلني فقال، ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ إلىٰ قوله ما لم يعلم الحديث بكماله إنتهىٰ.

ثمّ نقل حديثاً آخر عن أبي موسىٰ الأشعري لم نذكره لعدم الإحتياج إليه.

أقول هذا الحديث عن عائشة علىٰ ما في صحيح مسلم و البخارى، و لم يذكروا فيه أنَّ عائشة عمَّن نقلت هذا الحديث الّذي لا نفهم معناه بل لا معنىٰ له واقعاً و أين كانت عائشة في بدو البعثة فإن نقلته عن رسول اللّه أو أحد من أصحابه فكان عليها أن تصّرح بإسمه مع أنَّ أصحابه أيضاً لم يكونوا هناك و إنّما وجدوا بعد ذلك فهذا الحديث و أمثاله لا أصل له أصلاً، فإنَّ قوله (ما أنا بقارئ) كذبٌ محض و حقُّ الكلام أن يقول (ما أقرأ) أي أيّ شئٍ أقرأ، لأنَّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان قادراً علىٰ التّكلم كيف و هو أفصح العرب فكيف ينسىٰ القراءة عن نفسه هذا أوّلاً.

ثانياً: ما معنىٰ قوله (فغطّني، فغطّني) حتّىٰ بلغ منّي الجهد، ولم غطّه الملك حتّىٰ بلغ منه الجهد، و الحقُّ أنَّ أهل البيت أدرىٰ بما في البيت، نحتاج في ذلك إلىٰ حديث عائشة و أبي موسىٰ الأشعري الّذي كان من رؤس المنافقين و الّذي ثبت لنا في الباب ما روينا عن أهل البيت و هو الحَق، إذا عرفت هذا فلنرجع إلىٰ تفسير ألفاظ السُّورة فقوله: **ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ** قيل الباء زائدة و تقدير الكلام، **ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** و قيل ليست بزائدة و محَّلها من **بِاسْمِ رَبِّكَ** النَّصب علىٰ الحال أي إقرأ ما أنزل إليك من القرآن بإسم ربك و هو أن تذكر التَّسمية من إبتداء كلّ سورة، و قيل الباء بمعنىٰ، علىٰ، أي إقرأ علىٰ إسم ربّك، و علىٰ هذا فالمقرو محذوف و هو القرآن و اءفتتحه بإسم اللّه، و قيل معنىٰ، إقرأ **بِاسْمِ رَبِّكَ** أي اذكر إسمه أمره أن يبتدئ في القراءة بإسم اللّه و قوله: **خَلَقَ**، أي خلق الأشياء، و المعنىٰ بإسم ربّك الّذي خلقك أو علىٰ التَّقديرين فالمفعول محذوف.



خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

أي خلق أولاد آدم من علق، واحدها علقة الدَّم الجامد و إذا جرىٰ فهو المسفوح، فذكره بلفظ الجمع لأنَّه أراد بالإنسان الجمع و كلُّهم خلقوا من علق بعد النُّطفة و العلقة قطعة من دمٍ رطبٍ سمِّيت بذلك لأنَّها تعلَّق لرطوبتها بما تمُّر عليه فإذا جفَّت لم تكن علقة هكذا قيل، و قد مرَّ الكلام في كيفيّة خلق الإنسان سابقاً.

ٱقْرَأْ وَ رَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ، ٱلَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ ٱلْإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ

قيل، إقرأ، تأكيدٌ وتَّم الكلام ثمّ إستأنف و قال: **وَ رَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ** و الأكرم الكريم، و قيل معناه الأعظم كرماً لأنَّ كرمه لا نهاية له إذ هو الّذي يعطي من النِّعم ما لا يقدر علىٰ إعطاء مثله غيره و قوله: **ٱلَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** و فيه إشارة إلىٰ أنَّه تعالىٰ إمتنّ علىٰ عباده بالكتابة بالقلم لما في ذلك من كثرة الإنتفاع لخلقه لما فيه من المنافع العظيمة الّتي لا يحيط بها إلاّ هو، و ما دوِّنت العلوم، و لا قيِّدت الحكم و لا ضبطت أخبار الأوّلين و مقاماتهم و لا كتب اللّه المنزلة إلاّ بالكتابة و لولا هي ما إستقامت أمور الدّين و الدُّنيا، و سمَّي قلماً لأنَّه يقلم أي يقطع و منه تقليم الظُّفر و لذلك قال بعض الشُّعراء في وصف القلم:

فكأنَّه و الحبر يخضب رأسه　　شبحٌ لوصل خريدة يتصنَّع
لم لا ألاحظه بعين جلالةٍ　　وبه إلىٰ اللّه الصّحائف ترفع

فعن عبد اللّه بن عمر قال: يا رسول اللّه صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أأكتب ما أسمع منك من الحديث قال: نعم أكتب فإنَّ اللّه علَّم بالقلم.

أقول منافع القلم ممّا لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ و لذلك أقسم اللّه به.

فقال: **نٓ وَ ٱلْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ**[١] و لولا القلم و الكتابة بين النّاس لأختلف أمورهم فإنَّ بقاء النِّظام في الإجتماع علىٰ الكتابة بالقلم و قد ورد في بعض الأخبار أنَّ أوَّل ما خلق اللّه القلم فقال له أكتب فكتب ما يَكُون إلىٰ يوم القيامَة.

١- القلم = ١

و قال تعالىٰ: **وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ كِراماً كٰاتِبِينَ**[١].

فقوله كاتبين، أي بالقلم.

روي عن إبن مسعود أنّه قال: سمعت رسول اللّه صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول إذا مرَّ بالنُّطفة ثنتان و أربعون ليلة بعث اللّه إليها ملكاً فصَّورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و عظمها ثمَّ يقول الملك يا ربِّ أذكرٌ أم أنثىٰ، فيقضي ربّك ما شاء و يكتب الملك ثمّ يقول يا ربِّ أجله، فيقول ربُّك ما شاء و يكتب الملك، ثمُّ يقول يا ربِّ رزقه فيقضي ربّك ما شاء و يكتب الملك ثمَّ يخرج الملك بالصَّحيفة في يده فلا يزيد علىٰ ما أمر و لا ينقص إنتهىٰ.

قال بعضهم الأقلام ثلاثة:

القلم الأوَّل: الّذي خلقه اللّه بيده و أمره أن يكتب.

القلم الثّانى: أقلام الملائكة جعلها اللّه بأيديهم يكتبون المقادير و الكوائن و الأعمال.

القلم الثّالث: أقلام النّاس جعلها اللّه بأيديهم يكتبون بها كلامهم و يصلون بها مآربهم و فى الكتابة فضائل جمّة كما لا يخفىٰ.

و قوله: **عَلَّمَ اَلْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ** أي علّم اللّه الإنسان ما لم يعلم، إمتنان من اللّه تعالىٰ علىٰ عباده بأن علَّمهم ما لم يكونوا عالمين به فأنقذهم من الجهل و أرشدهم إلىٰ العلم و هو أي العلم من أشرف النِّعم و أفضلها بعد نعمة الإيجاد و به فضَّل اللّه الإنسان علىٰ غيره حتّىٰ علىٰ الملائكة لقوله تعالىٰ:

وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى اَلْمَلاٰئِكَةِ فَقٰالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ، قٰالُوا سُبْحٰانَكَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَلِيمُ اَلْحَكِيمُ، قٰالَ يٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ

١- الإنفطار = ١٠

بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمٰوٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(١).

فهذه الأيات تدلُّ علىٰ أنّ إعطاء العلم من اللّه و اللّه تعالىٰ فضَّل أدم علىٰ الملائكة بتعليمه إيّاه الأسماء ثمّ أمر أدم أن يعلِّمهم ما لم يعلموا و هو دليل علىٰ أنّ الإنسان أفضل من الملائكة ببركة العلم، ثمّ أنّ العلوم التّي أعطاها الإنسان علىٰ قسمين:

ضروريّة و غير ضروريّة فالعلوم الضَّروريّة جعلها اللّه في قلوب بني أدم بغير قلم و لا كتابة.

و غيرً الضَّروريّة ما علَّمهم اللّه بنصب الأدّلة لهم علىٰ الوصول إليها فيما لم يعلموه ضرروةً، فالضّروريات مثل النّار حارّة و الواحد نصف الأثنين و الأربعة زوج و الثّلاثة فرد و كلّ مخلوقٍ له خالق و غير الضّروريات مثل العالم حادث و الفعل مجّرد عن المادّة و أمثال ذلك من العقلّيات التّي يحتاج الإنسان في تعلُّمها إلىٰ إعمال الفكر و بذل الوسع في تحصيلها من الأستاذ و الكتب المدوّنة بالقلم من السّلف و لا شكّ أنّ جميعها ممّا أعطاه اللّه بني أدم و هذا واضح.

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰٓ، أَنْ رَاٰهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ

كلاّ حرف ردع تقديرها إرتدعوا و إنزجروا معاشر المكلّفين.

و قيل معناه حقّاً، إنّ الإنسان ليطغىٰ، أي يتجاوز عن الحقّ فإنّ الطُّغيان التّجاوز عن حدّ الإعتدال و الخروج عن الطّاعة.

أَنْ رَاٰهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ أي إذا كثر ماله و أولاده و عشيرته إستغنىٰ و خرج عن الحدّ المحدود له و ظنَّ أنّه لا يحتاج إلىٰ غيره مستغنٍ عنه، و الرُّؤية في المقام قيل هي بمعنىٰ العلم و لا يجوز أن تكون من رؤية العين و ذلك لأنّ الأعمىٰ

١- البقرة = ٣١ الى ٣٣

أيضاً يتّصف بالطّغيان، وكيف كان هو إشارة إلىٰ أنّ الإنسان لا يعرف قدره و لذلك يتجاوز طوره و هو دليل علىٰ عدم قابليّة الإنسان و ليس الحكم عامّاً لجميع أفراد الإنسان فإنّ الأنبياء و الأوصياء و الأولياء لا طغيان لهم اللّهم إلاّ إن يقال أنّ الحكم عامّ بإعتبار الإنسان نفسه مع قطع النّظر عن عناية اللّه و توفيقه أي إنّ الإنسان بما هو هو كذلك بإعتبار نفسه فعلىٰ الأوّل يكون الحكم أكثريّاً.

علىٰ الثّاني: شموليّاً يعمّ الجميع.

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ

فالرُّجعىٰ و المرجع و الرُّجوع واحد و المعنىٰ أنَّ مصير الخلق و مرجعهم إلىٰ اللّه و هو الّذي يجازيهم علىٰ أفعالهم علىٰ الطّاعات بالثّواب و علىٰ المعاصي بالعقاب.

أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ، عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ

الإستفهام للتّقرير قيل إنّها نزلت في أبي جهل.

و قيل نزلت السُّورة كلّها فيه و ذلك أنّه نهىٰ النّبي عن الصّلاة فأمر اللّه نبيّه أن يصلّي في المسجد و يقرأ بإسم الرَّب، و المراد في الآية هو النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و كان النّبيّ إذا قال أبو جهل ألم أنهك عن الصّلاة إنتهره و أغلظ له فقال أبو جهل أنا أكثر أهل هذا الوادي نادياً و ذكره إبن عبّاس و المعنى أرأيت يا محّمد من فعل ما ذكرناه من منع الصّلاة و ينهي المصلّين عنها ماذا يكون جزاءه يوم القيامة و أنا الّذي يستحقّه من العقاب و فى رواية أبي صالح عن إبن عبّاس، لمّا نزلت هذه الآية و سمع بها المشركون أتاه أبو جهل و قال يا محّمد أتزعم أنّه من إستغنىٰ طغىٰ فاجعل لنا جبال مكّة ذهباً لعلّنا نأخذ منها فنطغىٰ فندع ديننا و نتّبع دينك فأتاه جبرئيل فقال يا محّمد خيِّرهم في ذلك فإن شاؤوا فعلنا بهم ما أرادوه فإن لم يسلموا فعلنا بهم كما فعلنا بأصحاب المائدة فعلم رسول

اللّه ﷺ أنّ القوم لا يقبلون ذلك فكف عنهم إبقاء عليهم وقيل **أَنْ رَاٰهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ** بالعشرة و الأنصار و الأهوان.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ، أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ

قال المفسّرون الخطاب في هذه الآية لأبي جهل و المعنىٰ أرأيت يا أبا جهل **إِنْ كَانَ** هذا العبد الّذي صلّىٰ **عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ** و الطّريقة المستقيمة الصّحيحة **أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ** أي بإتيان الطّاعات و الواجبات و ترك المعاصي، كيف يكون حال من نهاه عن الصّلاة و زجره عنها، و علىٰ هذا فجواب الشّرط محذوف، و هو كيف يكون حال النّاهي ثمّ خاطب نبيّه.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰٓ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللّٰهَ يَرَىٰ

و يقول اللّه تعالىٰ لنبيّه **أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ** النّاهي **وَ تَوَلَّىٰٓ**، أي إعرض عن الحقّ، **أَلَمْ يَعْلَمْ**، هذا النّاهي عن الصّلاة و المكّذب المعرض عن الحقّ **بِأَنَّ ٱللّٰهَ يَرَىٰ** أي يعلم ما فعله و لا يخفىٰ عليه شئ فالإستفهام للتّهديد و التّوبيخ (كلاّ) للرّدع و الزّجر **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ** أي أبو جهل و من تبعه عن أذاك يا محّمد **لَنَسْفَعًا** أي لنأخذن **بِالنَّاصِيَةِ** يوم القيامة و النّاصية شعر مقدّم الرّأس و هو من ناصىٰ يناصي مناصاة، إذا واصل، فالنّاصية متّصلة بشعر الرّأس، و قوله، **لَنَسْفَعًا**، فهو من سفعت بالشّئ إذا قبضت عليه و جذبته جذباً شديداً يقال سفع بناصية فرسه قال الشّاعر:

قومٌ إذا كثر الصّياح رأيتهم   من بين ملجم مهرةٍ أو سافعُ

و قيل هو مأخوذٌ من سفعته النّار و الشّمس إذا غيّرت وجهه إلىٰ حال تسويد، و قال المبرّد السّفع الجذب بشّدة أي لنجرّن ناصيته إلىٰ النّار و الأصل في قوله: **لَنَسْفَعًا**، لنسفعن، بِالنُّون المخّففة الّتي تدّل على التّأكيد، ثمّ بدّلت النُّون أَلِفاً في القراءة علىٰ حكم الوقف، و قرئبِالنُّون المشدّدة أيضاً فمن قرأ هكذا أثبت **النُّون** في القراءة مثل لنعلمنّ لنضربنّ و اللاّم أيضاً للتّأكيد.

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ

لمّا علم أنَّها ناصية المذكور إكتفىٰ بلام العهد عن الإضافة و هى بدلٌ من النّاصية و جاز بدلها عن المعرفة هي نكرة لأنَّها وصفت فأستقلّت بفائدة، و هذه الآية في الحقيقة معنىٰ النّاصية كأنَّه قيل ما النّاصية أو كيف تكون النّاصية، فقال: **نَاصِيَةٍ** متَّصفة بالكذب و الخطأ و هى ناصية أبي جهل و أمثاله من الكفّار و من المعلوم أنَّ إسناد الكذب و الخطأ إلىٰ النّاصية علىٰ سبيل المجاز فإنَّ الكاذب الخاطئ في الحقيقة هو صاحب النّاصية.

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ

الزَّبانية ملائكة العذاب و هى في كلام العرب، الشَّرط و الواحد، زبنية مثل عفرية من الزّبن و هو الدَّفع و أصله (زباني) فقيل زبانية علىٰ التَّعريض و معنىٰ الآية **فَلْيَدْعُ** أبو جهل أي أهل **نَادِيَهُ** مجلسه و عشيرته و أنصاره فلينتصر بهم، سندع، نحن أيضاً **زَّبَانِيَةَ** أي ملائكة العذاب.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَ ٱسْجُدْ وَ ٱقْتَرِبْ

كلاَّ، حرف ردع و زجر أي إرتدع و إنزجر **لَا تُطِعْهُ** أي لا تطع هذا الكافر و هو أبو جهل الّذي نزلت الأيات فيه في نهيه عن الصّلاة بل **وَ ٱسْجُدْ** لربّك و أطعه **وَ ٱقْتَرِبْ** من ثوابه بطاعته و السُّجود هنا فرض و هو من العزائم و قد مرَّ الكلام فيه و قلنا هي أربعة مواضع و ماعداها في جميع القرأن مسنونٌ ليس بمفروضٍ.

■

سُورَةُ ٱلْقَدْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مٰا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلآٰئِكَةُ وَ ٱلرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلاٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

◀ اللّغة

مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ: المطلع موضع الطُّلوع، وباقي اللُّغات واضح.

◀ الإعراب

وَ ٱلرُّوحُ مبتدأ و فِيهٰا الخبر بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يتَّعلق، بتَّنزل، و يجوز أن يكون حالاً سَلاٰمٌ خبر مقدّم وهي، مبتدأ مؤخّر مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ بكسر اللاّم و فتحها لغتان.

◀ التّفسير

إِنَّآ أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ

الضّمير في أنزلناه، إلىٰ القرأن بإجماع المفسّرين و أن لم يجر له ذكر في هذه السُّورة لأنّ المعنىٰ معلوم و نظائره كثيرة:

قال اللّه تعالىٰ: **حمٓ وَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**[١] أي لَيلة القدر.

قال اللّه تعالىٰ: **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ**[٢] و المراد بالقَدر قيل هو الحكم.

و قيل هو التَّقدير سمّي بذلك لأنّ اللّه يقدّر فيها ما يشاء من أمره إلىٰ مثلها من السَّنة القابلة من أمر الموت و الأجل و الرِّزق و غيره و يسلمه إلىٰ مدّبرات الأمور و هم أربعة من الملائكة، جبرئيل، ميكائيل، و إسرافيل، عزرائيل.

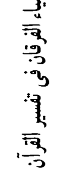
أقول الكلام في هذه الآية في مقامين:

الأوّل: في معنىٰ القدر.

قال الرّاغب في المفردات، القدر و التّقدير تعيين كميّة الشّئ يقال قدرته و قدَّرته ثمّ قال فتقدير اللّه الأشياء علىٰ وجهين:

أحدهما: بإعطاء القدرة.

والثّاني: بأن يجعلها علىٰ مقدارٍ مخصوصٍ و وجهٍ مخصوص حيثما إقتضت الحكمة و ذلك أنّ فعل اللّه ضربان:



أحدهما: إيجاده الفعل و معناه إبداعاً كاملاً دفعةً واحدة لا تعتريه الزّيادة و النّقصان إلىٰ أن يشاء أن يفنيه أو يبدِّله كالسّموات و ما فيها.

الثّاني: بإعطاء القدرة عليه إنتهىٰ موضع الحاجة من كلامه.

و علىٰ هذا فالقدر بمعنىٰ التّقدير إمّا بالحكم منه تعالىٰ أن يكون كذايكون كذا، و إمّا علىٰ سبيل الوجوب و إمّا علىٰ سبيل الإمكان و على ذلك قوله: **قَدْ جَعَلَ ٱللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**[٣].



و قال بعضهم القدر في الآية بمعنىٰ المنزلة و إنّما سمّيت ليلة القدر للإهتمام بمنزلتها أو منزلة المتّعبدين فيها.

١- الدُّخان = ١
٢- البَقَرة = ١٨٥
٣- الطّلاق = ٣

و قيل القدر بمعنىٰ الضِّيق و سمّيت ليلة القـدر لضيـق الأرض فـيها بـنزول الملائكة و أصَّح الأقوال فيه هو الوجه الأوّل و هو التّقدير لأنّ اللّه تعالىٰ يـقدّر فيها الآجال و الأرزاق و غيرها.

المقام الثّاني: في قوله: **أَنْزَلْنٰاهُ** بعد إتّفاقهم علىٰ أنّ الضّمير للقرأن و ظاهر الكلام أنّ القرأن نزل دفعةً واحدة في ليلة القدر إذ لا دلالة عـلىٰ التّـبعيض فـي الكلام و فيه أقوال:

أحدها: أنّه أي القرأن نزل نزولاً جمليّاً علىٰ النّبي غير نزوله التّـدريجي فـي مدّة ثلاث و عشرين سنة كما يشير إليه أي إلىٰ التَّدريج:

قال اللّه تعالى: **وَ قُرْاٰنًا فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنّٰاسِ عَلٰى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِيلًا**(١).

قال اللّه تعالى: **وَ قُرْاٰنًا فَرَقْنٰاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنّٰاسِ عَلٰى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنٰاهُ تَنْزِيلًا**(٢).

و هذا ما ذكره بعض المفسّرين في تفسيره لهذه الآية.

الثّاني: أنّ معنىٰ قوله: **أَنْزَلْنٰاهُ** إبتدأنا بإنزاله و المراد إنزال بعض القرأن

الثّالث: أنّ القرأن نزل علىٰ جبرئيل عليه السلام جملة واحدة فـي ليـلة القـدر مـن اللّوح المحفوظ إلىٰ سماء الدّنيا إلى بيت العزّة و إملاء جبرئيل عـلىٰ السَّـفرة و هم الملائكة ثمّ كان جبرئيل ينزله علىٰ النّبي صلى الله عليه و آله و سلم نجوماً و كـان بـين أوَّله و أخره ثلاث و عشرون سنة قاله إبن عبّاس.

الرّابع: أنّ القرأن نزل في شهر رمضان في ليلة القدر و فى ليلة مباركة جملة واحدة من عند اللّه من اللّوح المحفوظ إلىٰ السَّفرة الكرام الكاتبين في السّـماء الدّنيا فنَّجمته السَّفرة علىٰ جبرئيل عشرين سـنة و نـجَّمه جـبرئيل عـلىٰ النّـبي عشرين سنة، قاله إبن عبّاس.

١- الإسراء = ١٠٦   ٢- الفُرقان = ٣٢

و هذا القول ضعيف إذ لا واسطة بين اللّه و جبرئيل و محمّد صلى الله عليه و آله و سلم فهذه الأقوال ذكروها في المقام ولنا في المقام قولٌ أخر.

و هو أنّ اللّه تعالىٰ أنزل القرأن في ليلة القدر من مقام الرُّبوبي علىٰ اللّوح المحفوظ جملة واحدة تشريفاً و علىٰ صدر النّبي و قلبه تكويناً بمعنىٰ أنّ اللّوح المحفوظ في التّكوين هو صدر النّبي و لا يبعد أن يكون قوله تعالىٰ: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**[١] هو هذا المعنىٰ بل لا معنىٰ لإنشراح الصَّدر إلاّ أنّ إظهار الأيات في مدّة ثلاث و عشرين سنة وكان بأمرٍ من اللّه علىٰ وجه إقتضت الحكمة فيه و محصّل الكلام أنّ مقام النُّزولكان دفعيّاً و مقام الإظهار كان تدريجاً و علىٰ هذا فكان جبرئيل واسطة في الإذن لا غيره.

وَ مَآ أَدْرَيٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ

إختلفوا في تعيين ليلة القدر بعد إتّفاقهم علىٰ أنّها في شهر رمضان، و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ لم يبيّن أنّ اللّيلة أيَّة ليلةٍ هي غير ما في قوله تعالىٰ: **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْاٰنُ**[٢].

فأنّ الآية تدُّل علىٰ أنّ نزول القرأن كان في شهر رمضان، فهذه الآية بإنضمام قوله: **إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ** تدُّل علىٰ أنّ ليلة القدر تكون في رمضان و هذا القدر ممّا لا خلاف فيه بين العامّة و الخاصّة أمّا أنّ ليلة القدر أيّة ليلةٍ منه فعلمه عند اللّه و لعلَّ المصلحة إقتضت إخفاؤها في ليالي الشّهر و الّذي يظهر من الأخبار الواردة عن أهل البيت أنّها في ليلة تسع عشرة و ليلة إحدىٰ و عشرين و ليلة ثلاث و عشرين.



و في بعض الأخبار، ليلة إحدىٰ و عشرين أو ثلاث و عشرين.

فمن الأوّل: ما رواه عبد اللّه بن بُكير عن زرارة عن أحدهما، قال: سألته عن اللّيالي الّتي يستحّب فيها الغسل في شهر رمضان

١- الانشراح = ٢١٢ ٢- البقرة = ١٨٥

فقال عليه السلام ليلة تسع عشرة و ليلة إحدىٰ و عشرين وليلة ثـلاث و عشرين إنتهىٰ موضع الحاجة منه.

و عن حمّاد بن عثمان عن حسّان بن أبي علّي قال: سألت أبا عبد اللّه عن ليلة القدر قال عليه السلام أطلبها في تسع عشرة و إحدىٰ و عشرين و ثلاث و عشرين إنتهى.

و من الثّاني: ما رواه حسّان بن مهران عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال، سألته عن ليلة القدر قال عليه السلام إلتمسها ليلة إحدىٰ و عشرين أو ليلة ثلاث و عشرين إنتهى.

و عن علّي بن أبي حمزة الثّمالي قال كنت عند أبي عبد اللّه فقال له أبو بصير جعلت فداك ايُّ ليلةٍ التّي يرجىٰ فيها ما يرجىٰ فقال عليه السلام: في إحدىٰ و عشرين أو ثلاث و عشرين قال فأن لم أقْو علىٰ كلّتيهما فقال عليه السلام ما أيسر ليلتين فيما تطلب إنتهىٰ موضع الحاجة منه.

و الأخبار بهذه المضامين كثيرة تدور بين ليلتين أو ثلاث ليالٍ ولعلّ الإمام عليه السّلام لم يكن مأموراً بتعيينها أو كان العلم به مختّصاً باللّه تعالىٰ مثل علم السّاعة و اللّه أعلم و لذلك قال تعالىٰ مخاطباً لنبيّه.

وَ مَآ أَدْرٰيكَ مٰا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ الخطاب للنبي أي و ما أدريك يامحمّد ما ليلة القدر ثمّ أشار اللّه تعالىٰ إلىٰ فضلها و شرفها.

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ

قيل معناه العبادة في ليلة القدر خيرٌ من عبادة ألف شهر، و قيل معناه في ألف شهرٍ لا تكون فيه ليلة القدر.

و قيل لأنّ تلك اللّيلة يقسم فيها الخير الكثير الّذي لا يوجد مثله في ألف شهر.

و قيل عني بألف شهر جميع الدَّهر لأنّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كما قال تعالىٰ: **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْيُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**(١) يعني جميع الدَّهر.

و قيل أنّ العابد فيما مضىٰ لا يسمّىٰ به حتّىٰ يعبد اللّه ألف شهر، ثلاثاً و ثمانين سنة و أربعة أشهر، فجعل اللّه تعالىٰ لأمّة محمّد ﷺ عبادة ليلة خيراً من ألف شهر كانوا يعبدونها.

و قد ذكر القرطبي أقولاً كثيرة في تفسيره لهذه الآية إن شئت فراجعه و ذكر في أخر كلامه حديثاً عن الترمذي قال و فى التّرمذي عن الحسن بن علّي رضي اللّه عنهما أنّ رسول اللّه ﷺ أري بني أمّية علىٰ منبره فساءه ذلك، فنزلت: **إِنَّآ أَعْطَيْنٰاكَ ٱلْكَوْثَرَ**(٢) يعني نهراً في الجنّة و نزلت **إِنَّآ أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ، وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مٰا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ، لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** يملكها بعدك بنو أمّية. ،

قال القاسم بن الفضل الحدّاني، فعدَّدتها فإذا هي ألف شهر لا يزيد ينقص يوماً قال حديثٌ غريبٌ إنتهىٰ.

أقول لم يبيّن القرطبي وجه غرابة الحديث و لعلَّه لم يرض لبني أمّية أن يكونوا كذلك، و إلاّ فهذا الحديث مشهور في كتب الأخبار نقلته العامّة و الخاصّة و فى بعضها رآهم النّبي بصورة القردة و الخنازير في المنام علىٰ منبره و من المعلوم أنّهم كانوا أخبث منها بمراتب كيف لا و هم الشَّجرة الملعونة و الخبيثة في القرأن.

تَنَزَّلُ ٱلْمَلاَئِكَةُ وَ ٱلرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلاٰمٌ هِيَ حَتّٰى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ

إختلفوا في المراد بالرُّوح فالمشهور أنّ الرُّوح هو جبرئيل عليه السّلام و قيل هو ملكٌ أعظم من الملائكة.

١- البقرة = ٢٠٦ ٢- الكوثر = ١

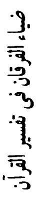
و قيل الرُّوح صنفٌ من الملائكة جعلوا حفظة علىٰ سائرهم و أنّ الملائكة لا يرونهم كما لا نرىٰ نحن الملائكة.

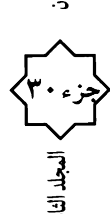
و قيل هم أشرف الملائكة و أقربهم إلىٰ اللّه.

و قيل أنّهم جندٌ من جنود اللّه من غير الملائكة و الأقوال فيه أيضاً كثيرة لا دليل عليها عقلاً و لا نقلاً و معنى الآية أنّهم أي الملائكة و الرُّوح يهبطون إلىٰ الأرض بأمره تعالىٰ لمعط الأعمال و ثبتها في صحائف أعمال العباد الّذين عملوا بوظائفهم المقّررة في ليلة القدر و قوله (سلامٌ) هو سلام الملائكة بعضهم علىٰ بعضٍ إلى طلوع الفجر و معنىٰ **سَلَٰامٌ** أي ليلة القدر سلامةٌ و خيرٌ كلّها لا شرَّ فيها.

و قيل أي هي سلامٌ أي ذات سلامةٍ من أن يؤثّر فيها شيطانٍ، و المطلع بكسر اللاّم و فتحها لغتان في المصدر و الفتح هو الأصل في فعل يفعل نحو المقتل و المخرج، و الكسر علىٰ أنّه ممّا شذَّ من قياسه نحو المشرق و المغرب و المبيت و أمثال ذلك.

■

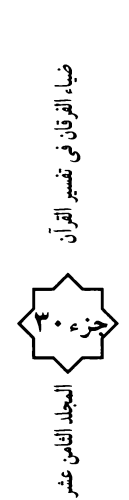




سُورَةُ ٱلْبَيِّنَةِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتٰابِ وَ ٱلْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ ٱللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَ مٰا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتٰابَ إِلّٰا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَ مٰآ أُمِرُوٓا إِلّٰا لِيَعْبُدُوا ٱللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفٰآءَ وَ يُقِيمُوا ٱلصَّلٰوةَ وَ يُؤْتُوا ٱلزَّكٰوةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتٰابِ وَ ٱلْمُشْرِكِينَ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰآ أُولٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّٰالِحٰاتِ أُولٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزٰآؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰآ أَبَدًا رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾



◀ اللّغة

مُنفَكِّينَ: الانفكاك الإنفصال.

ٱلْبَيِّنَةُ: بفتح الباء وكسر الياء الشّاهد.

صُحُفًا: الصُّحف جمع صحيفة و هى ظرف المكتوب.

كُتُبٌ: بضّم الكاف والتّاء جمع كتاب.

قَيِّمَةٌ: القيّمة المستمرة علىٰ جهة الصّواب فهو علىٰ وزن فعيلة من قام الأمر يقوم به إذا أجراه في جهة الإستقامة.

حُنَفَآءَ: جمع حنيف و هو المائل إلىٰ الحقّ و الحنيفة الشّريعة المماثلة إلىٰ الحقّ و أصله الميل.

ٱلْبَرِيَّةِ: الخليقة و هى فعيلة من برأ اللّه الخلق إلاّ أنّه ترك فيه الهمزة و من همز فعلىٰ الأصل و يجوز أن يكون، فعيلة، من البري و هو التّراب.

◀ الإعراب

وَ ٱلْمُشْرِكِينَ هو معطوف علىٰ أهل وَ مُنفَكِّينَ خبر كان مِنْ أَهْلِ حالٌ من الفاعل في، كفروا رَسُولٌ بدل من البيّنة أو خبر مبتدأٍ محذوف مِنَ ٱللَّهِ صفة لرسول أو متعلّقاً به يَتْلُوا حال من الضّمير في الجارّ أو صفة لرسول و يجوز أن يكون حالاً من الصُّحف و مُخْلِصِينَ حال من الضّمير في، يعبدوا وَ حُنَفَآءَ حال أخرىٰ فِي نَارِ جَهَنَّمَ هو خبر، أنّ وَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ حالٌ من الضّمير في الخبر و أَبَدًا ظرف زمانٍ و اللّه أعلم.

◀ التّفسير

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَ ٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ

أهل الكتاب قيل المراد به اليهود الّذين كانوا بيثرب و هم، قريظة و النَّضير و بنو قينقاع، و المشركون كانوا بمكّة و حولها و المدينة و حولها و هم عبدة الأوثان.

و قيل المراد بأهل الكتاب اليهود و النّصارىٰ و هو الحقّ إذ لا دليل علىٰ تخصيص أهل الكتاب باليهود و معنىٰ الآية أنّ اللّه تعالىٰ أخبر فيها أنّ الكفّار من أهل الكتاب و المشركين لم يكونوا منّفكين أي منتهين عن كفرهم و مائلين عنه بل هم مستّمرون و ثابتون علىٰ كفرهم و عبادة أوثانهم حتّىٰ تأتيهم البيّنة أي محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

و قيل الإنتهاء بلوغ الغاية أي لم يكونوا ليبلغوا نهاية أعمارهم فيموتوا حتّىٰ تأتيهم البيّنة فالإنفكاك علىٰ هذا بمعنىٰ الإنتهاء.

و قيل معنىٰ منّفكين، زائلين أي لم تكن مدّتهم لتزول حتّىٰ تأتيهم رسول.

و قال الفّراء معناه لم يكونوا منّفكين من حجج اللّه بصفتهم للنّبي أنّه في كتابهم.

أقول معنىٰ الكلام لا خفاء فيه و هو أنّهم باقون علىٰ كفرهم مصّرون عليه حتّىٰ تأتيهم البيّنة و هى النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و ذلك لأنّ أوصاف النّبي كانت مكتوبة في التّوراة و الإنجيل و أيُّ شاهدٍ أقوىٰ من إنطباق الأوصاف علىٰ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و أمّا الإنفكاك فهو علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يراد به لا يزال و لابدّ له من خبرٍ و حرف الجحد.

الثّاني: أن يراد به الإنفصال فلا يحتاج إلىٰ خبرٍ و لا حرف جحدٍ، كقولك إنفكّ الشّيء عن الشّيء، فالإنفكاك في الآية من قبيل الأوّل لكونه مسبوقاً بحرف الجحد و كيف كان هو إنفصال عن شدّة إجتماع و أكثر ما يستعمل ذلك في النّفي كما أنّ (مازال) كذلك تقول ما إنفكّ من هذا الأمر أي ما إنفصل منه لشدّة ملابسته له.

و معنىٰ الآية أنّ هـؤلاء الكـفّار لا يـفارقون الكـفر إلىٰ أن تأتـيهم البـيّنة أي الحجج الظّاهرة التّي يتَّميَّز بها الحقّ عن الباطل.

رَسُولٌ مِنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً، فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ

كأنّه قيل ما البيّنة في المـقام، قـال رسـولٌ يـتلوا صـحفاً مـطّهرة، فـالرَّسول مرفوعٌ علىٰ البدل عن (البيّنة) أي أنّ البيّنة القائمة لهو هو الرّسـول الّـذي يـتلوا عليهم، أي علىٰ الكفّار صحفاً مطّهرة من اللّـه تـعالىٰ التّـي مـنّزهة عـن الزُّور و الشكّ و النّفاق و الضّلالة، و قيل من الباطل.

و قيل من الكذب و الشُّبهات و المعنىٰ واحد قيل معنىٰ مطّهرة أنّه لا يمَّسها إلاّ الملائكة المطّهرون من الأنجاس فقوله: **مُطَهَّرَةً** نعتٌ للصُّحف، و هو كقوله: **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ**(١).

فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ أي مستقيمة مستوية مـحكمة، قـيل الكـتب القـيمّة هـيّ القرأن جعله كتباً لأنّه يشتمل علىٰ أنواعٍ من البيان.

مٰا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتٰابَ إِلّٰا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ

أخـبر اللّـه تـعالىٰ أنّ هـؤلاء الكـفّار مـا تـفَّرقوا أي مـا إخـتلفوا فـي نـبوة النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و بعبارةٍ أخرىٰ أنّهم كانوا مجمعين متَّفقين علىٰ نبّوته قبل مـجيئه لأنّهم وجدوه في كتبهم من صفاته المذكورة فيها، فـلمّا أتـاهم الرّسـول بـالبيّنة الظّاهرة و المعجزة القاهرة تفّرقوا وإختلفوا فأمن بعضهم وكفر بعضهم.

قال بعض المفسّرين و فى ذلك دلالة علىٰ بطلان قول من يقول أنّ الكـفّار خلقوا كفّاراً في بطون أمّهاتهم لأنّه تعالىٰ بيَّن أنّـهم لم يـختلفوا فـي ذلك قـبل مجيئ النّبي و إتيانه بالمعجزات و الأدلّة.

١- عَبَس = ١٣ و ١٤

أقول ما ذكره حقّ فأنّ سبب الإختلاف هو حبّ الدّنيا و هو لا ينافي الإعتقاد بصدق النّبي في ما إدّعاه من النّبوة كما هو شأن المنافق.

وَ مَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

الواو للحال أي أنّهم كانوا كذلك أي أنكروا النّبوة والحال أنّهم كانوا مأمورين من قبل اللّه بواسطة نبيّهم الّذي بعث إليهم بأن يعبدوا اللّه مخلصاً لا يخلصون بعبادته و عبادة غيره و فيه إشارة إلىٰ أنّهم لم يراعوا ما أمرهم اللّه و إتّبعوا أهوائهم و أميالهم النّفسانية لا أنّهم لم يعلموا ما هو الحقّ.

و قوله: **حُنَفَآءَ** و يقيموا الصّلاة و يؤتوا الزّكاة و ذلك دين القيّمة، أي كانوا مأمورين بعبادة اللّه مخلصاً له و أن يكونوا حنفاء جمع حنيف و هو المائل إلىٰ الحقّ و المعرض عن الباطل و الحنفيّة الشّريعة المائلة إلىٰ الحقّ و أصله الميل و قيل أصله الإستقامة و الحاصل أنّهم كانوا مأمورين بذلك و أن يقيموا الصّلاة و يؤتوا الزّكاة و ذلك أيّ العبادة علىٰ سبيل الإخلاص و الميل إلىٰ الحقّ و الإعراض عن الباطل و إقامة الصّلاة و إيتاء الزّكاة، هي الدّين القيّمة المستقيمة التّي لا عوج فيه لا ما إختاروه لأنفسهم من الكفر بالنّبوة و الشّرك باللّه تعالىٰ ثمّ بعد ذلك أشار اللّه تعالىٰ بأحوال الكفّار و المؤمنين يوم القيامة فقال في الكفّار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَ ٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ

أي شرّ الخليقة و هؤلاء اليهود و النّصارىٰ من أهل الكتاب الّذين أنكروا نبّوة النّبي و قد مرّ ذكرهم.

حكم اللّه تعالىٰ عليهم بالخلود في نار جهنّم و أنّهم من شرّ البّرية لأنّهم عرفوا الحقّ بقلوبهم و أنكروا بألسنتهم و من المعلوم أنّ من أنكر الحقّ بعد معرفته أخبث ممّن لم يعرف الحقّ أصلاً و لذلك قال هم شرّ البّرية أوضحنا

البَّرية في شرح اللّغات من حيث الإشتقاق و قلنا أنّها من برأ اللّه الخلق أي أوجدهم أو بمعنىٰ التُّراب، من البري و هو التّراب، ثمّ أخبر اللّه عن أحوال المؤمنين يوم القيامة و هم الذّين كانوا من أهل الكتاب و أمنوا بالنّبي ﷺ فقال:

إِنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ

لأنّهم عرفوا الحقّ بقلوبهم و أظهروا به بألسنتهم فهم خير البَّرية و فى قوله: **وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ** إشارة إلىٰ أنّ الإيمان مقرونٌ بالعمل فمن آمن باللّه و رسوله جاء به من عند اللّه و عمل صالحاً فهو خير الخلق قولاً واحداً و مأواه الجنَّة كما قال:

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أي في الجنَّة **أَبَدًا** أي دائماً يخرجون منها أصلاً **رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** رضي اللّه عنهم، لإيمانهم و أعمالهم في الدّنيا، و رضوا عنه، أي رضوا عن ربّهم، لأنّ اللّه أعطاهم من الثّواب الجميل ما لا عينٌ رأت و لا أذنٌ سمعت خلَّدهم في الجنّة التّي فيها ما تشتهيه الأنفس و تلَّذ به الأعين ولمثل هذا فليعمل العاملون.

ثمّ قال تعالىٰ ذلك المقام و الثّواب لمن خشي ربّه أي لمن خاف اللّه فترك معاصيه و فعل طاعته و فيه إشارة إلىٰ حسن إعتقاده.

■

سُورَةُ ٱلزِّلْزالِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذاٰ زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزاٰلَـهاٰ ﴿١﴾ وَ أَخْـرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقاٰلَهاٰ ﴿٢﴾ وَ قاٰلَ ٱلْإِنْساٰنُ ماٰ لَهاٰ ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْباٰرَهاٰ ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهاٰ ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنّاٰسُ أَشْتاٰتًا لِيُرَوْا أَعْماٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقاٰلَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقاٰلَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

◀ اللّغة

زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ: الزَّلزلة شدّة الإضطراب بما يهدم البنيان.

أَثْقاٰلَهاٰ: فالأثقال جمع ثقل.

يَصْدُرُ: أي ينصرف فالصّادر المنصرف.

أَشْتاٰتًا: أي متّفرقين التَّشتت التَّفرق.

مِثْقاٰلَ: مفعالٌ من الثِّقل.

◀ الإعراب

إِذاٰ زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ العامل في، إذا، جوابها و هو قوله، يـحدّث، أو يـصدر

يَوْمَئِذٍ بدل من، إذا أَشْتٰاتًا حال و الواحد، شتت و اللاّم في لِيُرَوْا۱ متعلّق بيصدر خَيْرًا۱ و شَرًّا۱ بدلان من مثقال ذرّة و يجوز أن يكون تمييزاً.

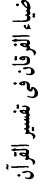
◄ التّفسير

إِذٰا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا

الزّلزال والزَّلزلة الإضطراب الشّديد بما يهدم البنيان يقال زلزل يزلزل زلزالاً فالزّلزال بكسر الزّاى المصدر و بفتحها الإسم.

و قال الحسن، زلزلت و رجّت و رجفت بمعنىٰ واحد.

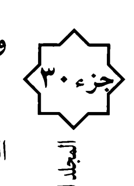
و قال في المفردات الزّلزلة الزَّعزعَة من الرُّعب أخبر اللّه تعالىٰ في هذه السُّورة عن أهوال يوم القيامة وعدَّ من علاماتها زلزلة الأرض فقال: **إِذٰا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ** و إضطربت شديداً بحيث يوجب تلاشيها وإنهدامها ثمّ أشار إلىٰ علامة ثانية و قال:



وَ أَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا

أي أخرجت ما في بطنها من الأثقال التّي كانت مدفونة فيها من الكنوز و قيل من الموتىٰ و غيرها ممّا في بطنها.

وَ قٰالَ ٱلْإِنْسٰانُ مٰا لَهٰا



أي ما للأرض زلزلت و إضطربت يقول ذلك من شدّة الرُّعب و كثرة التَّعجب، و قيل معناه ما لها أخرجت أثقالها أي لأيّ شيءٍ زلزلت.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا

هو جواب (إذا) و المعنىٰ ذلك اليوم تحدّث الأرض أخبارها، أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خيرٍ أو شرٍّ.

فقد روي أبو هريرة أنّ رسول اللّه ﷺ قرأ هذه الآية و قال، أتدرون ما أخبارها قالوا اللّه و رسوله أعلم قال ﷺ فإنّ أخبارها أن تشهد علىٰ كلّ عبدٍ أو أمةٍ ما عمل علىٰ ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا، قال ﷺ فهذه أخبارها.

و قيل تحدّث أخبارها، بما أخرجت من أثقالها.

و قيل تحدّث الأرض بقيام السّاعة و أنّ أمر الدّنيا قد إنقضىٰ و أمر الأخرة قد أتىٰ فيكون ذلك منها جواباً لقولهم (ما لَها) و فيه وعيد للكافر و إنذارٌ و تخويفٌ للمؤمن.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَها

أي أنّها تحدَّثت أخبارها بوحي اللّه لها أي إليها، و قيل، أوحىٰ لها، أي أمرها.

وقيل قال لها، و هذا من قبيل قوله تعالىٰ: **وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبالِ بُيُوتًا**[١] و قد تكلّمنا في معنىٰ الوحي هناك بما لا مزيد عليه و قلنا أنّ الوحي لا يختّص بالتّشريع فإنّه قد يكون في غيره ففي المقام معنىٰ تحدّث أخبارها أنطقها اللّه فإنّ من خلق الأرض قادرٌ علىٰ إنطاقها كيف يشاء.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنّاسُ أَشْتاتًا لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ

يعني يوم القيامة يصدر النّاس أشتاتاً، أي مختلفين متّفرقين فرقاً فرقاً ليروا أعمالهم، أي ثواب أعمالهم و عقابها، و الصّادر هو المنصرف من أقطار الأرض لأجل الحساب.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

١- النّحل = ٦٨

فإنّ اللّه تعالىٰ لا يضيع عمل عاملٍ بمقتضىٰ عدله فإن كان خيراً قلَّ أو كثر يثاب عليه و إن كان شرّاً يعاقب عليه.

و محصّل الكلام أنّ الإنسان يرىٰ نتيجة أعماله في الأخرة فإنّ الدّنيا مزرعة الأخرة و فيها عملٌ و لا حساب و فى الأخرة حسابٌ و لا عمل كما قال اللّه تعالىٰ: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا**[1] و قد مرَّ الكلام في هذا الباب فيما مضىٰ.

فعن روضة الكافي في كلامٍ لعلّي عليه السلام في الوعظ و الزّهد في الدُّنيا يقول عليه السلام فيه، يابن أدم أنّ وراءك هذا أعظم و أفظع و أوجع للقلوب يوم القيامة يوم لا تقال فيه عثرة و لا يؤخذ من أحدٍ فدية و لا تقبل من أحدٍ معذرة، و لا لأحدٍ فيه مستقبل توبة ليس إلاّ الجزاء بالسّيئات فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدُّنيا مثقال ذرّةٍ من خيرٍ وجده و من كان من المؤمنين عمل في هذه الدّنيا مثقال ذرّةٍ شرّاً وجده إنتهىٰ.

و قال عبد اللّه بن مسعود، أحكم أيةٍ في القرأن، **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** إلىٰ أخر السُّورة، و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يسمّيها الجامعة إنتهىٰ.

و في تفسير علّي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ يقول عليه السلام أن كان من أهل النّار قد كان في الدّنيا فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ يوم القيامة حسرةً أنّه كان عمله لغير اللّه وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ يقول أن كان من أهل الجنّة رأىٰ ذلك الشّر يوم القيامة ثمّ غفر له إنتهىٰ.

١- أل عمران = ٣٠

أقول الحقّ أنّ الآية من أحكم الأيات و يستفاد منها إنّ الثّواب و العقاب متّرتبٌ علىٰ نفس العمل فمن عمل خيراً مؤمناً كان أو كافراً أو فاسقاً يرىٰ نتيجة عمله و أن عمل شرّاً فكذلك و ليس معنىٰ الكلام أنّ الكافر و الفاسق و المشرك إذا عمل صالحاً يدخل الجنّة و ذلك لأنّ اللّه حرّمها علىٰ الكافرين بل معناه أنّه تعالىٰ لا يضيع أجره بمقتضىٰ عدله بأيّ نحوٍ شاء أو أراد فيعطيه جزاء عمله لأنّ الجزاء متّرتبٌ علىٰ نفس العمل من أيّ شخصٍ صدر و ما ربّك بظلّامٍ للعبيد.

■

سُورَةُ ٱلْعَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾
فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾
فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾
وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَ إِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ
لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾
وَ حُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴿١١﴾

◀ اللّغة

وَ ٱلْعَادِيَاتِ: الواو للقسم أي أقسم بالعاديات يعني الخيل و قيل الإبل مشتّقة من العدو أي عدو الفرس و هو سرعتها.

ضَبْحًا: نصب على المصدر والضَّبح شدّة النَّفس عند العدو، قال الفّراء الضَّبح صوت أنفاس الخيل إذا عدون.

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا: فالموريات بضّم الميم هي الخيل توري بحوافرها سناكبها. و قال إبن عبّاس أورت بحوافرها غباراً، و القدح الإستخراج و منه قدحت العين إذا خرج منها الماء الفاسد.

فَالْمُغِيراٰتِ صُبْحًا: المغيرات من الإغارة و هى الخيل تغير علىٰ العدُّو عند الصُّبح.

فَأَثَرْنَ: يعني الخيل تثير الغبار بشدّة العدو في المكان الّذي أغارت بـه، و النَّقع الغبار.

لَكَنُودٌ: أي لكفور.

بُعْثِرَ: أي أثير و قلب.

◀ الإعراب

صُبْحًا مصدر في موضع الحال أي و العاديات صابحة صُبْحًا ظرف و جَمْعًا حال إِذاٰ بُعْثِرَ العامل في، إذا، يعلم.

◀ التّفسير

وَ ٱلْعٰادِيٰاتِ ضَبْحًا

الواو للقسم و الباقي معطوف عليه بـالفاء، أقسم اللّه تعالىٰ بما ذكره في هذه الأيات فالعاديات الخيل و عليه أكثر المفسّرين الإبـل و إنّـما عبَّر عـن الخيل بالعاديات لأنّ المراد الأفراس التّي تعدو فـي الجـهاد فـي سبيل اللّـه لا مـطلق الفرس و لذلك قال ضبحاً فإنّ الضّبح صوت أنفاس الخيل إذا عدون.



قال إبن عبّاس لا شيّ من الحيوان يضبح غـير الفـرس و الكـلب و الثّـعلب كانت تلعَّم لئّلا تصهل فكانت تتَّنفس في هذه الحال بقوّة قال أهل اللّغة أصـل الضَّبح و الضّباح للتّغالب فأستعير للخيل و هو من قول العرب ضبيحة النّار إذا غزت لونه ولم تبالغ فيه وإنضبح لونها إذا تغيَّر إلىٰ السَّواد قـليلاً و إنّـما تـضبح جده الحيوانات إذاٰ تغيَّرت حالها من فزع و تعبٍ أو طمعٍ و نصب ضبحاً علىٰ المصدر أي و العاديات تضبح ضبحاً، و الضَّبح هو السَّير بسرعة.

و قال بعض المفسّرين المراد بالعاديات الإبل تعدو في الحجّ و المشهور عندهم هو القول الأوّل فأنّ الضَّبح عند أهل اللُّغة في الخيل أظهر من الأبل فمعنىٰ الآية أقسم بخيول الغزاة في سبيل اللّه.

فَٱلْمُورِيٰاتِ قَدْحًا

إختلفوا في الموريات فالمشهور عند المفسّرين يعني الخيل حين توري النّار بسنابكها حال العدو.

قيل هم الذّين يورون النّار بعد إنصرافهم من الحرب.

و قيل المراد بها أبطال الرّجال.

و قيل المراد بها الأسنّة و أصل القدح الإستخراج و منه قدحت العين إذا أخرجت منها الماء الفاسد و قد نقل المفسّرون أقوالاً كثيرة كلّها مجاز لا فائدة في ذكرها و المشهور هو القول الأوّل و أن أردت الوقوف علىٰ جميع الأقوال فعليك بتفاسير العامّة كالقرطبي و الطَّبري و أمثالهما.

فَٱلْمُغِيرٰاتِ صُبْحًا

يعني الخيل الّتي تغير علىٰ العدو عند الصُّبح قيل و كانوا إذا أرادوا الغارة يأتون العدو صبحاً لأنّ ذلك وقت غفلة النّاس و منه.

قوله تعالىٰ: **فَسَآءَ صَبٰاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ**[١] و الإغارة سرعة السَّير.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا

هو من الإثارة يعني الخيل تثير الغبار بشدّة العدو في المكان الّذي أغارت به، و النَّقع الغبار.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا

١- الصّافات = ١٧٧

قيل معناه فوسطن الخيل بركبانّهن العدو، و قيل وسطن بذلك المكان جمع العدّو، و قال مجاهد يعني جمع الفريقين.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ

جواب القسم أي لكفور فالكنود الكفور الأرض الكنود الّتي لا تنبت شيئاً، و منه قول الشّاعر:

كنودٌ لنعماء الرّجال و من يكن كنوداً لنعماء يتبّعد

أي كفورٌ، و قيل الكنود من، كند، إذا قطع، كأنّه يقطع ما ينبغي أن يواصله من الشُّكر يقال، كند الحبل إذا قطعه و المقصود أنّ طبع الإنسان علىٰ كفر النِّعمة و لذلك قيل: إتَّق شرّ من أحسنت اليه.

و لنعم ما قيل فيه:

يا أيّها الظّالم في فعله و الظُّلم مردودُ علىٰ من ظلم

الىٰ متىٰ أنت و حتّىٰ أمتىٰ تشكوا المصيبات و تنسي النعم

و قال إبن عبّاس الكنود بلسان كندة و حضر موت العاصي و بلسان ربيعة و فضر الكنوز و بلسان كنانة البخيل السّئ الملكة.

و الحقّ أنّ الكنود، الّذي يرىٰ النِّعمة و لا يرىٰ المنعم، أو هو الّذي إذا مسَّه الشرّ جزوعٌ و إذا مسَّه الخير منوع و الجميع يرجع الىٰ الكفران و الجحود.

وَ إِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ

جزء ۳۰

قيل و أنّ اللّه تعالىٰ علىٰ ذلك الكفران من أولاد آدم لشهيدٌ و قال بعض المفسّرين معناه أنّ الإنسان لشاهد علىٰ نفسه بما يصنع من الكفران و لكلّ واحدٍ من القولين وجهٌ وجيه.

فعلىٰ القول الأوّل، الضّمير في (و أنّه) يرجع علىٰ الرَّب و علىٰ الثّاني علىٰ الإنسان و قد تقدَّم ذكرهما في الآية السّابقة.

وَ إِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ

تقديره أنّه لشديد الحبّ للخير.

و قيل أنّه لشديد الحبّ للمال فهو يظلم النّاس بمنعه عنهم.

و قيل معناه أنّه لشحيحٌ أي بخيلٌ يمنع منه حقّ اللّه، و أنـمّا قـالوا ذلك لأنّ الخير المال قال اللّه تعالىٰ: **إن تَرَكَ خيراً** الآية أي مالاً و علىٰ هذا فالخير المـال و لذلك:

قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم منهومان لا يشبعان طـالب العـلم و طـالب المال، فطالب المال حريصٌ علىٰ جمعه و بخيلٌ علىٰ إنفاقه في سبيل اللّه و لا نعني بالكفران إلاّ هذا فإنّ الشُّكر علىٰ النِّعمة إنـفاقها فـي طاعة اللّه و هو الّذي يعبّر عنه بالشُّكر العملي و قد قيل إنّ حقيقة الشُّكر صرف العبد جميع ما أنعم اللّه عليه في طريق طاعته كما أنّ حقيقة الكفران بالعكس.

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ

أي أفلا يعلم الإنسان إذا بعثر و أخرج ما في القبور قال أبو عـبيدة بـعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه، و ذلك حين يبعثون.

وَ حُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ.

أي ميَّز الحقّ من الباطل و الخير من الشرّ.

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ

أي إنّ ربّهم ذلك اليوم و هو يوم القيامة خبيرٌ عالمٌ بأحوالهم لا يخفىٰ عليه شئ فيجازيهم في ذلك اليوم علىٰ قدر إستحقاقهم.

■

سُورَةُ ٱلْقَارِعَةِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَ مَآ أَدْرٰيكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رٰاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هٰاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مٰا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نٰارٌ حٰامِيَةٌ ﴿١١﴾

◄ للّغة

ٱلْقٰارِعَةُ: البلّية الّتي تقرع القلب بشدّة المخافة يقال قرع يقرع قرعاً الصّوت بشدّة إعتماد.

كَالْفَرٰاشِ ٱلْمَبْثُوثِ: فالفراش الطّير الّذي يتساقط في النّار و السّراج و الواحدة، فراشة، و قال الفرّاء أنّه الهمج الطّائر من بعوضٍ و غيره و منه الجراد و المبثوث المتفرّق المنتشر.

كَالْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ: فالعهن بكسر العين الصوف، و المنفوش ما ينفش باليد.

هٰاوِيَةٌ: يعني جهنّم.

مٰا هِيَهْ: الأصل، ما هي فدخلت الهاء للسّكت.

حٰامِيَةٌ: أي شديدة الحراة، لأنّها مأخوذة من الحمى.

◀ الإعراب

يَوْمَ يَكُونُ العامل فيه، القارعة نٰارٌ خبر مبتدأ محذوف أي هي نـارٌ حـامية أي متّصفة بها في الحرارة.

◀ التّفسير

اَلْقٰارِعَةُ مَا اَلْقٰارِعَةُ، وَ مٰآ أَدْرٰيكَ مَا اَلْقٰارِعَةُ

القارعة مأخوذة من القرع و هو الصَّوت الشّديد و قيل هي البلّية الّتي تـقرع بشدّة المخافة.

أقول العرب، قرعتهم القارعة و فقرتهم الفاقرة إذا وقع بهم أمـرٌ فـظيعٌ، كـما قال الشّاعر:

و قـــارعة مـــن الأيّـــام لولا ســـبيلهم لزاحت عـنك حـيناً

و قال الأخر:

مـتىٰ تـقرع بـمروتكم تسـؤكم ولم تـوقد لنـا فـي القـدر نـارُ

ثمّ بيّن اللّه القارعة فقال:

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنّٰاسُ كَالْفَرٰاشِ ٱلْمَبْثُوثِ

يوم، منصوب علىٰ الظّرف تقديره تكون القارعة يوم يكون النّاس كالفراش المبثوث، أي كالطّير الّذي يتساقط في النّار و السّراج و الواحدة فـراشـة و قـيل أنّه الهمج الطّائر من بعوضٍ و غيره و منه الجراد، و فيه قيل.

طـــوّيشُ مـــن نـــقر أطـباشٍ أطـــيش مـــن طـائره الفـراش

و لأخر:

و قـد كـان أقـوامُ رددت قـلوبهم اليهم و كانوا كالفراش من الجهل

و المبثوث المتّفرق فالبثّ التّفرق و المقصود أنّ النّاس يوم البعث كذلك و فيه إشارة الىٰ حقارتهم و ضعفهم و قال إبن عبّاس كغوغاء الجراد بركب بعضها بعضاً كذلك النّاس يجول بعضهم في بعضٍ إذا بعثوا يوم القيامة كناية عن شدّة الهول فيه.

وَ تَكُونُ ٱلْجِبالُ كَالْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ

العِهن بكسر العين الصُّوف الألوان و المنفوش مأخوذ من النَّفش و المعنىٰ تكون الجبال كالصُّوف الّذي ينفَّش بيده يقال له بالفارسيّة (پشم زده شده) و فى هذه الآية إشارة الىٰ تلاشي الجبال و تفرّق أجزاءها.

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ في عِيشَةٍ راضِيَةٍ

أي من ثقل ميزان عمله و هو كناية عن كثرة حسناته في ميزان عمله، فهو في عيشةٍ أي رفاهيّةٍ راضية لكونه في الجنّة متنعماً بأنواع النِّعم.

وَ أَمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ

خفّة الميزان كناية عن قلّة حسناته وكثرة سيّئاته والهاوية جهنّم و سمّاها أمّاً لأنّه يأوىٰ اليها كما يأوي الطِّفل الىٰ أمّه.

وَ مآ أَدْريٰكَ ما هِيَهْ نارٌ حامِيَةٌ

و الأصل و ما أدريك ما هي، و الهاء في قوله ماهية، للسكّت و المعنىٰ و ما أدريك يا محمّد ما هي، أي أيُّ شيءٍ جهنّم.

نارٌ حامِيَةٌ أي جهنّم نارٌ شديدة الحراة، و يروىٰ أنّ الهادية إسم الباب الأسفل من النّار قال عكرمة لأنّه يهوى فيها علىٰ أمّ رأسه أعاذنا اللّه منه.

■



سُورَةُ ٱلتَّكَاثُرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

◀ اللُّغة

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ: الإلهاء الصَّرف الىٰ اللّهو الإنصراف الىٰ ما يدعوا اليه الهوىٰ و التّكاثر التّباهي بكثرة المال و العدد.

ٱلْمَقَابِرَ: جمع مقبرة و هى القبر.

ٱلْجَحِيمَ: النّار و قيل جهنّم.

◀ الإعراب

لَوْ تَعْلَمُونَ جواب، لو محذوف أي لو علمتم لرجعتم عن كفركم عِلْمَ ٱلْيَقِينِ مصدر و عين اليقين، مصدر علىٰ المعنىٰ لأنّ رأىٰ و عاين بمعنىٰ واحد و اللّٰه أعلم.

◀ التّفسير

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ، حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ

الإلهاء الصّرف الىٰ اللّهو و اللّهو الإنصراف الىٰ ما يدعوا اليه الهوىٰ فينتج أنّ الإلهاء ما يدعوا اليه الهوىٰ و التّكاثر مصدر من تكاثر يتكاثر مثل تضارب يتضارب و المصدر التّفاعل و معناه التّفاخر بكثرة المناقب و المتّفاخر متّكبرٌ لأنّه تطاول بغير حقّ فالتّكاثر التّباهي بكثرة المال و الأولاد و العشيرة و العدد و أمثالها قيل ما زالوا يتباهون بالعزّ و الكثرة حتّىٰ صاروا من أهل القبور و هو معنىٰ قوله: **حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ.**

و قال بعض المفسّرين معنىٰ الآية شغلتكم المباهاة بكثرة المال و الأولاد و العدد عن طاعة اللّه حتّىٰ متّم و دفنتم في المقابر.

و قيل ألهيكم، أي أنساكم التّكاثر أي من الأموال و الأولاد.

و قيل ألهيكم التّشاغل بالمعاش و التّجارة يقال، لهيت، عن كذا أي سلوت عنه و تركت ذكره و أضربت عنه، و ألهاه أي شغله، قيل نزلت الآية في اليهود حين قالوا نحن أكثر من بني فلان و بنوا فلان أكثر من بني فلان ألهاهم ذلك حتّىٰ ماتوا ضلالاً و قيل نزلت في حيَّين من قريش، بني عبد مناف و بني سهم تعادُّوا و تكاثروا بالسّادة و الأشراف في الإسلام فقال كلّ حيٍّ منهم نحن أكثر سيّداً و أعزُّ عزيزاً و أعظم نفراً و أكثر عائذاً فكثر بنو عبد مناف سهماً ثمّ تكاثروا بالأموات في القبور فنزلت **أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ، حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ** أي لم تقنعوا بالأحياء حتّىٰ زرتم المقابر مفتخرين بالأموات هذا ما ذكروه في نزول الآية و تفسيرها و قد ظهر ممّا ذكروه أنّ في قوله: **حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ** قولين:

أحدهما: كنتم كذلك حتّىٰ دخلتم القبور.

الثّاني: لم تقتنعوا بالأحياء حتّىٰ زرتم أي عدّدتم الأموات في القبور فقوله: **زُرْتُمُ** علىٰ الأوّل كناية عن الموت.

علىٰ الثّاني: كناية عن تعديد الأموات و إلحاق الأموات بالأحياء القول أشهر بين المفسّرين و أوفق بسياق الكلام و إن كان الأوّل أيضاً ممّا لا بأس به و اللّه أعلم.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ

كلاّ حرف ردعٍ و زجرٍ أي ليس الأمر كما تظنّون من التّفاخر و التّكاثر بالأحياء و الأمواتِ و الأموال و الأولاد و غيرها و سوف تعلمون عاقبة هذا يوم القيامة **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**، فالتّكرار للتّأكيد و قيل هو وعيدٌ بعد وعيدٌ و تهديدٌ بعد تهديد.

و عن إبن عبّاس أنّه قال: **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**، ما ينزل بكم من العذاب في القبر، **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** في الأخرة إذا حلَّ بكم العذاب، و علىٰ هذا فلا تكرار في المقام واقعاً لأنّ أحدهما ناظر إلىٰ عذاب القبر و الأخر ناظر إلىٰ عذاب جهنّم في الأخرة فالتّكرار للحالتين لا للتّأكيد.

و قيل الأوّل عند الموت و الثّاني عند البعث وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنىٰ و هو أنّ الإنسان لابدّ له من الموت و من المعلوم أنّه بعد الموت يرىٰ في الأخرة ما لم يرَ في الدّنيا لأنّها أي الأخرة **يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ**[1].

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ

علم اليقين، هو العلم الحاصل بعد الشكّ و التّرديد و لهذا لا يوصف اللّه بأنّه متّيقنٌ، قاله بعض المفسّرين، و يحتمل أن يكون المراد به العلم الّذي لا

١- الطّارق = ٩

يعتريه شكّ و لا يخلطه وهمٌ و المعنىٰ ليس الأمر كما تزعمون و تعلمون، بل **لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ** بالبعث و الحساب بعد الموت.

لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ يعني قبل الدّخول فيها إذ المفروض عدم الشكّ فيها و الرُّؤية بالقلب لا بالنّظر فمن أيقن بشيءٍ كأنّه يراه بقلبه.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ

كقولهم هذا محض اليقين و مقام عين اليقين أعلىٰ و أشرف من علم اليقين، و أعلىٰ المراتب في اليقين، حقّ اليقين مختصٌّ بالأنبياء و الأوصياء و إليه الإشارة بقول أميرالمؤمنين عليه السلام **لو كشف الغطاء مإزددت يقيناً.**

إعلم أنّ مراتب اليقين ثلاثة، علم اليقين، عين اليقين، حقّ اليقين، فإذا حصل العلم بالشّيء من طريق السّمع كالأيات و الأخبار و الإستدلالات الكلامّية و البراهين العقليّة ثمّ حصل اليقين بذلك فهو علم اليقين أي اليقين الّذي حصل ببركة العلم عقلاً و نقلاً.

إذا حصل العلم بالشّيء من طريق الكشف و تهذيب الباطن الّذي يحصل بالرّياضة و التّزكية النّفس و المواظبة علىٰ الأحكام الشّرعية فعلاً و قولاً، فيعبّر هنا بعين اليقين لأنّه يرىٰ بعين قلبه ما حصل له، و قد يعبّر عنه بالمكاشفة، و إذا حصل العلم بالشّيء من إفاضة المفيض علىٰ المستفيض و بعبارةٍ أخرىٰ من مقام الألوهيّة علىٰ مقام العبوديّة من غير كسبٍ و تحصيل فهو حقّ اليقين إذ لا يعتريه شكّ أصلاً لعدم الواسطة و علم الأنبياء و الأوصياء من هذا القبيل و لذلك نقول المعصوم عن الخطأ و السّهو و النّسيان فضلاً عن الشكّ و قد مرَّ الكلام في هذا الباب فيما مضىٰ و لتفصيله مقام أخر، و على هذا فمعنىٰ الآية لو كنتم في مقام اليقين لترون الجحيم البّتة بالرّؤية القلبيّة الحاصلة لكم من طريق العلم.

ثمّ بعد ذلك **لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ** بعين اليقين و هو مقام الكشف و الشُّهود و إذا بلغتم هذا المقام تجنّبتم عن التّكاثر و التّفاخر بالمال و الأولاد و العشيرة و علمتم أنّ مصيركم و ما به تفاخركم و تكاثركم إلىٰ الفناء و العاقل لا يتفاخر بما لا بقاء له و أنّه يسأل عنه يوم القيامة كما قال تعالىٰ.

ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ

و هو المال و الأولاد و الجاه فإنّ اللّه تعالى أعطاكم النِّعم، لتشكروا عليها و تطلبوا بها رضا اللّه، لا للتّفاخر و التّكاثر و غير ذلك الأباطيل، هذا ظهر لنا من الآية و اللّه أعلم.

■

سُورَةُ ٱلْعَصْرِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَ ٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنْسٰانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

◀ اللّغة

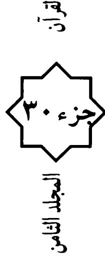
وَ ٱلْعَصْرِ: الواو للقسم، قيل سمّيت العصر لأنّها تعصر بالتّأخير و العصارة ما يعتصر من العنب.

لَفِي خُسْرٍ الخُسر: بضّم الخاء هلاك رأس المال للإنسان.

تَوٰاصَوْا: أي تواصىٰ بعضهم بعضاً.

بِالْحَقِّ: الحقّ ضدّ الباطل.

وَالصَّبْرِ: حبس النّفس عمّا تنازع إليه من الأمر.



◀ الإعراب

بِالصَّبْرِ و كسر الرّاء قومٌ و هو علىٰ لغة من يثقل الضّمة و الكسرة في الوقف إلىٰ السّاكن قبلها حرصاً علىٰ بيان الإعراب.

◀ التّفسير

وَ ٱلْعَصْرِ، إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ

الواو للقسم أقسم اللّه تعالىٰ بالعصر إنّ الإنسان لفي خسرٍ، أي لفي نقصان إرتكاب المعاصي و كفره باللّه قاله بعض المفسّرين ثمّ إنّهم إختلفوا في المراد بالعصر، فقال بعضهم هو الدَّهر.

و قيل اللّيل و النّهار.

و قيل الغداة و العشّي.

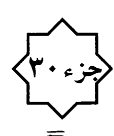
و قيل هو ما بين زوال الشّمس و غروبها.

و قيل هو أخر ساعةٍ من ساعات النّهار.

و قيل المراد به صلاة العصر و هى الوسطىٰ.

و قيل المراد به عصر النّبي و قيل غير ذلك فإنّ الإحتمالات كثيرة و الكلمة تطلق علىٰ الكلّ.

قال بعض المفسّرين من المعاصرين في تفسير هذه الآية الأنسب لما تضَّمنته الإتيان التّاليتان من شمول الخسران للعالم الإنساني إلاّ لمن إتَّبع الحقّ و صبر عليه و هم المؤمنون الصّالحون عملاً أن يكون المراد بالعصر عصر النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عصر طلوع الإسلام علىٰ المجتمع البشري و ظهور الحقّ علىٰ الباطل إنتهىٰ كلامه رفع مقامه.



أقول ما ذكره قدّس سرّه أحسن الأقوال المذكورة في التّفاسير إذ لا ضّك أنّ عصر النّبي من أحسن الأعصار كما قال صلّى الله عليه و آله و سلّم، خير القرون قرني.

و من المعلوم أنّ شرف الزّمان و المكان بما يحدث فيهما من الحوادث ظهر في عصر النّبي نور النّبوة و طلعت شمس الهداية و هذا ممّا لا كلام فيه إلاّ أنّ قوله قدّس سرّه في أخر كلامه و ظهور الحقّ علىٰ الباطل محلّ تأمّلٍ إذا أريد به

ظهور الحقّ علىٰ الباطل كلّه بمعنىٰ غلبة الحقّ علىٰ الباطل ضرورة أنّ الحقّ ظهر في عصر النّبي إلاّ أنّه لم يغلب علىٰ الباطل كلّه و علىٰ هذا فالحقّ أن يقال أنّ المراد بالعصر هو عصر دولة الحقّة أي عصر المهدي عليه السّلام فإنّ غلبة الحقّ علىٰ الباطل لم يكن و لا يكون إلاّ بعد ظهوره عليه السلام و قد صرّح النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حيث قال: **لو لم يبق من الدّنيا إلاّ يومٌ واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّىٰ يخرج رجلٌ من ولدي إسمه إسمي يملأ اللّه الأرض به قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.**

و هذا إقرارٌ و إعترافٌ من النّبي بأنّ عصره صلى الله عليه وآله وسلم عصر غلبة الحقّ علىٰ الباطل لا عصر غيره فإذا كان القسم بالعصر المذكور فهو عصر العدل بلا كلام من أوّل الدّنيا إلىٰ عصره، و هو الّذي كتب علىٰ كتفه بقلم القدرة: **وَ قُلْ جٰآءَ ٱلْحَقُّ وَ زَهَقَ ٱلْبٰاطِلُ إِنَّ ٱلْبٰاطِلَ كٰانَ زَهُوقًا**(١).

و قد ذكر المستدل فى أخر كلامه أنّه ممّا ورد في بعض الأخبار و نحن نقول:

قد ورد ما ذكرناه في كثيرٍ من أخبار أهل البيت كما هو ظاهرٌ علىٰ من مارس خلال هذه الدّيار و نحن لسنا بصدد إثبات ذلك من الأخبار بل نقول إذا دار الأمر بين حمل العصر في الآية على عصر النّبي أو عصر المهدى.

فالثّاني: أولىٰ من الأوّل لما ذكرناه و أمّا المراد بالعصر في الآية ما هو فاللّه أعلم.

و أمّا قوله: **إِنَّ ٱلْإِنْسٰانَ لَفِي خُسْرٍ** فهو جواب القسم بالعصر إنّ الإنسان لفي نقصانٍ بإرتكابه المعاصي و كفره باللّه و الخسر هلاك رأس المال في التّجارة و المراد برأس المال في المقام العمر فكما أنّ التّاجر إذا ذهب رأس ماله لا يقدر علىٰ الكسب و التّجارة فكذلك الإنسان إذا فنىٰ عمره في طريق

١- الاسراء = ٨١

الباطل فقد أفنى رأس ماله بيده و لا يمكن له أن يتداركه فلا يبقىٰ له إلاّ النّدامة و الحسرة يوم القيامة و أيٌّ خسرانٍ أعظم و أقبح منه ففي الآية إشارة إلىٰ أنّ الإنسان في مسير الخسران من حيث الإيمان لا في مسير الكمال المعنوي كما توهَّم إلىٰ أن ملئت الأرض ظلماً و جوراً كما هو المشاهد المحسوس إلاّ من إستثناه اللّه بقوله:

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

و هم قليلون قال تعالىٰ: **وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** إستثنىٰ اللّه تعالىٰ من الحكم علىٰ الإنسان بالخسران و النّقصان، الّذين أمنوا باللّه و رسوله و اليوم الأخر و عملوا الصّالحات علىٰ أساس إيمانهم و تواصىٰ بعضهم بعضاً بمتابعة الحقّ و العمل به و بالصّبر علىٰ المكاره و الشّدائد عند البّليات التّي بقضاءه و قدره فإنّهم ممَّن رضي اللّه عنهم و رضوا عنه و أولئك هم المفلحون.

و الّذي يستفاد من الآية هو أنّ الصّلاح و السّداد في الإيمان و العمل الصّالح و متابعة الحقّ و الصّبر علىٰ المكروهات النفسانية، كما أنّ الخسران و الوبال في الكفر و النّفاق و الإعراض عن الحقّ و عدم الرّضا بقضاء اللّه و قدره و هذا ممّا يحكم به العقل السّليم فاللاّم في الإنسان للجنس أي كلّ إنسانٍ كذلك إذا لم يتّصف بما ذكرناه فلا وجه لما ذكره أكثر المفسّرين من العامّة أنّ الآية **إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** نزلت في الكافر أو المراد بالإنسان الكافر، ضرورة أنّ الحكم بالخسران يشمل الكلّ فأنّ الإنسان بما هو هو مع قطع النّظر عن الإيمان و عناية الرَّب به، لفي خسرٍ قطعاً أيُّ إنسانٍ كان.

■

سُورَةُ ٱلْهُمَزَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

◀ اللّغة

وَيْلٌ: الويل بفتح الواو و سكون اللاّم و الياء قيل، إنّه دركٌ من دركات جهنّم و قيل هو الخزي و العذاب و الهلكة.

هُمَزَةٍ: بضّم الهاء و فتح الميم و الزّاء الكثير الطّعن علىٰ غيره يقال همز النّاس يهمزهم همزاً، أي طعن فيهم و قيل هو النمّام المفسد.

لُمَزَةٍ: بضّم اللاّم و فتح الميم و الزّاء العيّاب و قيل المغتاب.

أَخْلَدَهُ: الإخلاد الإبقاء من الخلود.

لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ: الانباذ الطّرح أي ليطرحنَّ و ليلقينَّ، و **ٱلْحُطَمَةِ** بضمّ الحاء و فتح الطّاء، نار اللّه سمّيت بذلك لأنّها تكسر كلّ ما يلقىٰ فيها، و تحطمه و تهشمه قيل هي طبقة من طبقات جهنّم.

ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ: جمع فؤاد و هو القلب.

مُّؤۡصَدَةٌ: يقال أصدت الباب أغلقته فالمؤصدة المغلقة.

عَمَدٍ: فالعمد جمع عمود و قيل جمع عماد.

مُّمَدَّدَةِۭ: أي لا إنقطاع له.

◀ الإعراب

الهاء في الهمزة و اللُّمزة، للمبالغة ٱلَّذِي يحتمل الجرّ علىٰ البدل و النّصب علىٰ إضمار أعني و الرَّفع علىٰ هو، يَحۡسَبُ حال من الضّمير في، جمع نَارُ ٱللَّهِ أي هي نار اللّه و ٱلَّتِي علىٰ النَّعت أو خبر مبتدأ محذوف ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ جمع قلّةٍ أستعمل في موضع الكثرة عَمَدٍ بفتحتين جمع عمود أو عماد و يقرأ بضّمتين مثل كتاب و كتب و رسول و رسل.

◀ التّفسير



وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ

قد تقدّم الكلام في الويل سابقاً في غير موضع و معناه الخزي و العذاب و الهلكة و قيل هو وادٍ في جهنّم و المعنىٰ ويلٌ لكثير الطّعن في النّاس بغير حقٍّ و العذاب له، و قوله: لُّمَزَةٍ يعني النّمام المفسد.

و قال إبن عبّاس في قوله: هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، هم المشّاؤن بالنَّميمة المقيدون بين الأحبّة و علىٰ هذا فهما بمعنىٰ واحدٍ.

فقال في المجمع اللَّمز الغيبة و الهمز الغمز و الوقيعة في النّاس و ذكر عيوبهم و قال اللّيث الهمز هو الّذي يصيبك بوجهك و اللّمز الّذي يصيبك بالغيب اللّمز ما يكون باللّسان أو العين و الإشارة و الهمز لا يكون إلاّ باللّسان.

و قيل هما واحد و كيف كان فقد أثبت اللّه الويل أي العذاب لهما.

ٱلَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ

قيل معناه أعدَّ ماله لمن يرثه من أولاده عدَّده بمعناه و هو التَّعديد أي جمع مالاً و أحصاه أي أحصىٰ عدده.

و قيل: أي فاخر بعدده و كثرته.

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُ

أي يظُّن أنّ ماله يبقيه حيّاً لا يموت.

و قيل يظُّن أنّ ماله يزيد في عمره.

كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ، وَ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ، نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ

كلاّ حرف ردعٍ ردٌّ لما توّهمه و ظنّه أي ليس الأمر علىٰ ما ظنّه فإنّ المال لا يخلد و لا يبقي صاحبه، لينبذنّ، أي ليطرحنَّ وليلقينّ صاحبه في الحطمة أي في النّار إذا منع حقّ اللّه عنه هذا إذا قرأنا الفعل بكسر الباء من أنبذ ينبذ إنباذاً و النَّبذ الطّرح و الإلقاء أي لينبّذن المال صاحبه في النّار البتّة.

و أمّا إذا قرئ بفتح الباء بصيغة المجهول فالمعنىٰ ليطرحنَّ في النّار لأنّه لم يؤد حقّ اللّه و حقّ النّاس من ماله و علىٰ التّقديرين فمصيره إلىٰ النّار.

ثمّ قال لنبيّه **وَ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ** أي لا تعلم أيُّ شئٍ هي **نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ** و هذا تفسير الحطمة، أي هي النّار التّي أوقد عليها ألف عام و ألف عام و ألف عام فهي غير غامدةٍ أعدَّها اللّه للعصاة ثمّ وصف النّار ثانياً فقال:

ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ

هي جمع فؤاد و هو القلب خصّ الأفئدة بالذّكر لأنّ حياة البدن بحياة القلب و موته بموته بل الإنسان في الحقيقة هو القلب و الإطّلاع الإشراف و قيل البلوغ تقول إطّلعت علىٰ أرض كذا أي بلغتها، الإطّلاع معناه العلم فقوله

تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ أي تعلم النّار مقدار ما يستحقّه كلّ واحدٍ منهم من العذاب و ذلك لما إستبقاه اللّه تعالىٰ من الإمارة الدّالة عليه.

أقول ما ذكره بعيدٌ عن الصّواب و الحقّ ما ذكره المشهور من أنّ الإطّلاع معناه البلوغ إلىٰ الشّئ و الإشراف عليه.

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ

أي إنّ النّار عليهم مطبقة يقال أصدت الباب إذا أطبقته و أو صدته إيصاداً لغتان.

و قيل مؤصدة أي مغلقة بلغة قريش يقال أصدت الباب إذا أغلقته و قوله: **فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ** فالعمد جمع عمود و قيل جمع عماد.

قال بعضهم، فى، بمعنىٰ (باء) أي بعمدٍ ممدَّدة و الحقّ أنّ (في) بمعناها و المعنىٰ في عمدٍ يعذّبون بها و العمد الممدودة السّلاسل و الأغلال التيّ علىٰ أيديهم و أرجلهم و أعناقهم.

و قيل معناه في دهرٍ ممدودٍ و أي لا إنقطاع له أعاذنا اللّه منه.

■



سُورَةُ ٱلْفِيلِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰابِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبٰابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجٰارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

◀ اللّغة

ٱلْفِيلِ: بكسر الفاء حيوان عظيم الجثّة له خرطوم طويل.

أَبٰابِيلَ: معناها جماعات لا واحد لها كما لا واحد للعباديد و الشّماطيط.

سِجِّيلٍ: بكسر السّين قيل هي حجارة من الجحيم و قيلذ أي من طينٍ مطبوخٍ كالآجر.

كَعَصْفٍ: العصف ورق الزّرع و قيل هو التّين بلغة بني حنيفة.

◀ الإعراب

تَرْمِيهِمْ نعت الطّير و الكاف مفعول ثانٍ مِنْ سِجِّيلٍ متعلق بحجارة.

◀ التّفسير

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰابِ ٱلْفِيلِ

الخطاب لرسول اللّه والرُّؤية بمعنىٰ العلم أي ألم تـعلم لأنّ رؤيـة البـصر لا تتعَّلق بما قد تقضّىٰ و عدم و المراد بأصحاب الفيل هـم الّـذين قـصدوا هـدم البيت و هلاك أهله و قد أهلكهم اللّه و قائدهم و أميرهم أبرهة إبن أبي الصّباح و هو المعروف بأبرهة الأشرم و يكنّىٰ أنا يكسوم، و كان أبرهة رجل من اليمن و نحن نوضح ألفاظ الآية و نذكر معاني الألفاظ أوّلاً.

ثمّ نذكر قصّة أبرهة و الفيل و هلاك القوم فنقول:

إنّما سمّاهم اللّه بأصحاب الفيل لانّهم إستعانوا بـالفيل فـي هـدم الكـعبة و الغلبة علىٰ أهل مكّة.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ

أي ألم يجعل اللّه كيد هؤلاء الكفّار و مكرهم في تـضليلٍ أي فـي إبـطالٍ و تضييع فلم يقدروا علىٰ هدم البيت.

وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ

أي فرقاً و جماعات فأهلكتهم الطُّيور بأجمعهم بقدرة اللّه.

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ

أي ترميهم الطُّيور بحجارة من طينٍ طبخت بنار جهنّم مكتوبٌ فيها أسماء القوم.

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

أي جعل اللّه أصحاب الفيل كورق الزّرع إذا أكلته الدَّواب هذا تفسير ألفاظ الآية.

و أمّا كيفيّة القضيّة فقد نقلها القرطبي في تفسيره و نحن ننقلها منه و هو أنّ أبرهة بنى القليّس بصنعاء و هى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيءٍ من الأرض و كان نصرانيّاً ثمّ كتب إلىٰ النّجاشي و هو ملك الحبشة أنّـى قـد بـنيت لك أيّـها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملكٍ كان قبلك و لست بمنّةٍ حتّى أعرف إليه حـجّ العرب فلمّا تحدَّثت العرب بكتاب أبرهة إلىٰ النّجاشي غضب رجل من النّسأة

فخرج حتّىٰ أتى الكنيسة فقعد فيها أي أحدث، ثمّ خرج فلحقّ بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنع رجل من أهل هذا البيت الّذي يحجّ إليه العرب بمكّة لمّا سمع قولك أصرف إليه حجّ العرب فغضب و جاء و قعد فيها أي أنّها ليست لذلك بأهل فغضب عند ذلك أبرهة و حلف ليسيرنّ إلىٰ البيت حتّىٰ يهدمه و بعث رجلاً كان عنده إلىٰ بني كنانة يدعوهم إلىٰ حجّ تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرَّجل فزاد أبرهة ذلك غضباً و حنقاً ثمّ أمر الحبشة فتهيّأت و تجهَّزت ثمّ سار و خرج معه بالفيل و سمعت بذلك العرب فأعظموه و فظَّعوا به ورأوا جهادهم حقّاً عليهم حين سمعوا أنّه يريد هدم الكعبة بيت اللّه الحرام فخرج رجل من أشراف أهل اليمن و ملوكهم يقال له (ذونفر) فدعا قومه و من أجابه من سائر العرب إلىٰ حرب أبرهة و جهاده عن بيت اللّه الحرام و ما يريد من هدمه و إخرابه فأجابه من أجابه إلىٰ ذلك ثمّ عرض له مقاتلة فهزم ذو نفر، و أصحابه و أخذ له ذونفر، فأتىٰ به أسيراً فلمّا أراد قتله قال له ذو نفر، أيّها الملك لا تقتلني فإنّه عسىٰ أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاقٍ وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثمّ مضىٰ أبرهة علىٰ وجهه ذلك يريد ما خرج له حتّىٰ إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل إبن حبيب الخثعمي في قبيلة خثعم (شهران وناهس) و من تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة و أخذ له نفيل أسيراً فأتىٰ به فلمّا صمَّ بقتله قال له نفيل، أيّها الملك لا تقتلني فإنّي دليلك بأرض العرب و هاتان يداي علىٰ قبيلتي خثعم و شهران و ناهس لك بالسّمع و الطّاعة فخلّى سبيله و خرج به معه يدلّه حتّىٰ إذا مرَّ بالطّائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجالٍ من ثقيف فقالوا به أيّها الملك إنّما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس لنا عندك خلاف و ليس بيتنا هذا البيت الّذي تريد (يعنون اللاّت) إنّما تريد البيت الّذي بمكّة نحن نبعث لك (معك) من يدُلّك عليه فتجاوز عنهم و بعثوا معه (أبا رغال) حتّىٰ أنزله المحمس (موضع قرب مكّة) فلمّا أنزله به مات (أبو

رغال) هناك فرجمت قبره العرب فهو القبر الّذي يرجمه النّاس بالمغمّس و فيه يقول الشّاعر:

و أرجم قبره في كلّ عامٍ كرجم النّاس قبر أبي رغالِ

فلمّا نزل أبرهة بالمغمّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود علىٰ خيلٍ له حتّىٰ إنتهىٰ إلىٰ مكّة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش و يغرهم و أصاب فيها مائتي بعيرٍ لعبد المطّلب بن هاشم و هو يومئذٍ كبير قريش و سيّدها فهمّت قريش و كنانة و هذيل و من كان في ذلك الحرم بقتاله ثمّ عرفوا أنّه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك و بعث أبرهة حناطة الحميري إلىٰ مكّة و قال له سل عن سيّد هذا البلد و شريفهم ثمّ قل له إنّ الملك يقول إنّي لم أت لحربكم أنّما حبست لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لي بحربٍ فلا حاجة لي بدمائكم فإن لم يرد حربي فأتني به فلمّا دخل حاطة مكّة سأل عن سيّد قريش و شريفها فقيل له عبد المطّلب بن هاشم فجاءه و قال له ما أمره أبرهة به فقال له عبد المطّلب و اللّٰه ما نريد حربه و ما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت اللّٰه الحرام و بيت خليله إبراهيم عليه السّلام فإن يمنعه منه فهو حرمه و بيته و إن يخل بينه و بينه فواللّٰه ما عندنا دفعٌ عنه فقال حناطة فإنطلق إليه فأنّه قد أمرني أن أتيه بك فإنطلق معه عبد المطّلب و معه بعض بنيه حتّىٰ أتىٰ العسكر فسأل عن ذي نفر و كان صديقاً له حتّىٰ دخل عليه و هو في محبسه فقال له ياذانفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذونفر، و ما غناء رجلٍ أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوّاً و عشيّاً ما عندي غناً و فى شيٍ نزل بك إلاّ أنّ (أنيساً) سائس الفيل صديقٌ لي فأرسل إليه و أوصيه بك و أعظم عليه حقّك و أسأله أن يستأذن لك علىٰ الملك فتكلّمه بما بدا لك و يشفع لك عنده بخير إن قدر علىٰ ذلك فقال حسبي فبعث ذونفر إلىٰ أنيس فقال له إنّ عبد المطّلب سيّد قريش و صاحب عين مكّة و يطعم النّاس بالسّهل و الوحوش في رؤوس الجبال و قد أصاب له الملك مائتي بعير فإستأذن له عليه و أنفعه عنده بما

إستطعت فقال إفعل فكّلم أنيس أبرهة فقال له أيّها الملك هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك صاحب عين مكّة يطعم النّاس بالسَّهل و الوحوش بالجبال فأذن له عليك فيكلِّمك في حاجته قال فأذن له أبرهة و كان عبد المطّلب أوسم النّاس و أعظمهم و أجملهم فلمّا رآه أبرهة أجلَّه و أعظمه من أن يجلسه تحته فنزل أبرهة عن سريره و جلس علىٰ بساطه و أجلسه معه عليه إلىٰ جنبه ثمّ قال لترجمانه قل له حاجتك.

فقال حاجتي أن يرُّد عليّ الملك مائتي بعيرٍ أصابهالي فلمّا قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثمّ قد زهدت فيك حين كلَّمتني أتكلِّمني في مائتي بعيرٍ أصبتها لك و تترك بيتاً هو دينك و دين أباءك قد جئت لهدمه لا تكلِّمني فيه قال له عبد المطّلب أنا ربّ الإبل و للبيت ربُّ سيمنعه قال ما كان ليمتنع منّي قال أنت و ذاك فردَّ عليه إبله و إنصرف عبد المطّلب إلىٰ قريش فأخبرهم الخبر و أمرهم بالخروج من مكّة و التحرُّز في شعف الجبال و الشّعاب تخوّفاً عليهم معرَّة الجيش ثمّ قام عبد المطّلب فأخذ بحلقة باب الكعبة و قام معه نفر من قريش يدعون اللّه و يستصرونه علىٰ أبرهة و جنده فقال عبد المطّلب و هو أخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهـمَّ أنّ العبد يمنع ... رحله فأمنع حلالك
لا يغلبنَّ صليبهم ... ومحالهم عدواً بحالك
أن يدخلوا البلد الحرام ... فأمرُ ما بدا لك

يقول أيُّ شيءٍ ما بدا لك لم تكن تفعله بنا، و الحلال جمع حلّ، و المحال، القوّة قيل لمّا أخذَ بحلقة باب الكعبة قال أيضاً:

يارَبّ لا أرجو لهم سواكا ... يارَبّ فأمنع عنهم حماكا
أنّ عدوّ لبيت من عاداكا ... إنّهم لم يقهروا نواكا

قال إبن إسحاق ثمّ أرسل عبد المطّلب حلقة باب الكعبة ثمّ إنطلق هو معه من قريش إلىٰ شعف الجبال ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكّة إذ دخلها فلمّا أصبح

أبرهة تهَّيأ لدخول مكّة و هيَّأ فيله و هيّأ جيشه وكان إسم الفيل محمود و أبرهة مجمعٌ لهدم البيت ثمّ الإنصراف إلىٰ اليمن فلمّا وجَّهوا الفيل إلىٰ مكّة أقبل نفيل بن حبيب حتّىٰ قام إلىٰ جنب الفيل ثمّ أخذ بأذنه فقال له إرجع راشداً من حيث جئت فأنّك في بلد اللّه الحرام ثمّ أرسل أذنه فبرك الفيل و خرج نفيل إبن حبيب يشتدّ حتّىٰ أصعد الجبل و ضربوا الفيل ليقوم فأبىٰ فضربوا في رأسه بالطَّبرزين ليقوم فأبىٰ فأدخلوا مجاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبىٰ فوجّهوه راجعاً إلىٰ اليمن فقال يهرول و وجَّهوه إلىٰ الشّام ففعل مثل ذلك فوجَّهوه إلىٰ المشرق ففعل مثل ذلك و وجَّهوه إلىٰ مكّة فبرك و أرسل اللّه عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف و البلسان مع كلّ طائرٍ ثلاثة أحجار حجرٌ في منقاره و حجران في رجليه أمثال الحمّص و العدس لا يصب منهم أحد إلاّ هلك و ليس كلّهم أصابت و خرجوا هاربين يبتدرون الطّريق التّي جاء و امنها و يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم علىٰ الطّريق إلىٰ اليمن فلمّا سمع ذلك قال:

حمدت اللّه إذا أبصرت طيراً   وخفت حجارةً تلقىٰ علينا
فكلّ القوم يسأل عن نفيلٍ   كأنّ علىّ للحبشان ديناً

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريقٍ و يهلكون بكلّ مهلك و أصيب أبرهة في جسده و خرجوا به معهم يسقط أنملة كلّما سقطت منه أنملة أبتعتها منه مدّةً تمَّث قيحاً و دماً حتّىٰ قدموا به صنعاء و هو مثل فرخ الطّائر فما مات حتّىٰ إنصَدَع صَدره عن قَلبه وكان عام الفِيل قبل مَولد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأربعين سَنَة بثلاث و عشرين سَنَة والأصّح قول الأوّل.

أقُول إنّما نَقلنا قصّة أصحاب الفيل بتفصيله لِما فيها من المَواعظ والعِبَر ما لا يخفىٰ علىٰ العاقل اللّبيب و ما ربّك بظّلامٍ للعَبيد ولكن كانوا أنفسهم يَظلمُون.

■

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَ ٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ ءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

◀ اللّغة

لِإِيلَافِ: الإيلاف أصحاب الألف بحسن التّدبير و التّلطُّف يقال يألف إلفاً و آلفه يؤلفه إيلافاً إذا جعله بألف و الإيلاف نقيض الإيحاش و نظيره الإيناس.

رِحْلَةَ: والرَّحلة حال السَّير علىٰ الرَّحلة و هى النّاقة القويّة علىٰ السَّفر والباقي واضح.

◀ الإعراب

رِحْلَةَ معمول المصدر و هو الإيلاف مِنْ جُوعٍ و من خوفٍ، أي من أجل جوع و من أجل خوف.

◀ التّفسير

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ

قرأ إبن عامر لإلاف فريش، ، بقصرها ولم يجعل بعد هذه الهمزة ياء، علىٰ وزن (لعلاف) و أمّا إيلافهم، بياء بعد الهمزة خلاف لفظ الأولىٰ، و قرأ الباقون **لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِيلَٰفِهِمْ** جميعاً بهَمَزة بعدها، ياء، من الألفة بحسن التّدبير و التّلطُّف و ألف الشّيئ لزومه علىٰ عادةٍ في سكون النّفس إليه و قيل التّقدير أعجبوا لإيلاف قريش، و **قُريش** بضّم القاف تصغير التّرخيم لأنّ القرش الجمع و الفاعل علىٰ قارش، فقياسه قويرش، فرُّخم و صغِّر، ثمّ إنّ هذه السُّورة: **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ** سورة واحدة، مثل **وَ ٱلضُّحَىٰ**، **أَلَمْ نَشْرَحْ** و علىٰ هذا فالعامل في لإيلاف، قوله: **كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ** و لا يخفىٰ عليك أنّ هذه السُّورة متصلة بالتّي قبلها في المعنىٰ أيضاً كأنّه قيل، أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش أي لتأتلف أو لتتّفق قريش أو لكي تأمن قريش فتؤلّف رحلتيها.

و قال الفّراء هذه السُّورة متّصلة بالسُّورة الأولىٰ لأنّه تعالىٰ ذكّر أهل مكّة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بأصحاب الفيل ثمّ قال لإيلاف قريش أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمةً منّا علىٰ قريشاً كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها يقولون هم أهل بيت اللّه عزّ وجلّ حتّىٰ جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة و يأخذ حجارتها فيبني بها بيتٌ في اليمن يحجّ اللّه عليه فأهلكهم اللّه عزّ وجلّ فذكّرهم نعمته أي فجعل اللّه ذلك لإيلافهم قريش أي ليألفوا الخروج و لا يجترأ عليهم.

و عن إبن عبّاس في قوله تعالىٰ: **لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ** قال معناه، نعمتي علىٰ قريش إيلافهم رحلة الشّتاء و الصَّيف.

إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَ ٱلصَّيْفِ

قيل كانت لهم رحلتان رحلة الصَّيف إلىٰ الشّام و رحلة الشّتاء إلىٰ اليمن في التّجارة.

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا ٱلْبَيْتِ

أمرٌ من اللّه تعالىٰ إلىٰ المكّلفين أن يـوجّهوا عـبادتهم إلىٰ اللّـه ربّ البـيت الحرام دون غيره من الأصنام و الأوثان و بعبارةٍ أخرىٰ فليعبدوا ربّ هذا البيت الّذي أهلك أعداءهـم و أعـداء البـيت و هـم أصـحاب الفـيل لا الأصـنام التّـي جعلوها في البيت، و هى جماد.

ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ ءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

الذّى أطعمهم اللّه بما أعطاهم من الأموال و سبَّب لهم من الأرزاق بـالسَّعي في التّجارة في الرَّحلتين.

وَ ءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ و الغارة عليهم في الحرم، و المقصود أنّ اللّه تـعالىٰ أنعم علىٰ أهل مكّة بأنواع النِّعم و إهلاك أعداءهم فينبغي أن يشكروا عليه.

■



سُورَةُ ٱلْمَاعُونِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَ لَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُنَ ﴿٦﴾ وَ يَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

◀ اللّغة

يَدُعُّ: أي يدفع.

يَحُضُّ: أي يحثّ فالحضّ الحثّ.

سَاهُونَ: أي غافلون فالسَّهو الغفلة.

يُرَآؤُنَ: من الرّياء أي لا يتقرَّبون بها إلىٰ اللّه.

◀ الإعراب

فَذٰلِكَ الفاء جواب الشَّرط المقدّر تقديره إن تأمّلته يَدُعُّ بالتَّشديد أي يدفع، و قرئ بفتح الدّال و تخفيف العَين، أي يهمله و يتركه.

◀ التّفسير

أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِا لدِّينِ

إختلف المفسّرون في نزولها فقال إبن عبّاس نزلت في العاص بن وائل السَّهمي.

و قال الكلبي و الضّحاك نزلت في رجلٍ من المنافقين.

و قال السُّدي نزلت في الوليد بن المغيرة.

و قيل في أبي جهل.

و قيل في أبي سفيان فإنّه أي أبو سفيان كان ينحر في كلّ إسبوع جزوراً فطلب منه يتيم فقرعه بعصاه فأنزل اللّه هذه السُّورة و لا شكّ أنّه ممّن يكذّب بالدِّين إلىٰ أخر عمره لعنه اللّه.

فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ

أي يدفعه بعصاه لما طلب منه لحماً أو شيئاً أخر.

وَ لَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ

أي كان ممّن لا يحثّ علىٰ طعام المسكين و لا يأمر به من أجل بخله و تكذيبه بالجزاء فإنّ أبا سفيان و أبا جهل و أمثالهما من المكذّبين كانوا يقولون **أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُ**(١) فنزلت الآية فيهم و توجّه الذّم إليهم.



فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، ٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

قيل يتأخّرون عن وقتها و قيل ساهون أي غافلون.

و قيل لا يتمّون ركوعها و لا سجودها، و يحتمل أن يكون تضييع الصّلاة بأيّ نحوٍ كان و يحتمل أن يكون المعنىٰ لا يبالون و لا يواظبون عليها.

١- يٰس = ٤٧

وَٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُنَ

في أعمالهم و صلاتهم فلا يتّقربون بها إلىٰ اللّه بل يقصدون بها الرّياء و السُّمعة و من المعلوم أنّ هذا في الواجبات التّي يشترط فيها قصد القربة كالصّوم و الصّلاة و أمثالها.

وَ يَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ

إختلفوا في معنىٰ الماعون فقال في التّبيان الماعون القليل القيمة ممّا فيه منفعة من ألة البيت نحو الفاس و المقدحة و الإبرة والدَّلو و هو قول إبن مسعود و إبن عبّاس و إبراهيم و أبى مالك و سعيد بن جبير.

و قد ذكر القرطبي في تفسيره وجوهاً كثيرة عن مفّسري العامّة و غيرهم:

منها، الزّكوة.

منها، المال بلسان قريش.

منها، أنّه إسم جامع لمنافع البيت كالفاس و القدر و النّار.

منها، أنّ الماعون كلّ ما فيه منفعة حتّىٰ الفاس و القدر.

منها، أنّه العارية.

منها، أنّه المعروف كلّه الّذي يتعاطاه النّاس فيما بينهم.

منها، أنّه الماء و الكلاء.

منها، أنّه الماء وحده.

منها، أنّه منع الحقّ.

منها، أنّه المستغلّ من منافع الأموال.

منها، ما حكاه عن قطرب أنّه قال أصل الماعون من القلة و المعنىٰ الشّئ القليل تقول العرب ما له سعنة و لا منعة، أي شئٌ قليل فسمَّىٰ اللّه تعالىٰ الزّكاة و الصَّدقة و نحوهما من المعروف ماعوناً لأنّه قليل من كثير و من النّاس من يقول أنّ الماعون أصله معونة و الألف عوض من الهاء حكاه الجوهرى.

و قال إبن العربي الماعون مفعول من أعان يعين و العون هو الإمداد بالقوّة و الألات و الأسباب الميسّرة للأمر.

منها، أنّه الطّاعة و الإنقياد.

منها، أنّ الماعون كلّ ما لا يحلّ منعه عن الغير كالملح و الماء و النّار.

و قد ذكر بعض المفسّرين أكثر ممّا نقلناه من الأقوال و الّذي يستفاد من أخبار أهل البيت هو أنّ الماعون كلّ ما يحتاج إليه النّاس من الأشياء القليلة المنافع و لا قيمة أي لا قيمة لها إلاّ أنّه ممّا يحتاج النّاس إليه مثل السّراج و النّار و الخمير و أشباه ذلك من الألات التّي يحتاج إليه النّاس و قيل هو ما يتعاروه النّاس بينهم من الدّلو و الفاس و القدر و ما لا يمنع كالماء و الملح و روي ذلك مرفوعاً.

روىٰ في الكافي بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: الماعون أيضاً هو القرض يقرضه و المتاع يعيره، و المعروف يصنعه.

و في من لا يحضره الفقيه نهىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يمنع أحدٌ الماعون جاره و قال من منع الماعون جاره منعه اللّه غيره يوم القيامة و وكله إلىٰ نفسه و من وكله إلىٰ نفسه فما أسوء حاله إنتهىٰ.

إذا عرفت هذا فنقول حكم اللّه تعالىٰ في المقام بأنّ الويل لمن سهىٰ صلاته و من المعلوم أنّ المراد بالسّهو ليس السّهو المصطلح عند النّاس أعني به النّسيان فإنّ النّاسي عن صلاته يجب عليه القضاء و الإنسان محلّ النّسيان بل المراد بالسّهو هو المسامحة و عدم المبالاة و إضاعة الصّلاة بأيّ نحوٍ كان فمن فسّر قوله: **سٰاهُونَ** بالغفلة عنها ليس في محلّه لأنّ سبب الغفلة النّسيان و هو خارج عن إختيار الإنسان و لذلك قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم **رفع عن أمّتي تسعة وعدَّ منها السّهو و النّسيان و الإضطرار و الإكراه و غيرها.**

ثمّ قال: **اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاۤؤُنَ** و أظنّ أنّ هذا تفسير لقوله: **سٰاهُونَ** كأنّه قيل ما معنىٰ قوله ساهون، فقال: **اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاۤؤُنَ**، و إنّما قلنا ذلك لأنّ اللّه لم

يعطف قوله هذا علىٰ سابقه و لذا لم يأت بحرف العطف ولم يقل و الّذين هم يراؤن، بل قال، الّذين هم يراؤن و هو دليلٌ علىٰ أنّ الآية الثّانية في الحقيقة مفسّرة للأولىٰ أي إنّ الّذي يراؤن في صلاتهم هم السّاهون فيها ففسّر السّهو بالرّياء و ذلك لأنّ المرائي متعمدٌ في الرّياء و هو غافلٌ عن بطلانها و كأنّ هذا هو المراد في تفسير السّهو بالغفلة أي هو غافل عن بطلانها بالرّياء و علىٰ هذا فالمراءون هم السّاهون لا أنّهم صنفٌ آخر إذ لا يعقل أن يكون السّاهي بمعنىٰ النّاسي للصّلاة معاقباً عليه فضلاً عن إثبات الويل له و أيّ ذنبٍ صدر عنه حتّىٰ يقال الويل له بالمعنىٰ الّذي ذكروه و المفروض أنّه غفل عنها و الغفلة خارجة عن إختياره و لهذا لم يفصل بحرف العطف بين الآيتين هذا ما أدّىٰ إليه نظري في حلِّ الإشكال و العلم عند اللّه.

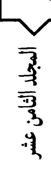
وَ يَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ

فهو صنفٌ آخر و لذلك أثبت فيه حرف العطف و قال و يمنعون الماعون، و قد ثبت أنّ العطف يدلُّ علىٰ إختلاف الموضوع بين المعطوف و المعطوف عليه و إثبات حكم المعطوف عليه للمعطوف فإذا قلنا جائني زيدٌ و عمرو، أثبتنا حكم المجئ للمعطوف ببركة العطف مع أنّ الموضوع في أحدهما زيد و فى الآخر عمرو و هما متغايران و هذا بخلاف قولنا جائني زيد البخيل مثلاً بدون العطف فإنّ ظاهر القّضية أنّ البخل صفة لزيد، و حاصل الكلام أنّ العطف يوجب تغاير الموضوع و مدَّة الحكم و ترك العطف يوجب وحدة الموضوع و الحكم معاً، فلو كان المراؤون غير السّاهين لقال و الّذين هم يراؤون، بإثبات حرف العاطفة الدالّة علىٰ أنّ الموضوع في أحدهما غيره في الآخر وإنّما يتّحدان في الحكم، فثبت و تحّقق أنّ الّذين يراؤن هم الّذين ساهون فالسّهو هنا الرّياء، و أمّا قوله: **وَ يَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ** صنفٌ آخر بحكم العطف و إنّما يشتركان في الحكمإثبات الويل لهما ففي المقام صنفان:

أحدهما: السّاهون المراؤون.

ثانيهما: و للّذين يمنعون الماعون، أي يمنعون النّاس عمّا لا قيمة له إلاّ أنَّ النّاس محتاجون إليه كالماء و الملح و القدر و أمثالهما و فيه إشارة إلىٰ كمال البخل و الإمساك فإنَّ من منع غيره عن شيءٍ قليلٍ لا قيمة له فهو في غاية الدّنائة و نهاية البخل و لا شكّ أنَّ البخيل من أهل النّار هذا مع أنَّ الّذي يمنع غيره عن القليل الّذي لا قيمة له فهو علىٰ إعطاء الكثير أبخل و بذلك يستحقّ النّار و الويل يوم القيامة هذا ما خطر ببالي و اللّه أعلم.

■



سُورَةُ ٱلْكَوْثَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ ٱنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

◀ اللّغة

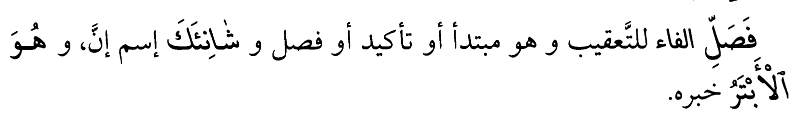
ٱلْكَوْثَرَ: مبالغة في الكثرة و هو الخير الكثير فإنَّ صيغة (فوعل) للمبالغة.

وَ ٱنْحَرْ: النَّحر ذبح البدن و الأضاحي.

شَانِئَكَ: الشّانئ المبغض تقول شنئته إذا أبغضته و قيل هو العدوّ.

ٱلْأَبْتَرُ: من لا ولد له من البنين و البنات، و قيل الأبتر من ليس له بنون و إن كان له البنات، و قيل هو من لا عقب له من الأولاد.

◀ الإعراب



فَصَلِّ الفاء للتَّعقيب و هو مبتدأ أو تأكيد أو فصل و شَانِئَكَ إسم إنَّ، و هُوَ ٱلْأَبْتَرُ خبره.

◀ التّفسير

إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ

لاشكّ أنّ هـذا خـطابٌ للـنّبي صلى الله عليه وآله وسلم و أنَّ اللّـه أعـطاه الكـوثر و الإعـطاء إخراج الشّئ إلىٰ آخذٍ له و هو تارَّةً علىٰ وجه التَّمليك و تارَّةً علىٰ غير التَّمليك و ما نحن فيه من الأوَّل بإعتبارٍ و من الثّاني بإعتبارٍ آخر من حيث أنَّ اللّه تعالىٰ هو مالك السّمٰوات و الأرض و ما بينهما و هو من العطاء من عطا يعطوا إذا تناول، و الكوثر الشّئ الكثير أو من شأنه الكثرة.

و قيل الخير الكثير، و هو (فوعل) مبالغة في الكثرة ثـمَّ إنّـهم إختلفوا فـي معناه في الآية علىٰ أقوالٍ فقال عطاء هو حوض النّبي يكثر النّاس عليه يوم القيامة.

و قال إبن عبّاس هو الخير الكثير، و عن عائشة أنَّ الكوثر نهرٌ في الجنَّة،

و قال الحسن الكوثر القرآن و قال إبن عمر أنَّه نهرٌ يجري في الجنّة علىٰ الدُّر و الياقوت و قيل العرب تسمّىٰ كلّ شئٍ كثيرٍ في العدد و القدر كوثراً و الكوثر من الرّجال السَّيد الكثير الخير قال الشّاعر:

و أنت كثرٌ يا بن مروان طيِّبٌ و كان أبوك إبن الفضائل كوثراً

و الكوثر العدد الكثير من الأصحاب و الأشياع.

قال القرطبي إختلف أهل التّأويل في الكوثر الّذي أعطاه النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ ستّة عشر قولاً:

الأوَّل: أنَّه نهرٌ في الجنّة رواه البخاري عن أنس و التَّرمذى.

أيضاً و روي عن إبن عمر أنَّه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الكوثر نهرٌ في الجنَّة قانتاه من ذهب و مجراه علىٰ الدُّر و الياقوت تربته أطيب من المسك و ماءه أحلىٰ من العسل و أبيض من الثّلج.

الثّانى: أنَّه حوض النَّبي في الموقف قاله عطاء و فى صحيح مسلم عن أنس قال:

بينما نحن عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم إذ أغفى إغفاءة ثمّ رفع رأسه مبتسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول اللّه قال نزلت علّي آنفاً سورة: فقرأ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ثمّ قال: أتدرون ما الكوثر قلنا اللّه و رسوله أعلم قال صلى الله عليه و آله و سلم فإنّه نهرٌ و عدنيه ربّي عزّ وجلّ عليه خيرٌ كثير هو حوضٌ ترد عليه أمّتي يوم القيامة آنيته عدد النُّجوم فينتحل العبد منهم فأقول إنّه من أمّتي فيقال إنّك لا تدري ما أحدث بعدك.

و الأخبار في حوضه في الموقف كثيرة ذكرناها في كتاب التّذكرة و أنّ علىٰ أركانه الأربعة خلفاء الأربعة رضوان اللّه عليهم و إنّ من أبغض واحداً منهم لم يسقيه الآخر و ذكرناه هناك من يطرد عنه إلىٰ أن قال:

الثّالث: الكوثر النُّبوة و الكتاب.

الرّابع: الكوثر القرآن.

الخامس: الإسلام حكاه المغيرة.

السّادس: تيسير القرآن و تخفيف الشّرائع.

السّابع: هو كثرة الأصحاب و الأمّة و الأشياع قاله أبوبكر بن عيّاش.

الثّامن: أنّه الإتيان قاله إبن كيسان.

التّاسع: أنّه رفعة الذِّكر حكاه الماوردى.

العاشر: أنّه نورٌ في قلبك دلّك عليَّ و قطعك عمّا سواي.

الحادى عشر: هو الشّفاعة.

الثّانى عشر: معجزات الرَّب هدي بها أهل الإجابة لدعوتك.

الثّالث عشر: هو لا إلٰه إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه قاله هلال بن سيّاف.

الرّابع عشر: الفقه في الدِّين.

الخامس عشر: الصّلوات الخمس قلت أصَّح هذه الأقوال الأوَّل و الثّاني أنّه ثابت عن النّبي أنّه نصٌّ في الكوثر هذا ما ذكره القرطبي من الأقوال في الكوثر.

و أنا أقول لا خلاف بينهم في معنىٰ اللّفظ من جهة اللُّغة لإتّفاقهم علىٰ أنَّ الكوثر مبالغة في الكثرة فهو الخير الكثير أو الشّئ الكثير و هذا ممّا لا خلاف فيه و إنّما الخلاف في أنَّ الكوثر و هو الخير الكثير ما المراد به في الآية فإنَّ مصاديقه كثيرة و بعبارةٍ أخرىٰ ليس البحث في مفهوم الكوثر بل البحث في تعيين المصداق من بين المصاديق الكثيرة ضرورة أنَّ جميع المصاديق غير مرادٍ قطعاً فما ذكروه في تفاسيرهم بيان مصاديق الكوثر و أنَّه يطلق عليها عقلاً و هو خارج عن موضوع البحث و ليس من تفسير الكوثر في الآية بل هو من تبيين مصاديقه و موارده و إستدلاله بحسب اللُّغة فإن قال قائل ما المراد بالكوثر في الآية لا يصحُّ أن يقال له المراد به في الآية هو هذه الأقوال الكثيرة الّتي لا دليل على صحَّتها عقلاً و نقلاً فلا ترجيح لأحدها علىٰ الآخر حتّىٰ يكون هو المتَّبع لا غيره فإنَّ الخير الكثير يطلق علىٰ أكثر ممّا ذكروه قطعاً إذا عرفت هذا فنقول المراد بالكوثر هو ذريّة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم الّتي من إبنته فاطمة الزَّهراء سلام اللّه عليها و حيث أنَّ اللاّم هو الأصل في اللُّغة و العرف فالزَّهراء عليها السلام هي الأصل في وجود الذريّة و الذريّة فرعٌ عليها وجوداً فالكوثر هو فاطمة الزَّهراء بلاكلام لأنَّ الذريّة ترجع إليها و يمكن أن يستدلّ علىٰ ذلك بالعقل و النّقل.

أمّا العقل فلأنَّ السُّورة نزلت علىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد قول الكفّار فيه أنّه (أبتر) أي بلا عقب و إنّما قالوا ذلك بعد موت القاسم أو لأنَّه لم يكن له ولدٌ ذكور و علىٰ هذا فبعد موته لا نسل له و لا ذريّة و إنّما قلنا ذلك لأنَّ آخر السُّورة قوله: **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ** دليل علىٰ ما ذكرناه فإنَّ آخر الآية يدلُّ علىٰ أنَّ إعطاء

الكوثر من جانب اللّه كان في الحقيقة تسليةً له صَلَّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و العقل السَّليم يحكم بأنّ المراد بالكوثر هو النَّسل و الذريّة رغماً لأنوف الأعداء.

و إن شئت قلت أخر السُّورة قرينة واضحة علىٰ أنّ المراد بالكوثر النَّسل لا غير فمن قال أو يقول غير ذلك فقد كابر عقله و تابع جهله أو عناده و القرأن يفسّر بعضه بعضاً ولعمري أنّ هذا واضح لا ريب فيه أصلاً.

أن قلت أن كان المراد بالكوثر الذريّة و النَّسل، فأين ذريّة رسول اللّه ولم يكن له ولد بعد موته من الذّكور، و أمّا أولاد فاطمة فهم ينتسبون إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام لأنّهم وجدوا من صلب علّي عليه السلام و الولد ينسب إلىٰ أبيه لا إلىٰ أمّه كما قال الشّاعر:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد

قلت لعلَّ هذه الشُّبهة هي التّي دعتهم إلىٰ صرف الآية إلىٰ ما ذكروه إذ لم يجدوا ذريّةً و نسلاً لرسول اللّه حتّىٰ يحملوا الآية علىٰ ما حملناها عليه ولم يعلموا أنّ أولاد البنت مثل أولاد الإبن و لا فرق بينهما و الشّعر المشهور الّذي ذكرناه أنفاً لا يمكن الإستدلال به لأنّه قول شاعرٍ جاهل لم يعلم ما قال:

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ**[(١)].

و إذا كان كذلك فلا يمكن الإستدلال بقول الشّاعر في إثبات النَّسب و عدمه فهذا الشّعر في هذا المقام و هو مقام إثبات النَّسب من قبيل الأوهام و الخرافات هذا مضافاً إلىٰ أنّ القرأن الّذي هو الأصل في المقام يكذّبه و جعل أولاد البنت في الذريّة و النَّسل.

قال اللّه تعالىٰ في أولاد إبراهيم الخليل: **وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحًا هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُودَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ**

١- الشّعراء = ٢٢٤ الى ٢٢٦

يُوسُفَ وَ مُوسٰى وَ هٰرُونَ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ، وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيٰى وَ عِيسٰى وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ(۱).

جعل اللّه تعالىٰ عيسىٰ عليه السّلام من ذريّة إبراهيم مع أنّه منسوب إلىٰ إبراهيم من جانب أمّه مريم، لا من جانب أبيه إذ لم يكن له أب من جنس البشر و هذا من أدلّ الدّلائل علىٰ أنّ أولاد البنت من الذريّة أولاد الإبن فإذا كان عيسىٰ من ذريّة إبراهيم من جهة أمّه فأولاد فاطمة من ذريّة رسول اللّه من جانب أمّهم فاطمة فذريّة فاطمة ذريّة الرّسول و هو المطلوب.

هذا كلّه مضافاً إلىٰ أنّ النّبي ﷺ قال في الخطبة الغديريّة: معاشر النّاس أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ جعل ذريّة كلّ نبّي من صلبه و جعل ذرّيتي من صلب علّي إبن أبي طالب، و إنّما قال ﷺ ذلك لقوله ﷺ أنا و عليٌ من نورٍ واحدٍ، رواه الفريقين.

و إذا كان النُّور واحداً فصلب علّي صلب رسول اللّه و أولاده أولاده و ذريّته ذريّته فثبت و تحقّق أنّ المراد بالكوثر فاطمة و ذرّيتها إلىٰ يوم القيامة و لعمري هذا خيرٌ كثير و لا سيّما بأنّ في الذُّرية الأئمّة المعصومين عليهم السّلام الذّين هم أساس الدّين كما قال أميرالمؤمنين، **هم أساس الدّين و عماد اليقين إليهم يفئ الغالي و بهم يلحق التّالي و لهم خصائص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة.**

هذا ملخّص الكلام في الكوثر و ما أريد به لا الحوض الّذي علىٰ أركانه الأربعة خلفاء الأربعة و إنّ من أبغض واحداً منهم لم يسقه الأخر، و ذلك لأنّ الحوض لا أركان له أصلاً إذ لو كان الخلفاء الأربعة أركان حوض النّبي.

و من المعلوم أنّ النبىّ مات قبلهم، فلم يكن للنبىّ بعد موته و دخوله الجنّة حوضٌ و إن كان لم يكن له أركان لعدم وجود الخلفاء الأربعة هناك و الحوض

۱- الأنعام = ۸۴ و ۸۵

بلا أركان لا وجود له و لا معنىٰ له و أعجب من ذلك قوله بعد إثبات الأركان الأربعة و ذكرنا هناك (أي كتاب التّذكرة) من يطرد عنه فمن أراد الوقوف علىٰ ذلك تأمّله هناك وليت شعري ما الّذي دعاهم إلىٰ نقل هذه المجعولات التّي ينكره العقل و الشّرع و لعلّ النّاقل زعم أنّ الحوض مثل السّرير الّذي له قوائمٌ أربعة إلاّ أنّ قوائمه و أركانه ليست من جنس الشّعب أو غيره بل قوائمه من جعله النّاس خليفة رسول اللّه، هذا مبلغ علمهم و عقلهم و إلىٰ اللّه المشتكىٰ من هذا الدّاء المعضل الّذي لا دواء له إلاّ الموت.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ ٱنْحَرْ

أمر اللّه نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّلاة و التّوجه إلىٰ المعبود الّذي أعطاه الكوثر فإنّ الشّكر علىٰ النّعمة واجب عقلاً و شرعاً و أيّة نعمة أحسن من الكوثر و أيُّ شكرٍ أحسن من الصّلاة التّي هي بعد الإيمان من أفضل القربات إلىٰ اللّه.

و أمّا قوله: **وَ ٱنْحَرْ** أي و أنحر البدن و الأضاحي روي ذلك عن الصّادق عليه السّلام.

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ

قيل هو العاص الّذي قال للمشركين دعوه فأنّه (أبتر) أي لا عقب له بعد موته فإذا مات مات دينه أخبر اللّه تعالىٰ في هذه الآية تسليةً لنبيّه أنّ الّذي عابك و قال فيك ما قال هو الأبتر لا أنت، و من أصدق من اللّه قيلاً فإنّا لا نرىٰ من أولاد العاص أحداً يعرف به و أمّا ذرّية الرّسول فالأرض مشحونةٌ بوجودهم متبرّكةٌ ببركاتهم و هذا معنىٰ قوله: **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ**.

■



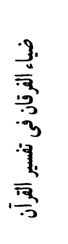
سُورَةُ ٱلْكَافِرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَآ أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَ لَآ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَ لَآ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَ لَآ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

◀ اللّغة

ٱلْكَافِرُونَ: جمع كافر و الكُفر بضّم الكاف في اللُّغة ستر الشّيْ وصف اللّيل بالكافر لستره الأشخاص و الزّارع لستره البذر في الأرض و كفر النِّعمة و كفرآنها سترها بترك أداء شكرها و أعظم الكفر جحوده الوحدّانية و الشّريعة و النّبوة فمن أنكرها يسمّىٰ كافراً لأنّه ستر الحقّ و أخفاه.



لَآ أَعْبُدُ: العبوديّة إظهار التّذلُّل و العبادة أبلغ منها لأنّها غاية التّذلُّل يستحقُّها إلاّ من له غاية الأفضال و هو اللّه.

◀ الإعراب

مَا تَعْبُدُونَ يجوز أن تكون ما، بمعنىٰ الّذي و العائد محذوف و يجوز أن تكون مصدريّة و لا حذف و التّقدير لا أعبد مثل عبادتكم.

◀ التّفسير

قُلْ يَآ أَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ

الخطاب للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره اللّه تعالىٰ أن يقول لهم.

لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ

فإنّي أعبد اللّه الّذي لا شريك له و أنتم تعبدون الأصنام و الأوثان

وَ لَآ أَنْتُمْ عَٰابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ و هو اللّه وَ لَآ أَنَا عَٰابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ

في زمان الماضي.

وَ لَآ أَنْتُمْ عَٰابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ علىٰ التّكرير في اللّفظ دون المعنىٰ من قبل أنّ التقابل يوجب أن يكون **وَ لَآ أَنْتُمْ عَٰابِدُونَ مَآ عَبَدْتُ** فعدل من لفظ، **عَبَدْتُ** إلىٰ **أَعْبُدُ**، إشعاراً بأنّ ما عبد في الماضي هو الّذي يعبد في المستقبل مع أنّ الماضي و المستقبل قد يقع أحدهما موقع الأخر و أكثر ما يأتي ذلك في إخبار اللّه عزّ وجلّ، و قال ما أعبد، ولم يقل من أعبد، ليقابل به.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

بكسر النّون أي ولي ديني، حذفت الياء لدلالة الكسرة عليه و منهم من قرأ بإثبات الياء علىٰ الأصل، و الدِّين في الأصل الجزاء ذكر إبن إسحاق و غيره عن إبن عبّاس أنّ سبب نزول السُّورة أنَّ الوليد بن المغيرة و العاص إبن وائل و الأسود بن المطّلب و أميّة بن خلف لقوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محّمد هلمَّ فلنعبد ما تعبد و تعبد ما نعبد و نشرك نحن و أنت في أمرنا كلّه فإن الّذي جئت به خيراً ممّا بأيدينا كنّا قد شاركناك فيه و أخذنا بحظّنا منه و إن كان الّذي بأيدينا خيراً ممّا بيدك كنت قد شاركتنا في أمرنا و أخذت بحظّك منه فأنزل اللّه عزَّ وجلَّ.

قُلْ يَآ أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ

و قيل أنَّهم قالوا لرسول اللّه ﷺ لو إستسلمت بعض هذه الآية لصَّدقناك فنزل جبرئيل بهذه السُّورة فيئسوا منه و آذوه و آذوا أصحابه.

فإن قلت ما وجه التَّكوير في الآية.

قلت وجه التّكرار التّأكيد في قطع أطماع الكفّار كما تقول و اللّه لا أفعل كذا و كذا و اللّه لا أفعله، و القرآن نزل بلسان العرب و من مذاهبهم التَّكرار للتَّأكيد و الإفهام كما أنَّ من مذاهبهم الإختصار للتَّخفيف و الإيجاز لأنَّ خروج الخطيب و المتكلِّم من شيءٍ إلىٰ شيءٍ أولىٰ من إقتصاره في المقام علىٰ شيءٍ واحدٍ

قال اللّه تعالىٰ: **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**(١).

قال اللّه تعالىٰ: **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**(٢).

قال اللّه تعالىٰ: **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**(٣).

قال اللّه تعالىٰ: **فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا**(٤).

كلّ ذلك علىٰ وجه التّأكيد.

■

١- الرّحمن = ١٣

٢- المرسلات = ١٥

٣- النبأ = ۴ و ۵

۴- الانشراح = ۵

سُورَةُ ٱلنَّصْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

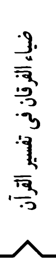
إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَ ٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَ رَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ ٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

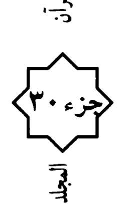
◀ اللّغة

أَفْوَاجًا: الفوج جماعة و الأفواج جماعات من جماعات.

فَسَبِّحْ: التَّسبيح تنزيه اللّه عمّا لا يليق بشأنه.

تَوَّابًا: و التّواب في صفة اللّه الكثير القبول للتّوبة و فى صفة العبد الكثير العمل للتّوبة و هو فعّال من صيغ المبالغة مأخوذ من التّوب و هو الرّجوع.





◀ الإعراب

يَدْخُلُونَ حال من النّاس و أَفْوَاجًا حال من الفاعل في يَدْخُلُونَ.

◀ التّفسير

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَ ٱلْفَتْحُ

وعد اللّه نبيّه النّصر و الفتح و المراد بالفتح فتح مكّة.

وَ رَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا

أي جماعات بعد جماعات **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** التّسبيح التّنزيه أي نزّه اللّه تعالىٰ عمّا لا يليق بشأنه و أشكره علىٰ ما أعطاك من الفتح و الظّفر علىٰ أعداءك و الأمر للوجوب و وجه التّسبيح و الإستغفار أنّ النّعمة تقتضي القيام بحقّ النّعمة المنافي للمعصية فكأنّه قال قد حدث أمرٌ يقتضي الإستغفار ممّا حدّده اللّه لك فإستغفره بالتّوبة تقبل ذلك منك و الخطاب للنّبي و فى الحقيقة هو تعليم لجميع الأمّة.

و قيل معناه صلِّ شكراً له علىٰ ما حدّد لك من نعمةٍ و الإستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي في الأحرار و قد يكون علىٰ وجه التّسبيح و الإنقطاع إلىٰ اللّه قاله الشّيخ قدّس سرّه في التّبيان.

و قال الطّبري المراد بهذا النّصر نصر الرّسول علىٰ قريش.

و قال بعض المفسّرين المراد به نصره علىٰ من قاتله من الكفّار فإنّ عاقبة النّصر كانت له و أمّا الفتح فهو فتح مكّة علىٰ قول المشهور.

و قال إبن عبّاس و سعيد بن جبير هو فتح المدائن و القصور.

و قيل هو فتح سائر البلاد.

و قيل ما فتحه عليه من العلىٰ و(إذا) بمعنىٰ قد، أي قد جاء نصر اللّه لأنّ نزولها بعد الفتح و يمكن أن يكون معناه إذ يجيئك هذا ما ذكره المفسّرون في تفسير السُّورة.

أقول يستفاد من الآية أنّ النّصر و الفتح يوجب الشُّكر بالتّسبيح و التّحميد و هذا ممّا لا كلام فيه لأحدٍ من علماء الإسلام و ذلك لأنّ النّصر و الفتح نعمةٌ من اللّه تعالىٰ علىٰ عباده المخلصين لأنّه يوجب عزّ الإسلام و المؤمنين فيجب عقلاً الشُّكر علىٰ النّعمة سواء كان باللّسان أم كان بالحال و الأفعال و هذا حكمٌ عقليّ يشمل الكلّ نبيّاً كان أو غيره لعدم التّخصيص في العقليّات فيجب

الشّكر علىٰ النّعمة علىٰ النّبي كما يجب علىٰ غيره و هذا أيضاً لا كلام فيه و إنّما الكلام في السُّورة يقع في موضعين:

أحدهما: في تعيين الفتح و أنّه ما المراد به.

الثّاني: في إستغفار النّبي صلّى الله عليه و آله وسلّم مع أنّ الإستغفار طلب المغفرة من الذّنب و النّبي لا ذنب له لمكان عصمته فما معنىٰ هذا الإستغفار الّذي أمر اللّه نبيّه به في هذه السُّورة.

وَ ٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا

أمّا البحث في المقام الأوّل: فلا فائدة فيه لأنّ الفتح و النّصر من حيث كونه نعمة يوجب الشُّكر سواء كان الفتح فتح مكّة أم غيره من فتوح الإسلام و علىٰ هذا فالمراد بالفتح معناه العامّ الشّامل لجميع الفتوح فتخصيصه بفتح مكّة و أمثاله لا معنىٰ له و لا دليل عليه فإن كان الفتح أيُّ فتح كان في زمان النّبي يجب عليه و علىٰ من تبعه في دينه من الأمّة الشُّكر عليه لما ذكرناه.

و إذا كان الفتح بعد موت النّبي يجب الشُّكر علىٰ الأمّة عقلاً فالملاك للشُّكر هو الفتح في الإسلام و لا دخل للزّمان فيه و هذا ظاهرٌ لا خفاء فيه.

أمّاالبحث فى المقام الثّانى: و هو إستغفار الرّسُول.

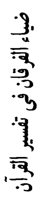
فنقول قد ذكرنا أنّ شكر المنعم واجبٌ علىٰ العبد عقلاً سواء كان العبد من الأنبياء و الأوصياء أم لم يكن إذ لا تخصيص في العقليّات، ثمّ إنّ الشُّكر أيضاً نعمةٌ من نعم اللّه، لأنّه تعالىٰ وفّق العبد لإداء شكره فيجب الشُّكر و هكذا الىٰ غير النّهاية فهو لا يقدر علىٰ شُكره تعالىٰ كما هو حقّه فهو يعدّ نفسه مذنباً في جنب حقّه إذ لم يشكره حقّ الشُّكر و إن كان هذا عن قصور لا عن تقصير فلا يطلق عليه المعصية و لا يترتّب عليه العقاب يوم القيامة و لكن يقرّ و يعترف بأنّه مذنب قاصرٌ عن إداء حقّ خالقه فيستغفره و هذا الإستغفار في الحقيقة إعتذارٌ من العبد فقوله تعالىٰ: **وَ ٱسْتَغْفِرْهُ** يعني إعتذر منه في قصورك عن أداء

حقّ شكره و هذا الإعتذار و الإعتراف يكفيك، فكأنّك شكرته حقّ شكره و قد روي أنّ داود النّبي قال يا ربِّ كيف أشكرك و فی كلّ شكرٍ شكر آخر فقال تعالىٰ الأن فقد شكرتني، أي إذا عرفت أنّك لا تقدر علىٰ حقّ شكري كما هو حقّه فقد شكرتنی.

و محصّل الكلام أنّ العبد كائناً من كان لا يقدر علىٰ أداء وظيفة العبوديّة أمّا مقصِّراً في حقّنا و إمّا قاصراً كما حقّ الأنبياء و الأوصياء، و الإستغفار مطلوبٌ في المقامين ففی الأوّل يوجب المغفرة عن الذّنب الصّادر عنه.

و في الثّاني يوجب ترفيع مقام العبد عند اللّه حيث إعترف بالعجز في العبوديّة و هو من الحسنات، و لذلك قال رسول اللّه: **إنّي لأستغفر اللّه كلّ يومٍ سبعين مرّةٍ** فالإستغفار منّا لطلب المغفرة و من الأنبياء لطلب القرب و رفعة المقام و ما نحن فيه و أمثاله من هذا القبيل هذا ما خطر ببالي في تفسير الآية و اللّه أعلم بحقائق الأمور.

■





سُورَةُ ٱلْمَسَدِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدٰآ أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ ﴿١﴾ مٰآ أَغْنٰى عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلٰى نٰارًا ذٰاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَ ٱمْرَأَتُهُ حَمّٰالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴿٥﴾

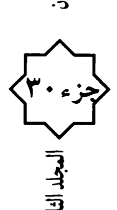
◀ اللُّغة

تَبَّتْ: التبُّ و التَّباب الإستمرار في الخسران يقال إستتبَّ لفلان أي إستمرَّ.

ٱلْحَطَبِ: الشّوك.

جِيدِهٰا: الجيد بكسر الجيم العنق.

مَسَدٍ: المسد حبلٌ من ليفٍ و جمعه أمساد، و قيل المسد حبلٌ من ضروب.



الإعراب

أَبِي لَهَبٍ بفتح الهاء و إسكانها لغتان مٰآ أَغْنٰى ما نافية أو إستفهاميّة وَ ٱمْرَأَتُهُ معطوف علىٰ الضّمير في سيصلىٰ حَمّٰالَةَ ٱلْحَطَبِ نعتٌ لما قبله هي حمّالة الحطب فِي جِيدِهٰا حَبْلٌ مبتدأ و خبر في موضع الحال من الضّمير في حمّالة.

◀ التّفسير

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ

أي إستمرَّت يدا أبي لهب في الخسران التّباب الخسران الّذي يؤدّي إلىٰ الهلاك يقال تبّه يتبّ تبّاً إذا هلك ففي قوله تعالىٰ: **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ** مَع أنّه إخبار ذمّ له لعنه اللّه و إنّما قال تبّت يداه، ولم يقل تبَّ أبو لهب مع أنّه هو الهالك في الحقيقة لأنّه جار مجرىٰ قوله: (كسبت يداه) و ذلك لأنّ أكثر العمل لمّا كان باليدين أضيف الهلاك و التّباب إليها و أبو لهب هذا كان عمّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم و مع ذلك كان من أعدىٰ عدوّه.

فقد روىٰ مسلم في صحيحه علىٰ ما نقله القرطبي في تفسيره عن إبن عبّاس أنّه قال لمّا نزلت وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ[١] و رهطك منهم المخلصين خرج رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّىٰ صعد الصّفا فهتف ياصباحاه، فقالوا من هذا الّذي يهتف قالوا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فإجتمعوا إليه فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم يابني فلان يابني فلان، يابني فلان يابني عبد مناف يابني عبد المطّلب فإجتمعوا إليه، فقال، أرأيتكم لَو أخبركم أنّ خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقي، قالوا ما جرَّبنا عليك كذباً قال صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهب تبّاً لك، أما جمعتنا إلاّ لهذا، ثمّ قام فنزلت هذه السُّورة، تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ، فلمّا سمعت إمرأته ما نزل في زوجها و فيها من القرأن أتت رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم و هو جالس في المسجد عند الكعبة و معه أبو بكر، و في يدها حجر (فهر) فلمّا وقفت عليه أخذ اللّه بصرها عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فلا ترىٰ إلاّ أبي بكر فقالت يا أبا بكر إنّ صاحبك



١- الشّعراء = ٢١٤

قد بلغني أنّه يهجوني و اللّه لو وجدته لضربته بهذا الفهر (الحجر) فاه ثمّ إنصرفت فقال أبو بكر يا رسول اللّه أما تراها رأتك قال ﷺ ما رأتني لقد أخذ اللّه بصرها عنّي إنتهىٰ.

و قيل أنّ سبب نزولها أنّ أبا لهب أتىٰ النبيّ ﷺ فقال ماذا أعطىٰ إن آمنت بك يامحمّد فقال ﷺ كما يعطىٰ المسلمون، قال مالي عليهم فضل، قال ﷺ و أيُّ شئٍ تبغي فقال، تبّاً لهذا من دينٍ أن أكون أنا و هؤلاء سواء فأنزل اللّه تعالىٰ فيه، **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ**.

و قيل كان إذا وفد علىٰ النّبي و قد إنطلق إليهم أبو لهب فيسألونه عن رسول اللّه ﷺ و يقولون له أنت أعلم به منّا فقال أبو لهب إنّه كذّاب ساحرٌ فيرجعون منه و لا يلقونه فأتىٰ وفدٌ ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتّىٰ نراه و نسمع كلامه فقال لهم أبو لهب أنّا لم نزل نعالجه فتبّاً له و تعساً فأخبر بذلك رسول اللّه ﷺ فأنزل اللّه تعالىٰ: **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ**.

و قيل أنّ أبا لهب أراد أن يرمي النّبي ﷺ بحجرٍ فمنعه اللّه ذلك و أنزل اللّه فيه ما أنزل و معنى (تبّت) خسرت قاله قتادة.

و قيل فأجابت.

و قيل صلّت.

و قيل هلكت.

و قيل صفرت من كلّ خيرٍ، و المآل في الكلّ واحد.

و قال الفرّاء في قوله: **تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ**، التبّ الأوّل دعاء عليه و الثّاني خبرٌ كما يقال أهلكه و قد هلك، و أبو لهب إسمه عبد العزّىٰ علىٰ ما قيل و هو عمّ النّبي ﷺ إبن عبد المطّلب.

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ

أي ما دفع عنه عذاب اللّه ما جمع من المال و لا ما كسب من جاه، و قيل من الولد فإنّ ولد الرَّجل من كسبه.

و قال إبن عبّاس لمّا أنذر رسول اللّه ﷺ عشيرته بالنّار فقال أبو لهب إن كان ما يقول إبن أخي حقّاً فأنّي أفدي نفسي بمالي ولدي فنزل **مٰآ أَغْنىٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا كَسَبَ** نقل هذه الوجوه القرطبي في تفسيره ثمّ إنّ ما في ما أغنىٰ، قيل أنّها للنّفي و قيل للإستفهام أي أيّ شئٍ أغنىٰ عنه، و أمّا، ما الثّانية فيجوز أن يكون مع الفعل مصدرٌ، أي ما أغنىٰ عنه ماله و كسبه.

سَيَصْلىٰ نٰارًا ذٰاتَ لَهَبٍ

أي ذات إشتعالٍ و تلهّب و هى نار جهنَّم الملتهبة و فى ذلك دلالة علىٰ صدق النّبي ﷺ حيث قال، **أنّه يموت علىٰ كفره** و كان الأمر كما قال.

و في قوله تعالىٰ: **سَيَصْلىٰ**، نقطةٌ خفيّة قد أشرنا إليها سابقاً غير مرّةٍ أنّ نار جهنَّم و العقاب و العذاب فيها معلول عمل الإنسان في الدّنيا، و ذلك لأنّ فاعل الفعل هو أبو لهب أي سيصلىٰ أبو لهب ناراً ذات لهب بكفره و إلحاده و إيذاءه النبيّ، و ما ربّك بظلاّمٍ للعبيد ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بسبب أعمالهم تكلّمنا فيه سابقاً.

وَ ٱمْرَأَتُهُ حَمّٰالَةَ ٱلْحَطَبِ

و إمرأته العوراء أخت أبي سفيان يقال لها (أمّ جميل) و هى أيضاً كانت شديدة العداوة للنّبي ﷺ و قوله: **حَمّٰالَةَ ٱلْحَطَبِ** قيل في معناه أنّها كانت تمشي بين النّاس بالنَّميمة تقول العرب فلان يحطب علىٰ فلان إذا ورَّش عليه و إلىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

أنّ بني الأدرم حمّال الحطب   هم الوشاة في الرّضا وفي الغضب
عليهم اللَّعنة تترىٰ و الحرب

و قال بعض المفسّرين الكلام علىٰ ظاهره فإنّ إمرأة أبي لهب كانت تـحمل الشّوك فتطرحه طريق النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا خرج إلىٰ الصّلاة وكيف كان ففي الكلام دلالة واضحة علىٰ أنّها ماتت علىٰ الكفر

أقول أنظر بعين الإنصاف إلىٰ هذه الشَّجرة الخبيثة الملعونة فهذه أمّ جميل، و هذا أبو سفيان، و بعده معاوية بن أبي سفيان، و بعده يزيد بـن مـعاوية لعـنة اللّه و رسوله و ملائكته و جميع النّاس عليهم إلىٰ يوم القيامة أمّا أبـو سـفيان و أخته أمّ جميل فحالهما معلومٌ فإنّهما لم يألوا جهداً في إيذاء الرَّسول.

و أمّا معاوية فإنّه ظلم عـلىٰ أميرالمـؤمنين وصّـي رسـول ربّ العـالمين و أصحابه و شيعته و لم يقنع بذلك بل فعل بالحسن إبن علّي عليه السّلام ما فعل حتّىٰ قتله بالسَّم إلىٰ أخر ما ظلم عليه.

و أمّا إبنه يـزيد فـقتل الحسين و أصـحابه و أولاد الرَّسـول و فـعل بأولاد الرّسول ما فعل من الهتك و السَّبي و الشَّتم و الضَّرب و غيرها.

و هند زوجة أبي سفيان و امّ معاوية فعلت بحمزة عمّ النّبي فـي أحـد بـعد قتله ما فعلت من المثلة فأيُّ بيتٍ في العرب أخبث من بـيت أبـي سـفيان إبـن حرب كأنّهم كانوا مأمورين بإيذاء النّبي و الظُّلم علىٰ أولاده و أتباعه و أشياعه من صلحاء الأمّة و بالجملة أنّهم فعلوا بالإسلام و المسلمين ما يعجز القلم عن تحريره و لا يقدر اللّسان علىٰ بيانه كيف و قد سوَّدوا بشنائع أعمالهم صفحات التّواريخ بحيث لم يقدر المورّخون علىٰ ثبت جمع أفعالهم القبيحة في كتبهم و إنّي لا أعرف بيتاً أخبث من بيت أبي سفيان في العرب و العجب كـلّ العـجب ممَّن يعبّر عن معاوية بن أبي سفيان بخال المؤمنين و لا يعبّر عن محمّد بن أبي بكر بخال المؤمنين لأنّه كان من شيعة علّي بن أبي طالب.

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

الجيد بكسر الجيم العنق و المسد، الليف و المعنىٰ في عنقها حبلٌ من ليفٍ.

و قال أبو عبيدة المسد حبلٌ من ضروب، و المسَّد اللّيف لأنّ من شأنه أن يفيل الحبل و أصل المسد المحور من حديدٍ لأنّه يدور بالفتل و قال قوم هو اللّيف المفتلّ.

و قيل هو حبلٌ يكون من صوف هذا في الدّنيا، فكانت تعيّر النّبي بالفقر و هي تحتطب في حبلٍ تجعلها في جيدها من ليف فخنَّقها اللّه عزّ وجلّ فأهلكها و هو في الأخرة حبلٌ من نار.

و حيث إنجرّ الكلام إلىٰ هذا المقام فلا بأس بالإشارة إلىٰ كيفيّة موته إجمالاً:

قال أبو رافع كنت غلاماً للعبّاس أنحت الأقداح في صفّة زمزم و عندي أمّ الفضل جالسة و قد سرّنا ما جاءنا من الخبر فرفعت طنب الحجرة فقلت تلك و اللّه الملائكة قال فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربةً منكرة و ثاورته و كنت رجلاً ضعيفاً فإحتملني و ضرب بي الأرض و برك علىٰ صدري يضربني و تقدَّمت أمّ الفضل إلىٰ عمودٍ من عمد المجرة فتأخذه و تقول إستضعفته إن غاب عنه سيّده و تضربه بالعمود علىٰ رأسه فتفلقه شجّةٌ منكرة فقام يجُرّ رجليه ذليلاً و رماه اللّه بالعدسة فمات و أقام ثلاثة أيّام لم يدفن حتّىٰ إنتّن ثمّ أنّ ولده غسّلوه بالماء قذفاً من بعيد مخافة عدّوىٰ العدسة و كانت قريش تتّقيها كما يتّقىٰ الطّاعون ثمّ إحتملوها إلىٰ أعلىٰ مكّة فأسندوه إلىٰ جدار ثمّ رضموا عليه الحجارة، فإعتبروا يا أولي الأبصار.

■



سُورَةُ ٱلْإِخْلَاصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

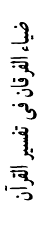
قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

◀ اللّغة

أَحَدٌ: قيل معناه واحد.

ٱلصَّمَدُ: الصَّمد السَّيد المعظّم، و قيل هو الّذي يصمد إليه في الحوائج.

كُفُوًا: قال في المفردات الكفر، في المنزلة و القدر يقال فلان كفوا فلان في المناكحة أو في المحاربة و نحو ذلك.



◀ الإعراب



هُوَ مبتدأ و **ٱللَّهُ أَحَدٌ** خبره **كُفُوًا أَحَدٌ** إسم كان و فى خبرها وجهان:

أحدهما: كفواً، و علىٰ هذا فيكون له حالاً من كفواً لأنّ التّقدير ولم يكن أحد كفواً له.

و الوجه الثّانى: أن يكون الخبر (له) و كفواً حال من أحد أي و لم يكن له أحد كفواً.

◀ التّفسير

إعلم أنّ هذه السُّورة مع إختصارها لفظاً من جلائل السُّور و أعظمها قدراً و معنىً و شرفاً لأنّها سورة التّوحيد الّذي بني الإسلام عليه و لذلك من شرع بها في صلاته لا يجوز له العدول إلىٰ غيرها من السُّور بل يجب عليه إتمامها تكفيه.

و قد ورد في الأخبار أنّ قراءتها تعدل ثلث القرآن فمن قرأها ثلاث مرّات كأنّه قرأ القرآن كلّه و سيأتى الكلام فيه بعد تفسير السُّورة إن شاء اللّه تعالىٰ و نحن نشرح أوّلاً ألفاظ السُّورة كما فسَّرها القوم ثمّ نتكلَّم فيها بقدر الإمكان.

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ

أمرٌ من اللّه لنبيّه أن يقول للمكلَّفين هو اللّه الّذي تحقّ له العبادة (أحد) و معناه واحد فقوله هو، كناية عن إسم الرَّب لأنّهم قالوا ما ربّك قال هو اللّه أحد قاله في التّبيان.

و قال بعضهم **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** أي الواحد الوتر الّذي لا شبيه له و لا نظير و لا صاحبة و لا ولد و لا شريك.

و قيل هو، ضمير الشّأن و المعنىٰ قل الأمر و الشّأن، اللّه أحد و به قال صاحب الكشّاف.

و قرأ الأعمش **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ** أي الّذي يصمد إليه في الحاجات، و قال قومٌ، الصَّمد، الدّائم الباقي الّذي لم يزل و لا يزال.

و قيل تفسيره ما بعده **لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ**.

و قيل الصَّمد السَّيد المعظّم المطاع.

لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ

لم يلد، فليس له ولد، ولم يولد فليس مولوداً لغيره.

وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

أي لم يكن له مثلٌ أو شبه أو نظير فالكفوء و الكفاء و الكفي واحد و هو المثل و النَّظير فقوله: **أَحَدٌ** مرفوع لأنّه إسم كان، و كفواً نصب لأنّه نعتٌ نكرةٍ متقدّمة و ذلك لأنّ النَّعت إذا قدّم علىٰ المنعوت نصب علىٰ الحال عند البصريّين و علىٰ الظّرف عند الكوفيّين و التّقدير ولم يكن أحد كفواً له.

و قال إبن عبّاس، لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسىٰ و عزير و هو ردٌّ علىٰ النّصارىٰ.

أقول ما ذكره ابن عبّاس ليس تفسير الآية وليست الآية ناظرة إلىٰ ما ذكره بل المراد منها إثبات حكمٍ عقلّي هو أساس الإعتقاد في التّوحيد في جميع الأمور و عند جميع الموّحدين و ستعرف حقّ القول فيه هذا خلاصة ما ذكره المفسّرون في تفسير السُّورة فإنّهم لم يزيدوا شيئاً علىٰ تفسير ألفاظ الآية فلا بأس بالإشارة إلىٰ بعض اللّطائف و الحقائق المودّعة في السُّورة مع إختصارها من جهة اللَّفظ فإنّها من جلائل السُّور في التَّوحيد الّذي هو الأساس فنقول:

قوله تعالىٰ: **قُلْ هُوَ ٱللّٰهُ أَحَدٌ.**

فيه إشارة إلىٰ ثلاث مقامات:

مقام الهويّة، و مقام الألوهيّة، و مقام الأحديّة فأشار اللّه تعالىٰ:

إلىٰ الأوّل: بقوله **هُوَ**.

إلىٰ الثّانى: بقوله **ٱللّٰهُ**.

إلىٰ الثّالث: بقوله **أَحَدٌ** ونحنُ نتكلَّم فيها علىٰ سبيل الإختصار.

فالمقام الأوّل: أعني به مقام الهويّة المحضة هو عبارة عن مقام الذّات عاريةً عن جميع الصّفات و هو المقام الّذي قد يعبّر عنه بمقام غيب الغيوب و الخفاء المطلق الّذي لا سبيل إلىٰ البلوغ إليه لأحدٍ من خلقه إذ ليس هناك إسمٌ و لا رسمٌ و لا صفة و لا نعت و ذلك لأنّ اللّه تعالىٰ حقيقة الوجود الّذي كنهه

في غاية الخفاء مع أنّ مفهومه من أعرف الأشياء و هو مقدّم على المقامين بعده، كان اللّه ولم يكن معه شيءٌ، و إليه الإشارة في الحديث المشهور بالقدسي، **كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكى أعرف.**

و لمّا لم يكن لهذا المقام إسمٌ و لا رسمٌ فعبّر عنه بهو، فالمشار إليه بقوله: **هُوَ** ليس إلاّ الذّات الواجب من غير إسم و لا رسم.

المقام الثاني: مقام الأسماء، و أفضلُ أسماء الحَقّ و أشرفها و أكملها هو مقام الألوهيّة المعبّر عنه في الكتب السّماوية و الألسنة بقولنا (اللّه) و لذلك قيل أنّه علمٌ للذّات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصّفات الكماليّة و إن شئت قلت هو جامع لجميع أسمائه الحسنى فمن دعاه بهذا الإسم دعاه بجميع أسمائه.

قيل أصله (إلٰه) فحذفت هَمَزته و أدخلت عليه الألف و اللاّم، إلٰه، إسمٌ لكلّ معبودٍ حقّاً كان أو باطلاً، و هذا بخلاف (اللّه) فإنّه مختصٌ به تعالى و لا يطلق على غيره تعالى.

و قيل أنّه من (أله) إذا تحيّر، أي تحيّرت العقول في معرفته بالكنه و تسميته بذلك إشارة إلى ما قال أميرالمؤمنين عليه السلام **كلّ دون صفاته تحسير الصّفات و ضلّ هناك تصاريف اللُّغات**، و ذلك أنّ العبد إذا تفكّر في صفاته تحيّر فيها فضلاً عن التّفكر في ذاته و لذا روي تفكّروا في ألاء اللّه و لا تفكّروا في اللّه.

و قيل هو مشتقٌّ من (ولاه) فأبدل من **الواو** هَمَزة و تسميته بذلك لكون كلّ مخلوقٍ و الهاً نحوه إمّا بالتّسخير فقط كالجمادات و الحيوانات.

و إمّا بالتّسخير و الإرادة معاً كبعض النّاس و من هذا الوجه قال الحكماء اللّه محبوب الأشياء كلّها و إلى هذا المعنى أشير بقوله تعالى: و **إن من شيءٍ إلاّ يسّبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم** الأية.

و قيل أصله من (لاه يلوه لياهاً) إذا احتجبت عن الأبصار كما قال **لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار** الأية هذا كلّه في اللّه، من حيث الإشتقاق.

و أمّا من حيث الجامعيّة لجميع الأسماء الحسنىٰ فلا خلاف فيه و لا يحتاج إلىٰ البحث لدلالة الأيات و الأخبار عليه و لأجل هذه الجامعيّة هو مقدّم علىٰ جميع الأسماء بلاكلام ولذا إختاره في المقام بعد كلمة (هو) فقال قل هو اللّه و لم يقل قل هو الرّحمٰن و البارئ و الخالق و الرّازق و غيرها إذ بعد ثبوت الألوهيّة ثبت سائر الأسماء لأنّها من فروعه و ثمراته.

المقام الثّالث: في قوله: **أَحَدٌ** و هو مقام الصّفات و من المعلوم أنّ مقام الصّفات مؤخّرٌ عن مقام الذّات تأخّر الصّفة عن الموصوف.

إعلم أنّ هذه الكلمة يعني **أَحَدٌ** يستعمل علىٰ ضربين:

أحَدهما: في النّفي فقط.

الثّاني: في الإثبات و أمّا المختصّ بالنّفي فلإستغراق جنس النّاطقين و يتناول القليل و الكثير علىٰ طريق الإجتماع و الإفتراق نحو قولك ما في الدّار أحد، أي واحدٌ و لا إثنان فصاعداً لا مجتمعين و لا متفرّقين و لهذا المعنىٰ لا يصّح إستعماله في الإثبات لأنّ نفي المتضادّين يصّح.

و أمّا إثباتها فلا يصُح، فلو قيل في الدّار واحد لكان فيه إثبات واحد منفرد مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين و متفرّقين و ذلك ظاهر لا محالة و لتناول ذلك ما فوق الواحد يصّح أن يقال ما من أحدٍ فاضلين كقوله تعالىٰ: **فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ**[1] و أمّا المستعمل في الإثبات فعلىٰ ثلاثة أوجه:

الأول: في الواحد المضموم إلىٰ العشرات نحو أحد عشر و أحد و عشرين و أمثالها.

الثّاني: أن يستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنىٰ الأوّل كقوله تعالىٰ: **أَمّآ أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا**[2].

و قولهم يوم الأحد أي يوم الأوّل، و يوم الإثنين.

١- الحاقّة = ٤٧ ٢- يوسف = ٤١

الثّالث: أن يستعمل مطلقاً وصفاً و ليس ذلك إلاّ في وصف اللّه تعالىٰ نحن فيه من هذا القبيل كما قال: **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** و أصله وحد و لكن وحد يستعمل في غيره كما قال الشّاعر:

كأنّ رجلي و قد زال النّهار بنا بذي الجليل علىٰ مستانسٍ وحدٍ

فقد ظهر ممّا ذكرناه أنّ (أحد) في المقام هو وصف اللّه تعالىٰ و الموصوف هو (اللّه) و لا يوصف به غيره و لأجل ذلك قال: **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ولم يقل قل هو اللّه الواحد.

و العجب من المفسّرين أنّهم فسَّروا (أحد) بالواحد و قالوا أي واحد ولم يعلموا أنّ الأحد في الآية لو كان بمعنىٰ واحد لقال تعالىٰ: **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** و حيث لم يقل ذلك فهو ليس بمعنىٰ (واحد) و ذلك لوجوهٍ:

أحدها: أنّ الواحد إسم لإبتداء الأعداد فيقال، واحد، إثنان، ثلاث، يقال، أحد، إثنان ثلاثة.

الثّانى: أنّ أحداً في النّفي أعمّ من واحد يقال ما في الدّار واحد بل فيها إثنان، و لا يقال ما في الدّار أحد بل فيها إثنان فلو قال ذلك كان غلطاً.

الثّالث: أنّ الواحد يمكن أن يجعل وصفاً لأيّ شئ أراده المتّكلم فيصّح أن يقال رجلٌ واحد، ثوبٌ واحد، كتابٌ واحد و هكذا و لا يصّح أن يقال رجلٌ أحد، ثوبٌ أحد و ذلك لإختصاص هذا الوصف باللّه تعالىٰ فلا يصّح وصف شئٍ في جانب الإثبات بالأحد إلاّ اللّه الأحد، فكأنّه تعالىٰ إستأثر بهذا النَّعت و أمّا في جانب النّفي فقد يذكر هذا و لا مانع منه تقول ما رأيت أحداً، ما ضربت أحداً، و قد مرَّ الكلام فيه فالأحد و الواحد، كالرَّحمن و الرّحيم، قد يحصل فيه المشاركة، و كذلك الأحد قد إختصّ به البارئ سبحانه و أمّا الواحد فقد حصل فيه المشاركة و لعلَّ الوجه في عدم دخول لام التَّعريف في (أحد) هو هذا حيث لم يقل قل اللّه الأحد لأنّه صار نعتاً للّه تعالىٰ علىٰ الخصوص فصار معرفة فإستغنىٰ عن التَّعريف.

الرّابع: أنّ قوله: **هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** هو، مبتدأ (و أحد) خبره دخله خبران:

أحَدهما: قوله **ٱللَّهُ**.

الثّاني: قوله **أَحَدٌ**.

و الغرض من ذكر أحد علىٰ سبيل التّنكير و التّذكير و التّنبيه علىٰ كمال الوحدانيّة.

قال الأزهري سئل أحمد بن يحيىٰ عن الآحاد هل هو جمع الأحد فقال معاذ اللّه ليس للأحد جمع و لا يبعد أن يقال الآحاد جمع واحد كما أنّ الأشهاد جمع شاهد.

إذا عرفت هذا فإعلم أنّ هذه الآية **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** مشتملٌ علىٰ ألفاظٍ ثلاثة من أسماء اللّه (هو) (ٱللّه)، (أحدٌ)، وكلّ واحدٍ منها إشارة إلىٰ مقامٍ من مقامات السّالكين إلىٰ اللّه بقدم المعرفة.

الأوّل: مقام المقرّبين و هو أعلىٰ المقامات و هؤلاء هم الّذين نظروا إلىٰ حقائق الأشياء فوجدوا كلّ ما سوىٰ اللّه معدوماً في ذاته لأنّ ما سواه ممكن الوجود و الممكن من شأنه أن يكون ليساً و من علّته أن يكون أيساً، أي موجوداً فإنّ الأيس الوجود، فهو مع قطع النّظر عن علّته معدوم متّصفٌ بالليسيّة المحضة فلم يبق في الوجود في الحقيقة موجود إلاّ اللّه تعالىٰ هذا بإعتبار ذات الممكن قبل الوجود و بعد الوجود أيضاً هو كالمعدوم لأنّ وجوده قائم بوجود علّته.

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ[1] و القيُّوم هو الموجود الذّي قائم بذاته سواه قائمٌ بهفالوجود له أوّلاً و بالذّات و لغيره ثانياً وبالعرض فالموجود الحقيقي هو اللّه الخالق الحكيم لا غيره و على هذا فقوله: **(هُوَ)** في حقّ هذه الطّائفة لأنّ المشار إليه لمّا كان واحداً كانت الإشارة المطلقة بلفظة (هو)، اللّه و هو يكفيهم.

١- البقرة = ٢٥٥

الثّاني: أصحاب اليمين وهم الّذين قالوا بوجود الممكنات أيضاً فلا جرم يحتاجون إلىٰ أن يكون المشار إليه معيّناً بالإسم و الرّسم متّيزاً عن غيره بالإسم، و هؤلاء يكفيهم إسم اللّه، لأنّه جامع الأسماء كلّها.

الثّالث: أصحاب الشّمال و هم الّذين يجوّزون الكثرة في الإله و المعبود فقال تعالىٰ، أحد، لأجل هؤلاء، أي أنّ المعبود الذّي يستحقّ أن يعبد هو الأحد الذّي لا ثاني له.

و في المقام تحقيقٌ لبعض المحقّقين لا بأس بذكره و هو أنّ صفات اللّه تعالىٰ، إمّا إضافيّة و إمّا سلبيّة، أمّا الإضافيّة فكقولنا عالمٌ قادرٌ مريدٌ خلاق رازق و هكذا و أمّا السّلبية فكقولنا ليس بجسمٍ، و لا جوهرٍ و لا عرض و لا مرئي و هكذا.

و الإنسان الّذي يريد أن يعرف اللّه و يعبده تذكر له صفاته الإضافيّة فيقال له لا شكّ أنّك مخلوق و كلّ مخلوق يحتاج إلىٰ الخالق، و أنت مرزوق و كلّ مرزوق له رازق و من المعلوم أنّك لم تخلق نفسك لإستحالة تقدّم الشّئ علىٰ نفسه و هكذا فيعلم العبد أنّ له خالقاً و رازقاً ثمّ بعد ذلك تذكر له صفاته السَّلبية فيقال أنّه ليس بجوهرٍ و لا عرض و لا جسم و هكذا بل هو منزّهٌ عن جميع هذه النّقائص الإمكانيّة فقوله: **ٱللَّهُ** يدلّ علىٰ أكثر الصّفات الإضافيّة، و قوله: **أَحَدٌ**، علىٰ أكثر الصّفات السّلبية فكان قولنا اللّه أحد تامّاً في ذكر جميع الصّفات المعتبرة في الألوهيّة إنتهىٰ ما ذكره.

و هو ممّا لا بأس به فقد ظهر لك من جميع ما ذكرنا ما يكفيك في تفسير **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ، ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ.**

الصَّمد هو السَّيد الّذي يعمد إليه في الأمر

وقيل الصَّمد الّذي ليس بأجْوف، و الّذي ليس بأجْوف شيئان:

أحدهما: لكونه أدون من الإنسان كالجمادات.

الثّاني: لكونه أعلىٰ منه و هو البارئ تعالىٰ و الملائكة.

قيل في قوله: **ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ** تنبيهٌ علىٰ أنّ من أثبتوا له الإلهيّة مثل عيسىٰ و عزير باطل لأنّه كان يأكل الطّعام كما قال: **وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ** فكان أجْوف و من كان أجْوف فهو مخلوق يحتاج إلىٰ الطّعام و الماء و كلّ محتاج فهو ممكن الوجود مقتصرٌ إلىٰ غيره فكيف يكون خالقاً.

لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ، وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

في هاتين الأيتين أثبت أمور ثلاثة:

أحدها: أنّه لم يلد.

ثانيها: أنّه لم يولد.

ثالثها: لم يكن له كفواً أحد.

أمّا الأمر الأوّل: و هو قوله: **لَمْ يَلِدْ** و ذلك لأنّ الّذي لم يلد إمّا أن يكون بسبب إلقاء النُّطفة في رحمه أو بإلقاء الرُّوح فيه كما في عيسىٰ إبن مريم و علىٰ التّقديرين يكون مؤنّثاً لا مذّكراً لا يلد قطعاً و لازم ذلك أن يكون الواجب مؤنّثاً، يحتاج إلىٰ غيره في الإلقاء إذ لو لم يكن الملقي لا يعقل أن يلد سواء كان الملقي هو الزّوج مثلاً أو روح الأمين كما في المسيح.

و من المعلوم أنّ كلّ محتاج إلىٰ غيره ممكن الوجود إذ لا نعني بالممكن إلاّ هذا و كلّ ممكنٍ يحتاج في وجوده إلىٰ غيره ليخرجه عن حدّ الإستواء و هكذا إلىٰ أن إنتهىٰ إلىٰ الموجود بالذّات دفعاً للتّسلسل فما فرضناه واجباً ليس بواجب الوجود بل هو مخلوق كغيره من المخلوقات هذا أوّلاً.

ثانياً: نقول كلّ من يلد فهو لا محالة جسم إذ لا يولد الجسم إلاّ من الجسم و كلّ جسمٍ له أجزاء و هو مركّب منها و كلّ مركّب محتاج إلىٰ أجزاءه و كلّ محتاج ممكن مخلوق فيلزم أن يكون الخالق مخلوقاً لغيره فليس بواجب الوجود و هو كما ترىٰ فثبت و تحقّق أنّ الولادة من شئون الجسم فما ليس

بجسم لا يلد جسماً إذ معطي الشّيئ لا يكون فاقداً له و الجسم لا يكون واجب الوجود كما مرَّ بيانه غير مرّةٍ.

و محصّل الكلام أنّ التّوالد و التّناسل من شئون الأجسام و الموجود المجرّد من المادّة و لواحقها بمعزلٍ عنهما.

الأمر الثّاني: قوله: **وَ لَمْ يُولَدْ** أي لم يولد من غير بأن يكون له والدة لأنّ ما ذكرناه في قوله: **لَمْ يَلِدْ** يأتي هاهنا أيضاً إذ لو فرضنا أنّه ولد من غير فإمّا أن يكون بإلقاء النُّطفة من صلب الأب إلىٰ رحم الأمّ فيلزم أن يكون له أباً و أمّاً، و حيث أنّ الأب و الأمّ من سنخ الأجسام فالولد أيضاً جسم و كلّ جسمٍ يحتاج إلىٰ أجزاءه وكلّ محتاج ممكن و كلّ ممكنٍ مخلوق.

ثانياً: يلزم حدوثه و المفروض أنّ الواجب قديمٌ بل لا قديمٌ سواه.

ثالثاً: أن يكون مصنوعاً أو معلولاً لغيره، والمفروض أنّه علّة إيجاد الممكنات.

رابعاً: يلزم موته لأنّ الّذي يولد في يوم من الأيّام فهو يموت كذلك و غير ذلك من المحاذير التّي يحكم العقل بإستحالتها ولتفصيل الكلام في هذه المباحث مقام أخر.

الأمر الثّالث: قوله: **وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** الكفوء بضّم الكاف في المنزلة و القدر يقال فلان كفوء فلان في المناكحة أو المحاربة أو العلم أو الزُّهد و أمثال ذلك و منه المساواة و المقابلة في الفعل.

و من المعلوم المسلّم عند من عرف اللّه أنّ إثبات الكفو له من المحالات العقلّية و ذلك لأنّ ما سواه كائناً ما كان ممكنٌ الوجود و الممكن لا يكون كفواً للواجب الغنّي بالذّات.

■

سُورَةُ ٱلْفَلَقِ

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَ مِنْ شَرِّ ٱلنَّفّٰاثٰاتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَ مِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ إِذٰا حَسَدَ ﴿٥﴾

◀ اللّغة

ٱلْفَلَقِ: الصُّبح و هو في الأصل شقّ الشّيء و إبانة بعضه عن بعضٍ يقال فَلَقته فإنفلَق.

غٰاسِقٍ: الغسق الظُّلمة و الغاسق اللّيل إذا دخل بظلامه.

وَقَبَ: وَقَب يَقأُب وَقُوباً إذا دخل.

ٱلنَّفّٰاثٰاتِ: السَّحرة.

ٱلْعُقَدِ: العقد تشبيه بالنَّفخ.

◀ الإعراب

مٰا خَلَقَ ما بمعنىٰ الّذي و العائد محذوف و قيل هي مصدريّة و الخلق بمعنىٰ المخلوق وٱلنَّفّٰاثٰاتِ و النّفاثات بمعنىٰ واحد.

◀ التّفسير

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ

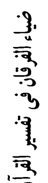
أمر اللّه نبيّه ظاهراً و جميع المكلفّين واقعاً بأن يستعيذوا باللّه تعالىٰ من شرّ ما خلقه اللّه و الإستعاذة الإلتجاء إلىٰ الغير في دفع المشكلات و الأفات و البليّات أو رفعهما المعلوم أنّ المخلوق لا ملجأ له إلاّ خالقه الّذي خلقه لأنّه علىٰ كلّ شيءٍ قدير و بالإجابه جدير و من يتّوكل علىٰ اللّه فهو حسبه و من ناجاه فهو يجيبه و من إعتمد عليه فهو حسبه فهو كاشف الكربات و رافع البليّات و هو الّذي يجيب المضطرّ إذا دعاه و يكشف السّوء و لذلك أمر نبيّه بأن يستعيذ به تعالىٰ من شرّ الأشرار و كيد الفجّار و لذلك أمرنا من صاحب الشّريعة بأن نقول أعوذ باللّه من الشّيطان الرَّجيم و لا سيّما عند إفتتاح الصّلاة و غيرها من العبادات.

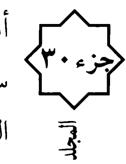
ثانياً: أمره بالإستعاذة.

مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

قيل أي من شرّ اللّيل إذا دجّل في ظلامه و قيل الغاسق كلّ هاجمٍ بضررٍ كائناً ما كان.

قيل في وجه الإستعاذة باللّيل لأنّه تخرج السُّباع من أجامها فيه و الهوام من أماكنها و يبعث أهل الشّر علىٰ الفساد و قيل الغاسق الثُّريا و ذلك أنّها إذا سقطت كثرت الأسقام و الأمراض و إذا طلعت إرتفع ذلك و قيل غير ذلك و اللّه أعلم بما أراد.





وَ مِنْ شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِى ٱلْعُقَدِ

أي من السّاحرات اللاّئي ينفّثن في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النَّفخ كما يعمل من يرقي قال الشّاعر:

أعـــوذ بـــربّي مـــن النّـــافثات فـــي عـضه العــاضه المـعيضة

و قال الأخر:

مـفثت في الخيط شبيه الرَّقى مــن خشـية الجـنّة و الحــاسد

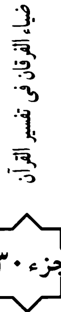
وَ مِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ إِذٰا حَسَدَ

الواو فــي هــذه الأيــات للعطف فـالمعنىٰ إستعذ بـربّ الفـلق مـن هـذه المذكورات إلىٰ أخر السُّورة و قال في أخرها من شرّ الحسود إذا حسد أي إذا ظهر حسده فإنّ شرّ الحسود عظيم لا يقدر علىٰ دفعه إلاّ اللّه تعالىٰ و قد وردت الأيات و الأخبار فى ذمّه أكثر من أن تحصى.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم **الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب**.

و **قال** صلى الله عليه وآله وسلم **الحسود لا يسود**، و الأخبار كثيرة، و الشّيطان حسد علىٰ أدم فلم يسجد فصار ملعوناً في الدُّنيا مبغوضاً عند اللّه، و كفى فى ذمّه و خطره الإستعاذة باللّه منه.

■



سُورَةُ ٱلنَّاسِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

◀ اللّغة

ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ: هو الشّيطان لأنّه إذا ذكر العبد ربّه خنس

يُوَسْوِسُ: الوسوسة حديث النّفس.

◀ الإعراب

ٱلْوَسْوَاسِ بالفتح إسم و بالكسر مصدر و التّقدير من شرّ ذي الوسواس الشّيطان و ٱلْخَنَّاسِ نعتٌ له مِنَ ٱلْجِنَّةِ بدل من شرّ و قيل بدل من ذي الوسواس، و قيل هو بدل من النّاس، و قيل من الجنّة حالٌ من النّاس و أمّا ٱلنَّاسِ الأخير فهو معطوف علىٰ ذي الوسواس.

◀ التّفسير

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ

أمر اللّه تعالىٰ نبيّه في هذه السُّورة أيضاً بأن يستعيذ بـاللّه تـعالىٰ فـقال قـل يامحمّد، أعوذ بربّ النّاس، أي أعوذ بالّذي خلق النّاس و ربّـاهم، و هـو مـلك النّاس و إله النّـاس، الّـذي يـتألّهون إليـه فـي حـوائـجهم و يـلتجئون إليـه فـي شدائدهم.

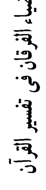
و قد مرّ ا لكلام في معنىٰ الإله مفصّلاً.

مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ

أي أستعيذ باللّه تعالىٰ من شرّ الشّيطان الخبيث اللّعين.

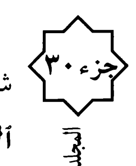
ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ

فالوسوسة حديث النّفس بما هو كالصَّوت الخفيّ و أصله الصَّـوت الخفّي في هذا الكلام إشارة إلىٰ أنّ الوسـوسة مـن الشّـيطان يـقال فـلان مـوسوس إذا غلبت عليه الوسوسة.



مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَ ٱلنَّاسِ

أي إنّ الموسوس قد يكون من الجنّ و هو الشّيطان و قد يكون من النّاس، فالشّيطان الجنّ يوسوس في صدور النّاس و أمّا شيطان الإنس فيأتي علانية.



و قال قتادة إنّ من الجنّ شياطين و من الإنس أيضاً شياطين فتعوّذ باللّه من شياطين الجنّ و الإنس قال اللّه تعالىٰ: **وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنْسِ وَ ٱلْجِنِّ**[1].

و قد منَّ اللّه تعالىٰ علىٰ هذه الأمّة فقد روي عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم **أنّ اللّه عزّ وجلّ تجاوز لأمّتي عمّا حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكّلم به.**

١- الأنعام = ١١٢

و أنا أقول أعوذ باللّه من شرّ شياطين الجنّ و الإنس بـاللّه الواحـد الغـفّار و أرجو منه تعالىٰ أن يحفظني من وساوسه و همزاته و هذا أخر الكلام في تفسير كلام اللّه تعالىٰ و أرجو منه أن يجعله ذخراً لي ليومٍ لا ينفع فيه مال بنون إلاّ من أتىٰ اللّه بقلبٍ سليمٍ.

❊ ❊ ❊

اللّهم إنّا نشكوا إليك فقد نبيّنا و غيبة وليّـنا و صـاحب أمـرنا و إمـام زمـاننا حجّة بن الحسن سلام اللّه عليه و علىٰ أباءه المعصومين و قلّة عـددنا و كـثرة عدوّنا.

اللّهم إرحمنا برحمتك يا أرحم الرّاحمين.

و قد فرغنا من تحرير هذا السِّفر الجليل المسمّىٰ بضياء الفرقان في تـفسير القـرأن فـي ليـلة الثُّـلاثاء فـي شـهر شـوال المكّـرم مـن سـنة ١٤٢٧ هـجري و ١٣٨٥/٨/٩ شمسي و أنا الأحقر محمّد تـقي بـن مـحمّد بـاقر النّـقوي القـائني الخراساني في عاصمة طهران صانها اللّه عن الأفات و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلّي العظيم حسبنا اللّه و نعم الوكيل نعم المولىٰ و نعم النَّصير أمين يـا ربّ العالمين اللّهم أجعله ذخراً ليومٍ لا ينفع فيه مالٌ و لا بنون إلاّ من أتى اللّه بقلبٍ سليمٍ و الحمد للّه ربّ العالمين.

■

الفهرست

■

■

■

■

■

■

■

■